

سورة الأحقاف

تفسير سورة الأحقاف
مكية وآياتها خمس وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1-3

القول في تأويل قوله تعالى: {حَمَّ * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ}.

قد تقدّم بيأننا في معنى قوله: حم. تَنْزِيلُ الْكِتَابِ بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع.

وقوله: ما خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ يقول تعالى ذكره: ما أحدثنا السموات والأرض فأوجدناهما خلقاً مصنوعاً، وما بينهما من أصناف العالم إلا بالحق، يعني: إلا لإقامة الحق والعدل في الخلق.

وقوله: وَأَجَلٍ مُّسَمًّى يقول: وإلا بأجل لكل ذلك معلوم عنده يفنيه إذا هو بلغه، وبعده بعد أن كان موجوداً بإيجاده إياه.

وقوله: وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ يقول تعالى ذكره: والمذنبين جحدوا وحدانية الله عن إنذار الله إياهم معرضون، لا يتعظون به، ولا يتفكرون فيعتبرون.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: أرايتم أيها القوم الآلهة والأوثان التي تعبدون من دون الله، أروني أي شيء خلقوا من الأرض، فإن ربي خلق الأرض كلها، فدعوتموها من أجل خلقها ما خلقت من ذلك آلهة وأربابا، فيكون لكم بذلك في عبادتكم إياها حجة، فإن من حجتني على عبادتي إلهي، وإفرادي له الألوهة، أنه خلق الأرض فابتدعها من غير أصل.

وقوله: أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ يقول تعالى ذكره: أم لآلهتكم التي تعبدونها أيها الناس شرك مع الله في السموات السبع، فيكون لكم أيضا بذلك حجة في عبادتكموها، فإن من حجتني على إفرادي العبادة لربي، أنه لا شريك له في خلقها، وأنه المنفرد بخلقها دون كل ما سواه.

وقوله: أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا يقول تعالى ذكره: بكتاب جاء من عند الله من قبل هذا القرآن الذي أنزل عليّ، بأن ما تعبدون من الآلهة والأوثان خلقوا من الأرض شيئا، أو أن لهم مع الله شركا في السموات، فيكون ذلك حجة لكم على عبادتكم إياها، لأنها إذا صح لها ذلك صحت لها الشركة في النعم التي أنتم فيها، ووجب لها عليكم الشكر، واستحقت منكم الخدمة، لأن ذلك لا يقدر أن يخلقه إلا الله.

وقوله: أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ اخْتَلَفْتِ الْقِرَاءَ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فقراءته عامة قراء الحجاز والعراق أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ بِالْأَلْفِ، بمعنى: أو ائتوني ببقية من علم، وروي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه كان يقرأه «أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ»،

بمعنى: أو خاصة من علم أوتيتيموه, وأوثرتم به على غيركم, والقراءة التي لا أستجيز غيرها أو أثاره من علم بالألف, لإجماع قراء الأمصار عليها.
واختلف أهل التأويل في تأويلها, فقال بعضهم: معناه: أو أتوني بعلم بأن آلهتكم خلقت من الأرض شيئاً, وأن لها شركاً في السموات من قبل الخط الذي تخطونه في الأرض, فإنكم معشر العرب أهل عيافة وزجر وكهانة. ذكر من قال ذلك:

24145- حدثنا بشر بن آدم, قال: حدثنا أبو عاصم, عن سفيان, عن صفوان بن سليم, عن أبي سلمة, عن ابن عباس أو أثاره من علم قال: خط كان يخطه العرب في الأرض.

24146- حدثنا أبو كريب, قال: قال أبو بكر: يعني ابن عياش: الخط: هو العيافة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو خاصة من علم. ذكر من قال ذلك:
24147- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة أو أثاره من علم قال: أو خاصة من علم.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أو أثاره من علم قال: أي خاصة من علم.

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث, قال: ثني أبي, عن الحسين, عن قتادة أو أثاره من علم قال: خاصة من علم.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو علم تُثرونه فتستخرجونه. ذكر من قال ذلك:

24148- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن, في قوله: أو أثاره من علم قال: أثاره شيء يستخرجونه فطره.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو تأثرون ذلك علماً عن أحد ممن قبلكم؟ ذكر من قال ذلك:

24149- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أو أثاره من علم قال: أحد يآثر علماً.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو بيينة من الأمر. ذكر من قال ذلك:
24150- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس أو أثاره من علم يقول: بيينة من الأمر.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: ببقية من علم. ذكر من قال ذلك:

24151- حدثنا أبو كريب, قال: سئل أبو بكر, يعني ابن عياش عن أثاره من علم قال: ببقية من علم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الأثاره: البقية من علم, لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب, وهي مصدر من قول القائل: أثار الشيء أثاره, مثل سمج سماجة, وقبح قباحة, كما قال راعي الإبل:

وذات أثاره أكلت عليهنّباتا في أكمته قعّاراً
يعني: وذات بقية من شحم, فأما من قرأه أو أثاره فإنه جعله أثاره من الأثر, كما قيل: قتره وغبرة. وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأه «أو أثاره» بسكون الشاء, مثل الرجفة والخطفة, وإذا وجه ذلك إلى ما قلنا فيه من أنه بقية من علم, جاز أن تكون تلك البقية من علم الخط, ومن علم استشير من كتب الأولين, ومن خاصة علم كانوا أوثرنا به. وقد روي عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم في ذلك خبر بأنه تأوله أنه بمعنى الخط، سنذكره إن شاء الله تعالى، فتأويل الكلام إذن: ائتوني أيها القوم بكتاب من قبل هذا الكتاب، بتحقيق ما سألتكم تحقيقه من الحجة على دعواكم ما تدعون لأهتكم، أو ببقية من علم يوصل بها إلى علم صحة ما تقولون من ذلك إن كنتم صادقين في دعواكم لها ما تدعون، فإن الدعوى إذا لم يكن معها حجة لم تُغن عن المدعى شيئاً.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ } .
يقول تعالى ذكره: وأيُّ عبد أضلُّ من عبد يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب له إلى يوم القيامة: يقول: لا تُجيب دعاءه أبداً، لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك.

وقوله: وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ يقول تعالى ذكره: وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة، لأنها لا تسمع ولا تنطق، ولا تعقل. وإنما عنى بوصفها بالغفلة، تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئاً، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه. وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم، وقبح اختيارهم في عبادتهم، من لا يعقل شيئاً ولا يفهم، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته، ومن به استغاثتهم عندما ينزل بهم من الحوائج والمصائب. وقيل: من لا يستجيب له، فأخرج ذكر الآلهة وهي جماد مخرج ذكر بني آدم، ومن له الاختيار والتمييز، إذ كانت قد مثلتها عبدتها بالملوك والأمراء التي تخدم في خدمتهم إياها، فأجرى الكلام في ذلك على نحو ما كان جارياً فيه عندهم.

الآية : 6-7

القول في تأويل قوله تعالى: { وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ * وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ } .

يقول تعالى ذكره: وإذا جُمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب، كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء، لأنهم يتبرأون منهم وكانوا بعبادتهم كافرين يقول تعالى ذكره: وكانت آلهتهم التي يعبدونها في الدنيا بعبادتهم جاحدين، لأنهم يقولون يوم القيامة: ما أمرناهم بعبادتنا، ولا شعرنا بعبادتهم إيانا، تبرأنا إليك منهم يا ربنا.

وقوله: وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ يقول تعالى ذكره: وإذا يقرأ على هؤلاء المشركين بالله من قومك آياتنا، يعني حججنا التي احتجنا بها عليهم، فيما أنزلناه من كتابنا على محمد صلى الله عليه وسلم بيِّناتٍ يعني واضحات نيرات قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ يقول تعالى ذكره: قال الذين جحدوا وحدانية الله، وكذبوا رسوله للحقِّ لما جاءهم من عند الله، فأنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ يعنون هذا القرآن خداع يخدعنا، ويأخذ بقلوب من سمعه فعل السحر مبين: يقول: يُبين لمن تأمله ممن سمعه أنه سحر مبين.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: أم يقولون هؤلاء المشركون بالله من قريش، افترى محمد هذا القرآن، فاخترقه وتخترسه كذبا، قل لهم يا محمد إن افتريته وتخترسته على الله كذبا فلا تملكون لي يقول: فلا تغنون عني من الله إن عاقبني على افترائي إياه، وتخترصي عليه شيئا، ولا تقدرين أن تدفعوا عني سواء إن أصابني به.

وقوله: هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ يقول: ربي أعلم من كل شيء سواه بما تقولون بينكم في هذا القرآن والهاء من قوله: تُفِيضُونَ فِيهِ من ذكر القرآن. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: تُفِيضُونَ فِيهِ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24152- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحديثي الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ قال: تقولون. وقوله: كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يقول: كفى بالله شاهدا عليّ وعلينكم بما تقولون من تكذيبكم لي فيما جنتكم به من عند الله الغفور الرحيم لهم، بأن لا يعذبهم عليها بعد توبتهم منها.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: { قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرَّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي قومك من قريش ما كنت بدعا من الرسل يعني: ما كنت أول رسل الله التي أرسلها إلى خلقه، قد كان من قبلي له رسل كثيرة أرسلت إلى أمم قبلكم يقال منه: هو بدع في هذا الأمر، وبدع فيه، إذا كان فيه أول. ومن البدع قول عدي بن زيد.

قَلَا أَنَا بِدْعٌ مِّنْ حَوَادِثٍ تَعْتَرِي رَجَالًا عَرَّتْ مِنْ بَعْدِ بُؤْسِي وَأَسْعُدِ
ومن البدع قول الأصوص:

فَحَرَّتْ فَاتَّمَمْتُ فَقُلْتُ أَنْظِرْ نِبْلِي سَهْلُ أَتَيْتَهُ بِبَدِيعِ

يعني بأول، يقال: هو بدع من قوم أبداع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24153- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرَّسُلِ يقول: لست بأول الرسل. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَمَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرَّسُلِ قال: يقول: ما كنت أول رسول أرسل.

24154- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحديثي الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرَّسُلِ قال: ما كنت أولهم.

24155- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا عبد الوهاب بن معاوية، عن أبي هبيرة، قال: سألت قتادة قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرَّسُلِ قال: أي قد كانت قبلي رسل.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرَّسُلِ يَقُولُ: أَيُّ إِنْ الرِّسْلُ قَدْ كَانَتْ قَبْلِي.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: يَدْعَا مِنَ الرَّسُلِ قَالَ: قَدْ كَانَتْ قَبْلَهُ رَسْلٌ.

وقوله: وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ أَهْلَ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَنِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقِيلَ لَهُ: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بِكَ مَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِلَامُ نَصِيرِ هُنَالِكَ، قَالُوا ثُمَّ بَيْنَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ حَالَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ: لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24156- حدثنا علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ هَذَا لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.

24157- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصري قالوا: قَالَ فِي حَمِ الْأَحْقَافِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ، إِنْ أُتِيَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا تَذِيرٌ مُبِينٌ فَنَسَخْتَهَا الْآيَةَ الَّتِي فِي سُورَةِ الْفَتْحِ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ... الْآيَةَ، فَخَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ، فَبَشَّرَهُمْ بِأَنَّهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ لَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: هِنَيْتَا لَكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا مَا يَفْعَلُ بِكَ، فَمَاذَا يُفَعَلُ بِنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ، فَقَالَ: وَبَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا وَقَالَ لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، وَيُكَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قَوْزًا عَظِيمًا، وَبُعْدَبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الطَّائِفِينَ بِاللَّهِ... الْآيَةَ، فَبَيْنَ اللَّهُ مَا يَفْعَلُ بِهِ وَبِهِمْ.

24158- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ثُمَّ دَرِي أَوْ عِلْمٌ مِنَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَفْعَلُ بِهِ، يَقُولُ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ قَالَ: قَدْ بَيْنَ لَهُ أَنَّهُ قَدْ غُفِرَ مِنْ ذَنْبِهِ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ.

وقال آخرون: بَلْ ذَلِكَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يَقُولَهُ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَدْرِي إِلامُ يَصِيرُ أَمْرُهُ وَأَمْرُهُمْ فِي الدُّنْيَا، أَيْصِيرُ أَمْرُهُ مَعَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوهُ أَوْ يَخْرِجُوهُ مِنْ بَيْنِهِمْ، أَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ فَيَتَّبِعُوهُ، وَأَمْرُهُمْ إِلَى الْهَلَاكِ، كَمَا أَهْلَكَتِ الْأُمَّمَ الْمَكْدُبَةَ رَسْلَهَا مِنْ قَبْلِهِمْ أَوْ إِلَى التَّصَدِيقِ لَهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24159- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، عن الحسن، في قوله: وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ فَقَالَ: أَمَا فِي الْآخِرَةِ فَمَعَاذَ اللَّهِ، قَدْ عِلْمُ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ حِينَ أَخَذَ مِيثَاقَهُ فِي الرِّسْلِ، وَلَكِنْ قَالَ: وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ فِي الدُّنْيَا، أَخْرَجَ كَمَا أَخْرَجَتْ الْأَنْبِيَاءُ

قبلي أو أقتل كما قُتلت الأنبياء من قبلي، ولا أدري ما يُفعل بي ولا بكم، أمّتي المكذّبة، أمّ أمّتي المصدّقة، أمّ أمّتي المرمية بالحجارة من السماء قذفاً، أمّ مخسوف بها خسفاً، ثم أوحى إليه: وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ يَقُولُ: أَحْطَى لَكَ بِالْعَرَبِ أَنْ لَا يَقْتُلُوكَ، فعرف أنه لا يُقتل، ثم أنزل الله عزّ وجلّ: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا يَقُولُ: أشهد لك على نفسه أنه سيُظهر دينك على الأديان، ثم قال له في أمّته: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ فأخبره الله ما يصنع به، وما يصنع بأمّته.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما أدري ما يفترض عليّ وعليكم، أو ينزل من حكم، وليس يعني ما أدري ما يفعل بي ولا بكم غداً في المعاد من ثواب الله من أطاعه، وعقابه من كذّبه.

وقال آخرون: إنما أمر أن يقول هذا في أمر كان ينتظره من قبل الله عزّ وجلّ في غير الثواب والعقاب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة وأشبهها بما دلّ عليه التنزيل، القول الذي قاله الحسن البصري، الذي رواه عنه أبو بكر الهذليّ.

وإنما قلنا ذلك أولاً بالصواب لأن الخطاب من مبتدأ هذه السورة إلى هذه الآية، والخبر خرج من الله عزّ وجلّ خطاباً للمشركين وخبراً عنهم، وتوبيخاً لهم، واحتجاجاً من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عليهم. فإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن هذه الآية أيضاً سبيلها سبيل ما قبلها وما بعدها في أنها احتجاج عليهم، وتوبيخ لهم، أو خبر عنهم. وإذا كان ذلك كذلك، فمحال أن يقال للنبيّ صلى الله عليه وسلم: قل للمشركين ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة، وآيات كتاب الله عزّ وجلّ في تنزيله ووحيه إليه متتابعة بأن المشركين في النار مخلدون، والمؤمنون به في الجنان منعمون، وبذلك يرهبهم مرّة، ويرغبهم أخرى، ولو قال لهم ذلك، لقالوا له: فعلام تتبعك إذن وأنت لا تدري إلى أيّ حال تصير غداً في القيامة، إلى خفض ودعة، أم إلى شدّة وعذاب وإنما اتبعنا إياك إن اتبعناك، وتصديقنا بما تدعونا إليه، رغبة في نعمة، وكرامة نصيبها، أو رهبة من عقوبة، وعذاب نهرب منه، ولكن ذلك كما قال الحسن، ثم بين الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ما هو فاعل به، وبمن كذّب بما جاء به من قومه وغيرهم.

وقوله: إِنْ أُتِيعَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ يَقُولُ تعالى ذكره: قل لهم ما أتبع فيما أمركم به، وفيما أفعله من فعل إلا وحيّ الله الذي يوحيه إليّ، وما أنا إلا نذيرٌ مبينٌ يقول: وما أنا لكم إلا نذير، أنذركم عقاب الله على كفركم به مبين: يقول: قد أبان لكم إنذاره، وأظهر لكم دعاءه إلى ما فيه نصيحتكم، يقول: فكذلك أنا.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ قَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لهذا القرآن لما جاءهم هذا سحر مبين أرايتم أيها القوم إن كان هذا القرآن من عند الله أنزله عليّ وكفرتُم أنتم به يقول: وكذبتم أنتم به.

وقوله: وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مِثْلِهِ، يَعْنِي عَلَى مِثْلِ الْقُرْآنِ، قَالُوا: وَمِثْلُ الْقُرْآنِ الَّذِي شَهِدَ عَلَيْهِ مُوسَى بِالتَّصْدِيقِ التَّوْرَةَ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ: 24160. حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، قَالَ: حَدَّثَنَا دَاوُدُ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَخَاصِمٌ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، التَّوْرَةَ مِثْلَ الْقُرْآنِ، وَمُوسَى مِثْلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، قَالَ: سُئِلَ دَاوُدُ، عَنْ قَوْلِهِ: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ... الْآيَةَ، قَالَ دَاوُدُ، قَالَ عَامِرٌ، قَالَ مَسْرُوقٌ: وَاللَّهِ مَا نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، مَا نَزَلَتْ إِلَّا بِمَكَّةَ، وَمَا أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ، وَلَكِنَّهَا خُصُومَةٌ خَاصِمٌ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا قَوْمَهُ، قَالَ: فَنَزَلَتْ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ قَالُوا: فَالتَّوْرَةَ مِثْلَ الْقُرْآنِ، وَمُوسَى مِثْلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَآمَنُوا بِالتَّوْرَةَ وَبِرَسُولِهِمْ، وَكَفَرْتُمْ.

24161. حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: سَمِعْتُ دَاوُدَ بْنَ أَبِي هَنْدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: أَنَسٌ يَزْعُمُونَ أَنَّ شَاهِدًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، وَإِنَّمَا أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ بِالْمَدِينَةِ وَقَدْ أَخْبَرَنِي مَسْرُوقٌ أَنَّ آلَ حِمٍّ، إِنَّمَا نَزَلَتْ بِمَكَّةَ، وَإِنَّمَا كَانَتْ مَحَاجَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَعْنِي الْقُرْآنَ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ مُوسَى وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْفَرْقَانِ.

حَدَّثَنِي أَبُو السَّائِبِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ دَاوُدَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: إِنْ نَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّ الشَّاهِدَ عَلَى مِثْلِهِ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بِالْمَدِينَةِ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي مَسْرُوقٌ أَنَّ آلَ حِمٍّ إِنَّمَا نَزَلَتْ بِمَكَّةَ، وَإِنَّمَا كَانَتْ مَحَاجَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْمِهِ، فَقَالَ: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَعْنِي الْفَرْقَانَ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَمِثْلُ التَّوْرَةَ الْفَرْقَانَ، التَّوْرَةَ شَهِدَ عَلَيْهَا مُوسَى، وَمُحَمَّدٌ عَلَى الْفَرْقَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ.

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا دَاوُدُ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، فِي قَوْلِهِ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْآيَةَ، قَالَ: كَانَ إِسْلَامُ ابْنِ سَلَامٍ بِالْمَدِينَةِ وَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِمَكَّةَ إِنَّمَا كَانَتْ خُصُومَةٌ بَيْنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ، فَقَالَ: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ قَالَ: التَّوْرَةَ مِثْلَ الْفَرْقَانَ، وَمُوسَى مِثْلَ مُحَمَّدٍ، فَآمَنَ بِهِ وَاسْتَكْبَرْتُمْ، ثُمَّ قَالَ: آمَنَ هَذَا الَّذِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِنَبِيِّهِ وَكِتَابِهِ، وَاسْتَكْبَرْتُمْ أَنْتُمْ، فَكَذَّبْتُمْ أَنْتُمْ نَبِيَكُمْ وَكِتَابَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي... إِلَى قَوْلِهِ: هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ.

وقال آخرون: عنى بقوله: وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، قَالُوا: وَمَعْنَى الْكَلَامِ وَشَهِدَ شَاهِدًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ بِالتَّصْدِيقِ. قَالُوا: وَمِثْلُ الْقُرْآنِ التَّوْرَةَ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24162_ حدثني يونس، قال: حدثنا عبد الله بن يوسف التَّيْسِي، قال: سمعت مالك بن أنس يحدث عن أبي النضر، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام قال: وفيه نزلت وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله.

24163_ حدثنا الحسين بن عليّ الصّدائِي، قال: حدثنا أبو داود الطيالسي، قال: حدثنا شعيب بن صفوان، قال: حدثنا عبد الملك بن عمير، أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: قال عبد الله: أنزل في قل رأيتكم إن كان من عند الله... إلى قوله: فأمن واستكبرتم.

حدثني عليّ بن سعد بن مسروق الكندي، قال: حدثنا أبو محمد يحيى بن يعلى، عن عبد الملك بن عمير، عن ابن أخي عبد الله بن سلام، قال: قال عبد الله بن سلام: نزلت في وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين.

24164_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: قل رأيتكم إن كان من عند الله... الآية، قال: كان رجل من أهل الكتاب آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، فقال: إنا نجد في التوراة، وكان أفضل رجل منهم، وأعلمهم بالكتاب، فخاصمت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «أترضون أن يحكم بيني وبينكم عبد الله بن سلام؟» «أشهد أني رسول الله مكتوبا في التوراة والإنجيل»، قال: نعم، فأعرضت اليهود، وأسلم عبد الله بن سلام، فهو الذي قال الله جل ثناؤه عنه: وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم يقول: فأمن عبد الله بن سلام.

24165_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله قال: عبد الله بن سلام.

24166_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قل رأيتكم إن كان من عند الله... الآية، كنا نحدث أنه عبد الله بن سلام آمن بكتاب الله وبرسوله وبالإسلام، وكان من أحرار اليهود.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله؟ قال: هو عبد الله بن سلام. 24167_ حدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد،

قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله الشاهد: عبد الله بن سلام، وكان من أحرار من علماء بني إسرائيل، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود، فأتوه، فسألهم فقال: «أتعلمون أني رسول الله تجدونني مكتوبا عندكم في التوراة؟» قالوا: لا نعلم ما تقول، وإنا بما جئت به كافرين، فقال: «أي رجل عبد الله بن سلام عندكم؟» قالوا: عالمنا وخيرنا، قال: «أترضون به بيني وبينكم؟» قالوا: نعم، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن سلام، فجاهه فقال: «ما شهادتك يا بن سلام؟» قال: أشهد أنك رسول الله، وأن

كتابك جاء من عند الله، فأمن وكفروا، يقول الله تبارك وتعالى فأمنَ
وَاسْتَكْبَرْتُمْ.

24168- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا
عوف، عن الحسن، قال: بلغني أنه لما أراد عبد الله بن سلام أن يسلم قال:
يا رسول الله، قد علمت اليهود أنني من علمائهم، وأن أبي كان من علمائهم،
وإني أشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم في التوراة،
فأرسل إلى فلان وفلان، ومن سماه من اليهود، وأخبرني في بيتك، وسلهم
عني، وعن أبي، فإنهم سيحدثونك أنني أعلمهم، وأن أبي من أعلمهم، وإني
سأخرج إليهم، فأشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم في
التوراة، وأنت بُعثت بالهدى ودين الحق، قال: ففعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم، فخبأه في بيته وأرسل إلى اليهود، فدخلوا عليه، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: «ما عبد الله بن سلام فيكم؟» قالوا: أعلمنا
نفسا. وأعلمنا أبا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرأيتم إن أسلم
تُسَلِّمُونَ؟» قالوا: لا يسلم، ثلاث مرار، فدعاه فخرج، ثم قال: أشهد أنك
رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم في التوراة، وأنت بُعثت بالهدى
ودين الحق، فقالت اليهود: ما كنا نخشاك على هذا يا عبد الله بن سلام،
قال: فخرجوا كفارا، فأنزل الله عز وجل في ذلك قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ، فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ.

24169- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في
قوله: وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ قال: هذا
عبد الله بن سلام، شهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه حق،
وهو في التوراة حق، فأمن واستكبرتم.

24170- حدثني أبو شرحبيل الحمصي، قال: حدثنا أبو المغيرة، قال:
حدثنا صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن
عوف بن مالك الأشجعي، قال: انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه،
حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا معشر اليهود إرؤني أنني عَشْرَ
رَجُلًا يَشْهَدُونَ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يُحِبُّ اللَّهُ عَنْ كُلِّ
يَهُودِيٍّ تَحْتَ أَيْمِ السِّمَاءِ الْعَصَبِ الَّذِي عَصَبَ عَلَيْهِ»، قال: فأسكتوا فما
أجابه منهم أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد، فانصرف وأنا معه حتى إذا كدنا أن
نخرج نادي رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد، قال: فأقبل، فقال ذلك
الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود، قالوا: والله ما نعلم أنه كان
فينا رجل أعلم بكتاب الله، ولا أفاقه منك، ولا من أبيك، ولا من جدك قبل
أبيك، قال: فإني أشهد بالله أنه النبي صلى الله عليه وسلم الذي تجدونه في
التوراة والإنجيل، قالوا كذبت، ثم ردوا عليه قوله وقالوا له شرا، فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذبتم لَنْ تَقْبَلَ قَوْلَكُمْ، أَمَا أَنْفَا فَتَنْتَوْنَ
عَلَيْهِ مِنَ الْحَيْرِ مَا أَتَيْتُمْ، وَأَمَّا إِذْ أَمَنَ كَذِبْتُمُوهُ وَقُلْتُمْ مَا قُلْتُمْ، فَلَنْ تَقْبَلَ
قَوْلَكُمْ»، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا،
وعبد الله بن سلام، فأنزل الله فيه: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ... الآية.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك
أشبه بظاهر التنزيل، لأن قوله: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ في سياق توبيخ الله تعالى ذكره

مشركي قريش، واحتجاجا عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم، وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر، فتوجه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت، ولا دل على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدّم الخبر عنهم معنى، غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك عنى به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به، فتاويل الكلام إذ كان ذلك كذلك، وشهد عبد الله بن سلام، وهو الشاهد من بني إسرائيل على مثله، يعني على مثل القرآن، وهو التوراة، وذلك شهادته أن محمدا مكتوب في التوراة أنه نبيّ تجده اليهود مكتوبا عندهم في التوراة، كما هو مكتوب في القرآن أنه نبيّ.

وقوله: فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرُوا يَقول: فأمن عبد الله بن سلام، وصدّق بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به من عند الله، واستكبرتم أتم على الإيمان بما آمن به عبد الله بن سلام معشر اليهود إن الله لا يهدي القوم الظالمين يقول: إن الله لا يوفق لإصابة الحق، وهدى الطريق المستقيم، القوم الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بإيجابهم لها سخط الله بكفرهم به.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ قَسَيْفُولُونَ هَذَا إِنْكُ قَدِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: وقال الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بني إسرائيل للذين آمنوا به، لو كان تصديقكم محمدا على ما جاءكم به خيرا، ما سبقتمونا إلى التصديق به، وهذا التأويل على مذهب من تأول قوله: وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله أنه معنيّ به عبد الله بن سلام، فأما على تأويل من تأول أنه عنيّ به مشركو قريش، فإنه ينبغي أن يوجه تأويل قوله: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ أنه عنيّ به مشركو قريش وكذلك كان يتأوله قتادة، وفي تأويله إياه كذلك ترك منه تأويله، قوله: وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله أنه معنيّ به عبد الله بن سلام. ذكر الرواية عنه بذلك:

24171- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ قَالَ: قال ذاك أناس من المشركين: نحن أعز، ونحن، ونحن، فلو كان خيرا ما سبقنا إليه فلان وفلان، فإن الله يختص برحمته من يشاء.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ قَالَ: قد قال ذلك قائلون من الناس، كانوا أعز منهم في الجاهلية، قالوا: والله لو كان هذا خيرا ما سبقنا إليه بنو فلان وبنو فلان، يختص الله برحمته من يشاء، ويكرم الله برحمته من يشاء، تبارك وتعالى.

وقوله: وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ يَقول تعالى ذكره: وإذ لم يبصروا بمحمد وبما جاء به من عند الله من الهدى، فيرشدوا به الطريق المستقيم قَسَيْفُولُونَ هَذَا إِنْكُ قَدِيمٌ يقول: فسيقولون هذا القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أكاذيب من أخبار الأولين قديمة، كما قال جل ثناؤه مخبرا عنهم، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ}. يقول تعالى ذكره: ومن قبل هذا الكتاب، كتاب موسى، وهو التوراة، إماما لبني إسرائيل يأتون به، ورحمة لهم أنزلناه عليهم. وخرج الكلام مخرج الخبر عن الكتاب بغير ذكر تمام الخبر اكتفاءً بدلالة الكلام على تمامه وتمامه: ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أنزلناه عليه، وهذا كتاب أنزلناه لسانا عربيا.

اختلف في تأويل ذلك، وفي المعنى الناصب لسانا عربيا أهل العربية، فقال بعض نحويي البصرة: نصب اللسان والعربي، لأنه من صفة الكتاب، فانتصب على الحال، أو على فعل مضمر، كأنه قال: أعني لسانا عربيا. قال: وقال بعضهم على مصدق جعل الكتاب مصدق اللسان، فعلى قول من جعل اللسان نصبا على الحال، وجعله من صفة الكتاب، ينبغي أن يكون تأويل الكلام، وهذا كتاب بلسان عربيّ مصدق التوراة كتاب موسى، بأن محمداً لله رسول، وأن ما جاء به من عند الله حقّ. وأما القول الثاني الذي حكيناه عن بعضهم، أنه جعل الناصب للسان مصدق، فقول لا معنى له، لأن ذلك يصير إذا يؤول كذلك إلى أن الذي يصدق القرآن نفسه، ولا معنى لأن يقال: وهذا كتاب يصدق نفسه، لأن اللسان العربيّ هو هذا الكتاب، إلا أن يجعل اللسان العربيّ محمداً عليه الصلاة والسلام، ويوجه تأويله إلى: وهذا كتاب وهو القرآن يصدق محمداً، وهو اللسان العربيّ، فيكون ذلك وجهاً من التأويل.

وقال بعض نحويي الكوفة: قوله: لسانا عربيا من نعت الكتاب، وإنما نصب لأنه أريد به: وهذا كتاب يصدق التوراة والإنجيل لسانا عربيا، فخرج لسانا عربيا من يصدق، لأنه فعل، كما تقول: مررت برجل يقوم محسنا، ومررت برجل قائم محسنا، قال: ولو رفع لسان عربيّ جاز على النعت للكتاب. وقد ذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود «وهذا كتاب مصدق لما بين يديه لسانا عربيا» فعلى هذه القراءة يتوجه النصب في قوله: لسانا عربيا من وجهين: أحدهما على ما بينت من أن يكون اللسان خارجا من قوله مُصَدِّقٌ والآخر: أن يكون قطعا من الهاء التي في بين يديه.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يكون منصوبا على أنه حال مما في مصدق من ذكر الكتاب، لأن قوله: مصدق فعل، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك: وهذا القرآن يصدق كتاب موسى بأن محمداً نبي مرسل لسانا عربيا. وقوله: لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا يقول: لينذر هذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد عليه الصلاة والسلام الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله بعبادتهم غيره. وقوله: وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ يقول: وهو بشرى للذين أطاعوا الله فأحسنوا في إيمانهم وطاعتهم إياه في الدنيا، فحسن الجزاء من الله لهم في الآخرة على طاعتهم إياه. وفي قوله: وَبُشْرَى وَجْهَانٍ مِنَ الْإِعْرَابِ: الرفع على العطف على الكتاب بمعنى: وهذا كتاب مصدق وبشرى للمحسنين. والنصب على معنى: لينذر الذين ظلموا وببشر، فإذا جعل مكان يبشر وبشرى أو وبشارة، نصبت كما تقول أتيتك لأزورك وكرامة لك، وقضاء لحقك، بمعنى لأزورك وأكرمك، وأقضي حقك، فتنصب الكرامة والقضاء بمعنى مضمر.

واختلفت القراء في قراءة لِيُنذِرَ فقراً ذلك عامة قراء الحجاز «لِيُنذِرَ»
بالتاء بمعنى: لتنذر أنت يا محمد، وقراءته عامة قراء العراق بالياء بمعنى:
لينذر الكتاب، وبأي القراءتين قرأ ذلك القارىء فمصيب.

الآية : 13-14

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} * أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

يقول تعالى ذكره: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ الذي لا إله غيره ثُمَّ اسْتَقَامُوا
على تصديقهم بذلك فلم يخلطوه بشرك، ولم يخالفوا الله في أمره ونهيه
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من فزع يوم القيامة وأهواله وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ على ما خلفوا
وراءهم بعد مماتهم.

وقوله: أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين قالوا هذا
القول، واستقاموا أهل الجنة وسكانها خَالِدِينَ فِيهَا يقول: ما كتبت فيها أبداً
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يقول: ثواباً منا لهم أتيناهم ذلك على أعمالهم
الصالحة التي كانوا في الدنيا يعملونها.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ
كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ}.

يقول تعالى ذكره: ووصينا ابن آدم بوالديه الحسن في صحبته إياهما أيام
حياتهما، والبرّ بهما في حياتهما وبعد مماتهما.

واختلفت القراء في قراءة قوله: إحساناً فقراءته عامة قراء المدينة
والبصرة «حُسْنًا» بضم الحاء على التأويل الذي وصفت. وقرأ ذلك عامة
قراء الكوفة إحساناً بالالف، بمعنى: ووصيناها بالإحسان إليهما، وبأي ذلك
قرأ القارىء فمصيب، لتقارب معاني ذلك، واستفاضة القراءة بكل واحدة
منهما في القراء.

وقوله: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا يقول تعالى ذكره: ووصينا الإنسان
بوالديه إحساناً برّاً بهما، لما كان منهما إليه حملاً ووليداً وناشئاً، ثم وصف
جل ثناؤه ما لديه من نعمة أمه، وما لاقت منه في حال حمله ووضعه، ونبهه
على الواجب لها عليه من البرّ، واستحقاقها عليه من الكرامة وجميل
الصحة، فقال: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ يعني في بطنها كرها، يعني مشقة، وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا
يقول: وولادته كرها يعني مشقة. كما:

24172_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة حَمَلَتْهُ
أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا يقول: حملته مشقة، ووضعت مشقة.

24173_ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة
والحسن، في قوله: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا قال: حملته في مشقة،
ووضعت في مشقة.

24174_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى
وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي
نجيح، عن مجاهد، قوله: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا قال: مشقة عليها.

واختلفت القراء في قراءة قوله: كُرِّها فقرأته عامة قراءة المدينة والبصرة «كُرِّها» بفتح الكاف، وقراءته عامة قراء الكوفة كُرِّها بضمها، وقد بينت اختلاف المختلفين في ذلك قبل إذا فتح وإذا ضم في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان، متقاربتا المعنى، فبأبتهما قرأ القاريء فمصيب.
وقوله: وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا يقول تعالى ذكره: وحمل أمه إياه جنينا في بطنها، وفصالها إياه من الرضاع، وفطمها إياه، شرب اللبن ثلاثون شهرا.

واختلفت القراء في قراءة قوله: وَفِصَالُهُ، فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار غير الحسن البصري: وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ بمعنى: فاصلته أمه فصلاً ومفاصلة. وُذِّكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأه: «وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ» بفتح الفاء بغير ألف، بمعنى: وفصل أمه إياه.

والصواب من القول في ذلك عندنا، ما عليه قراء الأمصار، لإجماع الحجة من القراء عليه، وشذوذ ما خالفه.

وقوله: حتى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ اختلف أهل التأويل في مبلغ حد ذلك من السنين، فقال بعضهم: هو ثلاث وثلاثون سنة. ذكر من قال ذلك:

24175- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت عبد الله

بن عثمان بن خثيم، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: أشدّه: ثلاث وثلاثون سنة، واستواؤه أربعون سنة، والعذر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون.

24176- حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة حتى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ قال: ثلاثا وثلاثين.

وقال آخرون: هو بلوغ الحلم. ذكر من قال ذلك:

24177- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا مجالد،

عن الشعبي، قال: الأشدّ: الحلم إذا كتبت له الحسنات، وكتبت عليه السيئات.

وقد بينا فيما مضى الأشدّ جمع شدّ، وأنه تناهي قوّته واستوائه. وإذا كان ذلك كذلك، كان الثلاث والثلاثون به أشبه من الحلم، لأن المرء لا يبلغ في حال حُلْمه كمال قواه، ونهاية شدّته، فإن العرب إذا ذكرت مثل هذا من الكلام، فعطفت ببعض على بعض جعلت كلا الوقتين قريباً أحدهما من صاحبه، كما قال جل ثناؤه: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَلَا تَكَادُ تَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ قَرِيبًا مِنْ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ وَكُلَّهُ، وَلَا أَخَذْتَ قَلِيلًا مِنْ مَالٍ أَوْ كُلِّهِ، وَلَكِنْ تَقُولُ: أَخَذْتُ عَامَةً مَالِي أَوْ كُلِّهِ، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا شَكَّ أَنْ نَسِقَ الْأَرْبَعِينَ عَلَى الثَّلَاثِ وَالثَّلَاثِينَ أَحْسَنَ وَأَشْبَهَ، إِذْ كَانَ يُرَادُ بِذَلِكَ تَقْرِيبَ أَحَدِهِمَا مِنَ الْآخَرِ مِنَ النَّسِقِ عَلَى الْخَمْسِ عَشْرَةَ أَوْ الثَّمَانِ عَشْرَةَ.

وقوله: وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ذَلِكَ حِينَ تَكَامَلَتْ حِجَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَسِيرَ عَنْهُ جِهَالَةَ شَبَابِهِ وَعَرَفَ الْوَاجِبَ لِلَّهِ مِنَ الْحَقِّ فِي بَرٍّ وَالِدِيهِ. كما:

24178- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَبَلَغَ

أَرْبَعِينَ سَنَةً وَقَدْ مَضَى مِنْ سَيِّئِ عَمَلِهِ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ رَبِّ أَوْزَعْنِي حَتَّى بَلَغَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ مَضَى مِنْ سَيِّءِ عَمَلِهِ مَا مَضَى.

وقوله: قَالَ رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ يقول تعالى ذكره: قَالَ هَذَا الْإِنْسَانُ الَّذِي هَدَاهُ اللَّهُ لِرَشْدِهِ، وَعَرَفَ حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِيمَا أَلْزَمَهُ مِنْ بَرٍّ وَالدَّيَّةِ رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ يقول: أَعْرَنِي بِشُكْرِ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فِي تَعْرِيفِكَ إِيَّاي تَوْحِيدِكَ وَهَدَايَتِكَ لِي لِلْإِقْرَارِ بِذَلِكَ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ وَعَلَى وَالِدَيَّ مِنْ قَبْلِي، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نِعْمِكَ عَلَيْنَا، وَأَلْهَمَنِي ذَلِكَ. وَأَصْلُهُ مِنْ وَزَعْتَ الرَّجُلَ عَلَى كَذَا: إِذَا دَفَعْتَهُ عَلَيْهِ. وَكَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ فِي ذَلِكَ مَا:

24179_ حدثني به بونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ قال: اجعلني أشكر نعمتك، وهذا الذي قاله ابن زيد في قوله: رَبِّ أَوْزَعْنِي وَإِنْ كَانَ يُؤُولُ إِلَيْهِ مَعْنَى الْكَلِمَةِ، فَلَيْسَ بِمَعْنَى الْإِبْرَازِ عَلَى الصَّحَةِ.

وقوله: وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ يقول تعالى ذكره: أَوْزَعْنِي أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَرْضَاهَا، وَذَلِكَ الْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقوله: وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي يقول: وَأَصْلِحْ لِي أُمُورِي فِي دُرِّيَّتِي الَّذِينَ وَهَبْتَهُمْ، بَأَنْ تَجْعَلَهُمْ هِدَاةً لِلْإِيمَانِ بِكَ، وَاتِّبَاعَ مَرْضَاتِكَ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ، فَوْصَاهُ جَلِّ ثَنَاؤُهُ بِالْبِرِّ بِالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله: إِنِّي نُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذا الإنسان: إِنِّي نُبْتُ إِلَيْكَ يقول: تبت من ذنوبي التي سلفت مني في سالف أيامي إليك وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ يقول: وَإِنِّي مِنَ الْخَاضِعِينَ لَكَ بِالطَّاعَةِ، الْمُسْتَسْلِمِينَ لِأَمْرِكَ وَنَهْيِكَ، الْمُنْقَادِينَ لِحُكْمِكَ.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ}. يقول تعالى ذكره: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَتُهُمْ، هُمُ الَّذِينَ يُتَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ، فَيَجَازِيهِمْ بِهِ، وَيُشِيهِمُ عَلَيْهِمْ وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ يَقُولُ: وَيَصْفَحُ لَهُمْ عَنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا، فَلَا يَعَاقِبُهُمْ عَلَيْهَا فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ يَقُولُ: نَفَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ فَعَلْنَا مِثْلَ ذَلِكَ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَأَهْلَهَا الَّذِينَ هُمُ أَهْلُهَا. كَمَا:

24180_ حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن الحكم بن أبان، عن الغطريف، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح الأمين، قال: «يُؤْتَى بِحَسَنَاتِ الْعَبْدِ وَسَيِّئَاتِهِ، فَيُقْتَصَّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ فَإِنْ بَقِيََتْ حَسَنَةٌ وَسَّعَ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ» قال: فَدَخَلْتُ عَلَى يَزِيدٍ فَحَدَّثَ بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ ذَهَبَتِ الْحَسَنَةُ؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ... الْآيَةَ.

24181_ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، قال: دعا أبو بكر عمر رضي الله عنهما، فقال له: إني أوصيك بوصية أن تحفظها:

إن لله في الليل حقا لا يقبله بالنهار، وبالنهار حقا لا يقبله بالليل، إنه ليس لأحد نافلة حتى يؤدّي الفريضة، إنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقل ذلك عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل، وخفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة، لاتباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف، ألم تر أن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم، فيقول قائل: أين يبلغ عملي من عمل هؤلاء، وذلك أن الله عز وجل تجاوز عن أسوأ أعمالهم فلم يبددهم، ألم تر أن الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم حتى يقول قائل: أنا خير عملاً من هؤلاء، وذلك بأن الله رد عليهم أحسن أعمالهم، ألم تر أن الله عز وجل أنزل آية الشدة عند آية الرخاء، وآية الرخاء عند آية الشدة، ليكون المؤمن راغباً راهباً، لئلا يلقي بيده إلى التهلكة، ولا يتمنى على الله أمنية يتمنى على الله فيها غير الحق.

واختلفت القراء في قراءة قوله: **تَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ** فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة «**تَتَقَبَّلُ، وَتَتَجَاوَزُ**» بضم الياء منهما، على ما لم يسم فاعله، ورفع «**أَحْسَنَ**». وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة **تَتَقَبَّلُ، وَتَتَجَاوَزُ** بالنون وفتحها، ونصب **أَحْسَنَ** على معنى إخبار الله جل ثناؤه عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم، ورداً للكلام على قوله: **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ** ونحن نتقبل منهم أحسن ما عملوا وتجاوز، وهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: **وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ** يقول: وعدهم الله هذا الوعد، وعد الحق لا شك فيه أنه موف لهم به، الذي كانوا إياه في الدنيا يعدهم الله تعالى، ونصب قوله: **وَعَدَ الصِّدْقِ** لأنه مصدر خارج من قوله: **تَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ**، وإنما أخرج من هذا الكلام مصدر وعد وعدا، لأن قوله: **تَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ وَتَتَجَاوَزُ** وعد من الله لهم، فقال: وعد الصدق، على ذلك المعنى.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: { وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمْ مَا اتَّعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَنْغِيانِ اللَّهَ وَبَلَكَ آمِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ قَيِّقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ }

وهذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضال به كافر، وبوالديه عاق، وهما مجتهدان في نصيحتته ودعائه إلى الله، فلا يزيده دعاؤهما إياه إلى الحق، ونصيحتهما له إلا عتوا وتمردا على الله، وتماديا في جهله، يقول الله جل ثناؤه **وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَنْ دَعَاؤُهُمَا إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَالْإِقْرَارِ بِبِعْثِ اللَّهِ خَلْقَهُ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَمَجَازَاتِهِ إِيَّاهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ أَفَ لَكُمْ يَقُولُ: قَدْرًا لَكُمْ وَتَنَّا اتَّعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ** يقول اتعدانني أن أخرج من قبري من بعد فنائي وبلائي فيه حيا. كما:

24182- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة **اتَّعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ أَنْ أُبْعَثَ بَعْدَ الْمَوْتِ.**

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: **اتَّعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ** قال: يعني البعث بعد الموت.

24183- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفَ لَكُمْ اتَّعَدَانِي...**

إلى آخر الآية قال: الذي قال هذا ابن أبي بكر رضي الله عنه, قال: أَعِدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ: أَعِدَّانِي أَنْ أُبْعَثَ بَعْدَ الْمَوْتِ.

24184- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوزة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفَ لَكُمْ أَعِدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ قال: هو الكافر الفاجر العاق لوالديه, المكذب بالبعث.

24185- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ثم نعت عبد سوء عاقا لوالديه فاجرا فقال: وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفَ لَكُمْ... إلى قوله: أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ.

وقوله: وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي يقول: أَعِدَّانِي أَنْ أُبْعَثَ, وقد مضت قرون من الأمم قبلي, فهلكوا, فلم يبعث منهم أحدا, ولو كنت مبعوثا بعد وفاتي كما تقولان, لكان قد بُعِثَ من هلك قبلي من القرون وهما يَسْتَعِينَانِ اللهُ يقول تعالى ذكره: ووالداه يستصرخان الله عليه, ويستغيثانه عليه أن يؤمن بالله, ويقرّ بالبعث ويقولان له: وَيَلْكَ آمَنَ, أي صدّق بوعد الله, وأقرّ أنك مبعوث من بعد وفاتك, إن وعد الله الذي وعد خلقه أنه باعثهم من قبورهم, ومخرجهم منها إلى موقف الحساب لمجازاتهم بأعمالهم حق لا شك فيه, فيقول عدو الله مجيبا لوالديه, وردّا عليهما نصيحتهما, وتكذيبا بوعد الله: ما هذا الذي تقولان لي وتدعواني إليه من التصديق بأنني مبعوث من بعد وفاتي من قبوري, إلا ما سطره الأولون من الناس من الأباطيل, فكتبوه, فأصبتماه أنما فصّدقتما.

الآية : 18-19

القول في تأويل قوله تعالى: { أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ * وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفِقِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم, الذين وجب عليهم عذاب الله, وحلت بهم عقوبته وسخطه, فيمن حلّ به عذاب الله على مثل الذي حلّ بهؤلاء من الأمم الذين مضوا قبلهم من الجنّ والإنس, الذين كذبوا رسل الله, وعتوا عن أمر ربهم.

وقوله: إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ يقول تعالى ذكره: إنهم كانوا المغبونين ببيعهم الهدى بالضلال والنعيم بالعقاب.

24186- حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا معاذ بن هشام, قال: حدثنا أبي, عن قتادة, عن الحسن, قال: الجنّ لا يموتون, قال قتادة: فقلت أولئك الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَّتِ... الآية.

وقوله: وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا يقول تعالى ذكره: ولكلّ هؤلاء الفريقين: فريق الإيمان بالله واليوم الآخر, والبِرّ بالوالدين, وفريق الكفر بالله واليوم الآخر, وعقوق الوالدين اللذين وصف صفتهم ربنا عزّ وجلّ في هذه الآيات منازل ومراتب عند الله يوم القيامة, مما عملوا, يعني من عملهم الذي عملوه في الدنيا من صالح وحسن وسيء يجازيهم الله به. وقد:

24187- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا قال: درج أهل النار يذهب سفالاً, ودرج أهل الجنة يذهب علواً وَلِيُؤْفِقِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ يقول جلّ ثناؤه: وليعطي جميعهم أجور أعمالهم التي عملوها في الدنيا, المحسن منهم بإحسانه ما وعد الله من الكرامة, والمسيء منهم بإساءته ما أعدّه من الجزاء وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ يقول:

وجميعهم لا يظلمون: لا يجازي المسيء منهم إلا عقوبة على ذنبه، لا على ما لم يعمل، ولا يحمل عليه ذنب غيره، ولا يبخس المحسن منهم ثواب إحصانه.

الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى: { وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طِبْيَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ } .
يقول تعالى ذكره: وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ عَلَى النَّارِ يُقَالُ لَهُمْ: أَدْهَبْتُمْ طِبْيَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا، وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فِيهَا. كما:

24188- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ قرأ يزيد حتى بلغ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ تعلمون والله إن أقواما يَسْتَرْطُونَ حسناتهم. استبقى رجل طبيباته إن استطاع، ولا قوّة إلا بالله. ذكر أن عمر بن الخطاب كان يقول: لو شئت كنت أطيبكم طعاما، وألينكم لباسا، ولكني أستبقي طبيباتي. وذكر لنا أنه لما قدم الشام، صنع له طعام لم ير قبله مثله، قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟ قال خالد بن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر، وقال: لئن كان حظنا في الحُطام، وذهبوا قال أبو جعفر: فيما أرى أنا بالجنة، لقد باينونا بونا بعيدا.

24189- وذكر لنا. أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم دخل على أهل الصّفة مكانا يجتمع فيه فقراء المسلمين، وهم يَرْقَعُونَ ثيابهم بالأدم، ما يجدون لها رقاعا، قال: «أنتم اليوم خير، أو يوم يغدو أحدكم في حلة، ويروح في أخرى، ويغدي عليه بجفنة، ويُرَاح عليه بأخرى، ويستتر بيته كما تستر الكعبة». قالوا: نحن يومئذٍ خير، قال: «بل أنتم اليوم خير».

24190- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: حدثنا صاحب لنا عن أبي هريرة، قال: «إنما كان طعامنا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم الأسودين: الماء، والتمر، والله ما كنا نرى سمراءكم هذه، ولا ندرى ما هي».

24191- قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي بردة بن عبد الله بن قيس الأشعريّ، عن أبيه، قال: أي بنيّ لو شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مع نبينا إذا أصابتنا السماء، حسبت أن ريحنا ريح الضأن، إنما كان لباسنا الصوف.

24192- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عزّ وجلّ أَدْهَبْتُمْ طِبْيَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا... إلى آخر الآية، ثم قرأ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا نُوفًا إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا، وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ، وَقَرَأَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَزَنَ الْآخِرَةِ تَزِدْ لَهُ فِي حَزَنِهِ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَزَنَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَقَرَأَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ... إلى آخر الآية، وقال: هؤلاء الذين أذهبوا طبيباتهم في حياتهم الدنيا.

واختلفت القراء في قراءة قوله: أَدْهَبْتُمْ طِبْيَاتِكُمْ، فقراءته عامة قراء الأمصار أَدْهَبْتُمْ بغير استفهام، سوى أبي جعفر القاريّ، فإنه قرأه بالاستفهام، والعرب تستفهم بالتوبيخ، وترك الاستفهام فيه، فتقول: أذهب ففعلت كذا وكذا، وذهبت ففعلت وفعلت. وأعجب القراءتين إليّ ترك الاستفهام فيه، لإجماع الحجة من القراء عليه، ولأنه أفصح اللغتين.

وقوله فاليوم تُجزون عذاب الهون يقول تعالى ذكره: يقال لهم: فاليوم أيها الكافرون الذين أذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا تجزون: أي تشابون عذاب الهون، يعني عذاب الهوان، وذلك عذاب النار الذي يهينهم. كما:
 24193- حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحديثي الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد عذاب الهون قال: الهوان بما كنتم تتكبرون في الدنيا على ظهر الأرض، بغير الحق يقول: بما كنتم تتكبرون في الدنيا على ظهر الأرض على ربكم، فتأبون أن تخلصوا له العبادة، وأن تدعوا لأمره ونهيه بغير الحق، أي بغير ما أباح لكم ربكم، وأذن لكم به وبما كنتم تفسقون يقول: بما كنتم فيها تخالفون طاعته فتعضونه.

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّدَى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: واذكريا محمد لقومك الراديين عليك ما جئتهم به من الحق هوذا أخا عاد، فإن الله بعثك إليهم كالذي بعثه إلى عاد، فخوؤهم أن يحل بهم من نعمة الله على كفرهم ما حل بهم إذ كذبوا رسولنا هوذا إليهم، إذ أنذر قومه عاداً بالأحقاف. والأحقاف: جمع حقف وهو من الرمل ما استطال، ولم يبلغ أن يكون جبلاً، وإياه عنى الأعشى:

قَبَاتٍ إِلَى أَرْضَاتٍ جَفِيفٍ تُلْفُهُ خَرِيْقٌ شَمَالٍ يَبْرُكُ الْوَجْهَ أَقْتَمَا
 واختلف أهل التأويل في الموضع الذي به هذه الأحقاف، فقال بعضهم: هي جبل بالشام. ذكر من قال ذلك:

24194- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ قَالَ: الأحقاف: جبل بالشام.

24195- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ جبل يسمى الأحقاف.

وقال آخرون: بل هي واد بين عمان ومهرة. ذكر من قال ذلك:
 24196- حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ قَالَ: فقال: الأحقاف الذي أنذر هود قومه واد بين عمان ومهرة.

24197- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كانت منازل عاد وجماعتهم، حيث بعث الله إليهم هوذا الأحقاف: الرمل فيما بين عُمان إلى حَضْرَمَوْتِ، فاليمن كله، وكانوا مع ذلك قد قَسُوا في الأرض كلها، قهرها أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله.

وقال آخرون: هي أرض. ذكر من قال ذلك:
 24198- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: الأحقاف: الأرض.

24199- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ قال: حشاف أو كلمة تشبهها, قال أبو موسى: يقولون مستحشف.

24200- حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ حِشَافٍ مِنْ جِسْمِي. وقال آخرون: هي رمال مُشْرِفَةٌ عَلَى الْبَحْرِ بِالشَّحْرِ. ذكر من قال ذلك:

24201- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَادُّكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ عَادًا كَانُوا حَيًّا بِالْيَمَنِ أَهْلَ رَمَلٍ مُشْرِفِينَ عَلَى الْبَحْرِ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا الشَّحْرُ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله وَادُّكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ قال: بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا الشَّحْرُ, مشرفين على البحر, وكانوا أهل رمل.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا عمرو بن الحارث, عن سعيد بن أبي هلال, عن عمرو بن عبد الله, عن قتادة, أنه قال: كان مساكن عاد بالشَّحْرِ.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أن عاداً أنذرهم أخوهم هود بالأحقاف, والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة, كما قال العجاج:

بات إلى أرضٍ جَفِّفٍ أَحْقَافًا
وكما:

24202- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَادُّكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ قال: الأحقاف: الرمل الذي يكون كهيئة الجبل تدعوه العرب الحقف, ولا يكون أحقافاً إلا من الرمل, قال: وأخو عاد هود. وجائز أن يكون ذلك جبلاً بالشَّام. وجائز أن يكون وادياً بين عمان وحضرموت. وجائز أن يكون الشحر وليس في العلم به أداء فرض, ولا في الجهل به تضييع واجب, وأين كان فصفته ما وصفنا من أنهم كانوا قوماً منازلهم الرمال المستطيلة المستطيلة.

وقوله: وَقَدْ خَلَّتِ النَّدُورُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ يقول تعالى ذكره: وقد مضت الرسل بإنذار أممها مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ يَعْنِي: من قبل هود وَمِنْ خَلْفِهِ, يَعْنِي: ومن بعد هود. وقد ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ «وَقَدْ خَلَّتِ النَّدُورُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ بَعْدِهِ», أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ يقول: لا تشركوا مع الله شيئاً في عبادتكم إياه, ولكن اخلصوا له العبادة, وأفردوا له الألوهة, إنه لا إله غيره, وكانوا فيما ذُكِرَ أَهْلُ أَوْثَانٍ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ. ونحن الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24203- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: وَقَدْ خَلَّتِ النَّدُورُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قال: لن يبعث الله رسولاً إلا بأن يعبد الله.

وقوله: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هود لقومه: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ بَعَادَتِكُمْ غَيْرَ اللَّهِ عَذَابَ اللَّهِ فِي يَوْمٍ عَظِيمٍ وَذَلِكَ يَوْمٌ يَعْظُمُ هَوْلُهُ, وهو يوم القيامة.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالُوا أَجِئْنَا لِنُؤْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } .

يقول تعالى ذكره: قالت عاد لهود، إذ قال لهم لا تعبدوا إلا الله: إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، أجئتنا يا هود لتصرفنا عن عبادة آلهتنا إلى عبادة ما تدعوننا إليه، وإلى اتباعك على قولك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24204- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال ابن زيد، في قوله: { أَجِئْنَا لِنُؤْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا قَالَ: لتزيلنا، وقرأ إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها قال: تضلنا وتزيلنا وتأفكنا فأتنا بما تعدنا من العذاب على عبادتنا ما نعبد من الآلهة إن كنت من أهل الصدق في قوله وعداته.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ } .

يقول تعالى ذكره: قال هود لقومه عاد: إنما العلم بوقت مجيء ما أعدكم به من عذاب الله على كفركم به عند الله، لا أعلم من ذلك إلا ما علمني وأبليغكم ما أُرْسِلْتُ بِهِ يقول: وإنما أنا رسول إليكم من الله، مبلغ أبلغكم عنه ما أرسلني به من الرسالة ولكني أراكم قوماً تجهلون مواضع حظوظ أنفسكم، فلا تعرفون ما عليها من المضرة بعبادتكم غير الله، وفي استعجال عذابه.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: { فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مِّمَطِرْنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } .

يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم عذاب الله الذي استعجلوه، فرأوه سحابة عارضا في ناحية من نواحي السماء مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ والعرب تسمى السحاب الذي يرى في بعض أقطار السماء عشيا، ثم يصبح من الغد قد استوى، وجبا بعضه إلى بعض عارضا، وذلك لعرضه في بعض أرجاء السماء حين نشأ، كما قال الأعشى:

يَا مَنْ يَرَى عَارِضًا قَدْ بَتَّ أَرْمُقُهُكَاتِمَا الْبَرْقُ فِي حَافَاتِهِ السَّعَلُ

قالوا هَذَا عَارِضٌ مِّمَطِرْنَا ظننا منهم برؤيتهم إياه أن غيثا قد أتاهم يحيون به، فقالوا: هذا الذي كان هوذا يعدنا، وهو الغيث. كما:

24205- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: { فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ... } الآية، ودُكر لنا أنهم حبس عنهم المطر زمانا، فلما رأوا العذاب مقبلا، قالوا هَذَا عَارِضٌ مِّمَطِرْنَا. ودُكر لنا أنهم قالوا: كذب هود كذب هود فلما خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فشامه، قال: بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ.

24206- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ساق الله السحابة السوداء التي اختار قيلُ ابن عنز بما فيها من النقمة إلى عاد، حتى تخرج عليهم من واد لهم يقال له المغيث، فلما رأوها استبشروا، وقالوا هَذَا عَارِضٌ مِّمَطِرْنَا: يقول الله عز وجل: بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ.

وقوله: بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه صلى الله عليه وسلم هود لقومه لما قالوا له عند رؤيتهم عارض العذاب، قد

عرض لهم في السماء هذا عارض ممطرنا نحيا به، ما هو بعارض غيث، ولكنه عارض عذاب لكم، بل هو ما استعجلتم به: أي هو العذاب الذي استعجلتم به، فقلتم: أئتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ريح فيها عذاب أليم. والريح مكبرة على ما في قوله: هو ما استعجلتم به كأنه قيل: بل هو ريح فيها عذاب أليم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24207_ حدثنا محمد بن المثني، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، قال: كان هود جلدا في قومه، وإنه كان قاعدا في قومه، فجاء سحاب مكفهري، فقالوا هذا عارض ممطرنا فقال: بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم قال: فجاءت ريح فجعلت تلقي الفسطاط، وتجيء بالرجل الغائب فتلقيه.

24208_ حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال سليمان، حدثنا أبو إسحاق، عن عمرو بن ميمون، قال: لقد كانت الريح تحمل الطعينة فترفعها حتى ترى كأنها جرادة.

24209_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: قلما رأوه عارضا مستقبلا أوديتهم... إلى آخر الآية، قال: هي الريح إذا أثارت سحابا، قالوا: هذا عارض ممطرنا، فقال نبهم: بل ريح فيها عذاب أليم.

الآية: 25

القول في تأويل قوله تعالى: {تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ}.

وقوله تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا: يقول تعالى ذكره: تخرب كل شيء، وترمي بعضه على بعض فتهلكه، كما قال جرير: وَكَانَ لَكُمْ كَبْكِرٌ تَمُودٌ لَمَّا رَا غَا طَهْرًا قَدَمَرَهُمْ دَمَارًا يعني بقوله: دمرهم: ألقى بعضهم على بعض صرعى هلكى. وإنما عنى بقوله: تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا مما أرسلت بهلاكه، لأنها لم تدمر هودا ومن كان أمين به.

24210_ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا طلق، عن زائدة، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ما أرسل الله على عادٍ من الريح إلا قدر خاتمي هذا، فنزع خاتمه.

وقوله: فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ يقول: فأصبح قوم هود وقد هلكوا وفنوا، فلا يرى في بلادهم شيء إلا مساكينهم التي كانوا يسكنونها.

واختلفت القراء في قراءة قوله فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ فقرا ذلك عامة قراء المدينة والبصرة «لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ» بالتاء نصابا، بمعنى: فأصبحوا لا ترى أنت يا محمد إلا مساكينهم وقرا ذلك عامة قراء الكوفة لا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ بالياء في يرى، ورفع المساكن، بمعنى: ما وصفت قبل أنه لا يرى في بلادهم شيء إلا مساكينهم. وروى الحسن البصري «لَا تُرَى» بالتاء، وبأبي القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة والكوفة قرا ذلك القاريء فمصيب وهو القراءة برفع المساكن إذا قُرئ قوله يُرَى بالياء وضمها وينصب المساكن إذا قُرئ قوله: «تُرَى» بالتاء وفتحها، وأما التي حُكيت عن الحسن، فهي قبحة في العربية وإن كانت جائزة، وإنما قبحت لأن العرب تذكر الأفعال التي قبل إلا، وإن كانت الأسماء التي بعدها أسماء

إنّ، فتقول: ما قام إلا أختك، ما جاني إلا جاريتك، ولا يكادون يقولون: ما جاتني إلا جاريتك، وذلك أن المحذوف قبل إلا أحد، أو شيء واحد، وشيء يذكر فعلهما العرب، وإن عنى بهما المؤنث، فتقول: إن جاءك منهم أحد فأكرمه، ولا يقولون: إن جاءتك، وكان الفراء يجيزها على الاستكراه، ويذكر أن المفضل أنشده:

وَبَارِنَا لَمْ تُرْ نَارًا مِثْلَهَا قَدْ عَلِمْتَ ذَلِكَ مَعَدَّ أَكْرَمًا

فأنث فعل مثل لأنه للنار، قال: وأجود الكلام أن تقول: ما رؤي مثلها. وقوله: وكذلك تجزي القوم المجرمين يقول تعالى ذكره: كما جزينا عادا بكفرهم بالله من العقاب في عاجل الدنيا، فأهلكناهم بعدابنا، كذلك نجزي القوم الكافرين بالله من خلقنا، إذ تمادوا في غيهم وطعوا على ربهم.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} . يقول تعالى ذكره لكفار قريش: ولقد مكنا أيها القوم عادا الذين أهلكناهم بكفرهم فيما لم نمكنكم فيه من الدنيا، وأعطيناهم منها الذي لم نعطكم منهم من كثرة الأموال، وبسطة الأجسام، وشدة الأبدان، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24211- حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ} لم نمكنكم. 24212- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ} أنباكم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم.

وقوله: {وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا يَسْمَعُونَ بِهِ مَوَاعِظَ رَبِّهِمْ وَأَبْصَارًا يَبْصُرُونَ بِهَا حُجَّجَ اللَّهُ، وَأَفْئِدَةً يَعْقِلُونَ بِهَا مَا يَضُرُّهُمْ وَيَنْفَعُهُمْ} فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ يقول: فلم ينفعهم ما أعطاهم من السمع والبصر والفؤاد إذ لم يستعملوها فيما أعطوها له، ولم يعملوها فيما ينحبهم من عقاب الله، ولكنهم استعملوها فيما يقرّبهم من سخطه إذ كانوا يجحدون بآيات الله يقول: إذ كانوا يكذبون بحجج الله وهم رُسله، وينكرون نبوتهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون يقول: وعاد عليهم ما استهزأوا به، ونزل بهم ما سخروا به، فاستعجلوا به من العذاب، وهذا وعيد من الله جل ثناؤه لقريش، يقول لهم: فاحذروا أن يحلّ بكم من العذاب على كفركم بالله وتكذيبكم رسله، ما حلّ بعاد، وبادروا بالتوبة قبل النعمة.

الآية : 27-28

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} * فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكِ إِفْكَهُمُ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ} .

يقول تعالى ذكره لكفار قريش محذّرهم بأسه ووسطوته، أن يحلّ بهم على كفرهم ولقد أهلكنا أيها القوم من القرى ما حول قريبتكم، كحجر ثمود وأرض سدوم ومأرب ونحوها، فأنذرنا أهلها بالمثلات، وخرّبنا ديارها، فجعلناها خاوية على عروشها.

وقوله: {وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ} يقول: ووعظناهم بأنواع العظات، وذكرناهم بضروب من الذكر والحجج، وبيّنا لهم ذلك. كما: 24213- حدثني يونس،

قال: أخيرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ قَالَ بَيْنَاهَا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ يقول ليرجعوا عما كانوا عليه مقيمين من الكفر بالله وآياته. وفي الكلام متروك ترك ذكره استغناءً بدلالة الكلام عليه, وهو: فأبوا إلا الإقامة على كفرهم, والتمادي في غيهم, فأهلكناهم, فلن ينصرهم منا ناصر يقول جل ثناؤه: فلولا نصر هؤلاء الذين أهلكتناهم من الأمم الخالية قبلهم أو ثانهم وآلهتهم التي اتخذوا عبادتها قربانا يتقربون بها فيما زعموا إلى ربهم منا إذ جاءهم بأسنا, فتنقذهم من عذابنا إن كانت تشفع لهم عند ربهم كما يزعمون, وهذا احتجاج من الله لبيبه محمد صلى الله عليه وسلم على مُشركي قومه, يقول لهم: لو كانت آلهتكم التي تعبدون من دون الله تغني عنكم شيئاً, أو تنفعكم عند الله كما تزعمون أنكم إنما تعبدونها, لتقربكم إلى الله زلفى, لأغنت عنكم كان قبلكم من الأمم التي أهلكتها بعبادتهم إياها, فدفعت عنها العذاب إذا نزل, أو لشفعت لهم عند ربهم, فقد كانوا من عبادتها على مثل الذي عليه أنتم, ولكنها ضرتهم ولم تنفعهم: يقول تعالى ذكره: بل ضلوا عنهم يقول: بل تركتهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها, فأخذت غير طريقهم, لأن عبدتها هلكت, وكانت هي حجارة أو نحاسا, فلم يصبها ما أصابها ودعوها, فلم تجبهم, ولم تغنهم, وذلك ضلالها عنهم, وذلك إفكهم, يقول عز وجل هذه الآلهة التي ضلت عن هؤلاء الذين كانوا يعبدونها من دون الله عند نزول بأس الله بهم, وفي حال طمعهم فيها أن تغنهم, فخذلتهم, هو إفكهم: يقول: هو كذبهم الذي كانوا يكذبون, ويقولون هؤلاء آلهتنا وما كانوا يفترون, يقول: وهو الذي كانوا يفترون, فيقولون: هي تقربنا إلى الله زلفى, وهي شفاعونا عند الله. وأخرج الكلام مخرج الفعل, والمعنى المفعول به, فقيل: وذلك إفكهم, والمعنى فيه: المأفوك به لأن الإفك إنما هو فعل الآفك, والآلهة مأفوك بها. وقد مضى البيان عن نظائر ذلك قبل, قال: وكذلك قوله: وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ.

واختلفت القراء في قراءة قوله وَدَلَّكَ إِفْكُهُمْ فقرأته عامة قراء الأمصار: وذلك إفكهم بكسر الألف وسكون الفاء وضم الكاف بالمعنى الذي بينا. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك ما:

24214- حدثني أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا هشيم, عن عوف, عن عمن حدثه, عن ابن عباس, أنه كان يقرأها «وَدَلَّكَ أَفْكُهُمْ» يعني بفتح الألف والكاف وقال: أضلهم. فمن قرأ القراءة الأولى التي عليها قراء الأمصار, فالهاء والميم في موضع خفض. ومن قرأ هذه القراءة التي ذكرناها عن ابن عباس فالهاء والميم في موضع نصب, وذلك أن معنى الكلام على ذلك, وذلك صرفهم عن الإيمان بالله.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا, القراءة التي عليها قراءة الأمصار لإجماع الحجة عليها.

الآية: 29

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ تَقْرَأَ مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَبُوا لِمَا نُصِي وَيَلُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنذِرِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره مقررًا كفار قريش بكفرهم بما أمنت به الجن وإذ صرَّفنا إليك يا محمد تقرأ من الجن يستمعون القرآن ذكر أنهم صرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحادث الذي حدث من رجمهم بالشهب. ذكر من قال ذلك:

24215_ حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن زياد، عن سعيد بن جُبَير، قال: كانت الجنّ تستمع، فلما رُجموا قالوا: إن هذا الذي حدث في السماء لشيء حدث في الأرض، فذهبوا يطالبون حتى رأوا النبيّ صلى الله عليه وسلم خارجاً من سوق عكاظ يصلي بأصحابه الفجر، فذهبوا إلى قومهم.

24216_ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن أبوب، عن سعيد بن جُبَير، قال: «لما بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم حُرست السماء، فقال الشيطان: ما حُرست إلا لأمر قد حدث في الأرض فبعث سراياه في الأرض، فوجدوا النبيّ صلى الله عليه وسلم قائماً يصلي صلاة الفجر بأصحابه بنخلة، وهو يقرأ، فاستمعوا حتى إذا فرغ وُلّوا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ... إلى قوله مُسْتَقِيمٌ.»

24217_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنَّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ.... إلى آخر الآية، قال: لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، وكانوا يقعدون مقاعد للسمع فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم حرسَت السماء حرساً شديداً، ورُجمت الشياطين، فأنكروا ذلك، وقالوا: لا تَدْرِي أَشَرٌّ أَرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا فقال إبليس: لقد حدث في الأرض حدث، واجتمعت إليه الجنّ، فقال: تفرّقوا في الأرض، فأخبروني ما هذا الخبر الذي حدث في السماء، وكان أول بعث ركب من أهل نصيبين، وهي أشراف الجنّ وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة، فاندفعوا حتى بلغوا الوادي، وادي نخلة، فوجدوا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة، فاستمعوا فلما سمعوه يتلو القرآن، قالوا: أنصتوا، ولم يكن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم علم أنهم استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين.

واختلف أهل التأويل في مبلغ عدد نفر الذين قال الله وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنَّ فقال بعضهم: كانوا سبعة نفر. ذكر من قال ذلك:

24218_ حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا عبد الحميد، قال: حدثنا النضر بن عربيّ، عن عكرمة، عن ابن عباس وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنَّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ... الآية، قال: كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين، فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلاً إلى قومهم.

وقال آخرون: بل كانوا تسعة نفر. ذكر من قال ذلك:

24219_ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى، عن سفيان، عن عاصم، عن زُرِّ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنَّ قال: كانوا تسعة نفر فيهم رُوْبَعَةٌ.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن عاصم، عن زُرِّ بن حبيش، قال: أنزل على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة، فَلَمَّا حَصَرُوهُ قال: كانوا تسعة أحدهم رُوْبَعَةٌ.

وقوله: فَلَمَّا حَصَرُوهُ يقول: فلما حضر هؤلاء نفر من الجنّ الذين صرفهم الله إلى رسوله نبيّ الله صلى الله عليه وسلم.

واختلف أهل العلم في صفة حضورهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم: حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتعرّفون الأمر

الذي حدث من قبله ما حدث في السماء, ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشعر بمكانهم, كما قد ذكرنا عن ابن عباس قبل. وكما:

24220- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوزة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنَّةِ** قال: ما شعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاؤوا, فأوحى الله عز وجل إليه فيهم, وأخبر عنهم.

وقال آخرون: بل أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليهم القرآن, وأنهم جمعوا له بعد أن تقدّم الله إليه بإنذارهم, وأمره بقراءة القرآن عليهم. ذكر من قال ذلك:

24221- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنَّةِ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ** قال: ذكر لنا أنهم صرّفوا إليه من نيتوى, قال: فإن نبي الله صلى الله عليه وسلم, قال: «إني أمرت أن أقرأ القرآن على الجنّ, فأيكم يتبعني؟» فأطرقوا, ثم استتبعهم فأطرقوا, ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا, فقال رجل: يا رسول الله إنك لذو بدئه, فاتبعه عبد الله بن مسعود, فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون. قال: وخط نبي الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله خطأ ليثته به, قال: فجعلت تهوي بي وأرى أمثال النسور تمشي في دفوفها, وسمعت لغطا شديدا, حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم, ثم تلا القرآن فلما رجع نبي الله قلت: يا نبي الله ما اللغط الذي سمعت؟ قال: «اجتمعوا إليّ في قتل كان بينهم, ففضي بينهم بالحق». ودُكر لنا أن ابن مسعود لما قدّم الكوفة رأى شيوخا شُمطا من الرّط, فراعوه, قال: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء نفر من الأعاجم, قال: ما رأيت للذين قرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام من الجنّ شيئا أدنى من هؤلاء.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ذهب وابن مسعود ليلة دعا الجنّ, فخط النبي صلى الله عليه وسلم على ابن مسعود خطأ, ثم قال له: «لا تخرج منه». ثم ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجنّ, فقرأ عليهم القرآن, ثم رجع إلى ابن مسعود فقال: «هل رأيت شيئا؟» قال: سمعت لغطا شديدا, قال: إن الجنّ تدارأت في قتل قُتل بينها, ففضي بينهم بالحق, وسألوه المزداد, فقال: «كل عظم لكم عرق, وكلّ روث لكم خُصرة». قالوا: يا رسول الله تقدّرنا الناس علينا, فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بأحدهما فلما قدم ابن مسعود الكوفة رأى الرّط, وهم قوم طوال سود, فأزعوه, فقال: أظهِروا؟ فقبل له: إن هؤلاء قوم من الرّط, فقال ما أشبههم بالنفر الذين صرّفوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

24222- قال: ثنا ابن ثور, عن معمر. عن يحيى بن أبي كثير, عن عبد الله بن عمرو بن عيلان الثقفي أنه قال لابن مسعود: حُذث أنك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجنّ, قال: أجل, قال: فكيف كان؟ فذكر الحديث كله. ودُكر أن النبي صلى الله عليه وسلم خطّ عليه خطأ وقال: «لا تبرح منها», فذكر أن مثل العجاجة السوداء غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم, فدُعر ثلاث مرّات, حتى إذا كان قريبا من الصبح, أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «أُنمّت؟» قلت: لا والله,

ولقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تفرعهم بعصاك تقول: «اجلسوا»، قال: «لو خرجت لم آمن أن يختطفك بعضهم»، ثم قال: «هل رأيت شيئا؟» قال: نعم رأيت رجلا سودا مستشعري ثياب بيض، قال: «أولئك جنّ نصيبين، سألوني المتاع، والمتاع الزاد، فمتعتهم بكل عظم حائل أو بعرة أو روثة»، فقلت: يا رسول الله، وما يغني ذلك عنهم؟ قال: «إِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَظْمًا إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهِ لَحْمَهُ يَوْمَ أَكَلِ، وَلَا رَوْثَةً إِلَّا وَجَدُوا فِيهَا حَبَّهَا يَوْمَ أَكَلَتْ، فَلَا يَسْتَنْفِين أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا حَرَخَ مِنَ الْخَلَاءِ بِعَظْمٍ وَلَا بَعْرَةٍ وَلَا رَوْثَةٍ».

24223- حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: أخبرنا أبو زرعة وهب بن راشد، قال: قال يونس، قال ابن شهاب: أخبرني أبو عثمان بن شبة الخزاعي، وكان من أهل الشام أن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهو بمكة: «مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَخْضَرَ أَمْرَ الْجَنِّ اللَّيْلَةَ فَلْيَفْعَلْ». فلم يحضر منهم أحد غيري، قال: فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة، خط لي برجله خطا، ثم أمرني أن أجلس فيه، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن، فغشيته أسودة كبيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، حتى بقي منهم رهط، ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر، فانطلق متبرزا، ثم أتاني فقال: «ما فَعَلَ الرَّهْطُ؟» قلت: هم أولئك يا رسول الله، فأخذ عظما أو روثا أو جمجمة فأعطاهم إياه زادا، ثم نهى أن يستطيب أحد بعظم أو روث.

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدثنا عمي عبد الله بن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن أبي عثمان بن شبة الخزاعي، وكان من أهل الشام، أن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر مثله سواء، إلا أنه قال: فأعطاهم روثا أو عظما زادا، ولم يذكر الجمجمة.

24224- حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثني عمي، قال: أخبرني يونس، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، أن ابن مسعود، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بِتِّ اللَّيْلَةَ أَقْرَأُ عَلَى الْجِنِّ رُبْعًا بِالْحَجُونِ».

وآختلفوا في الموضع الذي تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه القرآن، فقال عبد الله بن مسعود قرأ عليهم بالحجون، وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك.

وقال آخرون: قرأ عليهم بنخلة، وقد ذكرنا بعض من قال ذلك، ونذكر من لم نذكره.

24225- حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا خلاد، عن زهير بن معاوية، عن جابر الجعفي، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النفر الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من جنّ نصيبين أتوه وهو بنخلة.

24226- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ قَالَ: لَقِيَهُمْ بنخلة ليلتئذ.

وقوله: فَلَمَّا حَصَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا يقول تعالى ذكره: فلما حضروا القرآن ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ، قال بعضهم لبعض: أنصتوا لنستمع القرآن. كما:

24227_ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى، عن سفيان، عن عاصم، عن زُرِّ قَلَمًا حَصَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا قَالُوا: صَه. قال: ثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن عاصم، عن زُرِّ بن حُبَيْش، مثله.

24228_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: فَلَمَّا حَصَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا قد علم القوم أنهم لن يعقلوا حتى ينصتوا. وقوله: فَلَمَّا قُضِيَ يَقُول: فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من القراءة وتلاوة القرآن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24229_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، فَلَمَّا قُضِيَ يَقُول: فلما فرغ من الصلاة وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. وقوله: وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ يَقُول: انصرفوا منذرين عذاب الله على الكفر به. وُذِّكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَهُمْ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ.

24230_ حدثنا بذلك أبو كُرَيْبٍ، قال: حدثنا عبد الحميد الجُمَانِيُّ، قال: حدثنا النضر، عن عكرمة، عن ابن عباس، وهذا القول خلاف القول الذي روي عنه أنه قال: لم يكن نبي الله صلى الله عليه وسلم علم أنهم استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن، لأنه محال أن يرسلهم إلى آخرين إلا بعد علمه بمكانهم، إلا أن يقال: لم يعلم بمكانهم في حال استماعهم للقرآن، ثم علم بعد قبل انصرافهم إلى قومهم، فأرسلهم رسلاً حينئذٍ إلى قومهم، وليس ذلك في الخبر الذي روي.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالُوا يَبْقُومَنَا إِنْ سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ } . يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء الذين صُرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن لقومهم لما انصرفوا إليهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: يَا قَوْمَنَا مِنَ الْجَنِّ إِنْ سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ كِتَابِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَقُول: يصدِّق ما قبله من كتب الله التي أنزلها على رسله.

وقوله: يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ يَقُول: يرشد إلى الصواب، ويدل على ما فيه لله رضا وإلى طريق مُسْتَقِيمٍ يَقُول: وإلى طريق لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

24231_ حدثنا بشر، قال: حدثنا سعيد عن قتادة أنه قرأ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنْ سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ فقال: ما أسرع ما عقل القوم، دُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ صُرفوا إليه من نينوي.

الآية : 31-32

القول في تأويل قوله تعالى: {يَقُومَتَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء النفر من الجنِّ يَا قَوْمَنَا مِنَ الْجِنِّ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ قَالُوا: أَجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا إِلَى مَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَقُولُ: وَصَدَّقُوهُ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ وَقَوْمَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا دَعَاكُمْ إِلَى التَّصَدِيقِ بِهِ يَغْفِرُ لَكُمْ يَقُولُ: يَتَّغَمَّدُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ فَيَسْتَرُهَا لَكُمْ وَلَا يَفْضَحُكُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ بِعَقُوبَتِهِ إِيَّاكُمْ عَلَيْهَا وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ يَقُولُ: وَيَنْقِذُكُمْ مِنْ عَذَابٍ مَوْجِعٍ إِذَا أَنْتُمْ تَبْتِمُ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، وَأَنْتُمْ مِنْ كُفْرِكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِدَاعِيهِ.

وقوله: وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَخْبَرًا عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ لِقَوْمِهِمْ: وَمَنْ لَا يُجِبْ أَيُّهَا الْقَوْمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا، وَدَاعِيَهُ إِلَى مَا بَعَثَهُ بِالْدَعَاءِ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ يَقُولُ: فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ بِهِ بِرَبِّهِ، إِذَا أَرَادَ عَقُوبَتَهُ عَلَى تَكْذِيبِهِ دَاعِيَهُ، وَتَرَكَهُ تَصَدِيقَهُ وَإِنْ ذَهَبَ فِي الْأَرْضِ هَارِبًا، لِأَنَّهُ حَيْثُ كَانَ فَهُوَ فِي سُلْطَانِهِ وَقَبْضَتِهِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ يَقُولُ: وَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ مِنْ دُونِ رَبِّهِ نُصْرَاءُ يَنْصُرُونَهُ مِنَ اللَّهِ إِذَا عَاقَبَهُ رَبُّهُ عَلَى كُفْرِهِ بِهِ وَتَكْذِيبِهِ دَاعِيَهُ.

وقوله: أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ يَقُولُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ فَيَصَدَّقُوا بِهِ، وَبِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ فِي جُورٍ عَنِ قِصْدِ السَّبِيلِ، وَأَخَذَ عَلَى غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ، مُبِينٍ: يَقُولُ: يَبِينُ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ أَنَّهُ ضَلَالٌ، وَأَخَذَ عَلَى غَيْرِ قِصْدٍ.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: أَوَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الْمُنْكَرُونَ إِحْيَاءَ اللَّهِ خَلْقَهُ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهِمْ، وَبَعَثَهُ إِيَّاهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ بِلَائِهِمْ، الْقَائِلُونَ لِأَبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ أَفَ لَكُمَا أَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي فَلِمَ يَبْعَثُونِي بِأَبْصَارِ قُلُوبِهِمْ، فَيَرَوْنَ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ، فَابْتَدَعَهُنَّ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَلَمْ يَعْزِبْ بِإِنْشَائِهِنَّ، فَيَعْجِزُ عَنْ اخْتِرَاعِهِنَّ وَإِحْدَاثِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ فَيُخْرِجَهُمْ مِنْ بَعْدِ بِلَائِهِمْ فِي قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً كَهَيْئَتِهِمْ قَبْلَ وَفَاتِهِمْ.

واختلف أهل العربية في وجه دخول الباء في قوله: بِقَادِرٍ فَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصْرَةِ: هَذِهِ الْبَاءُ كَالْبَاءِ فِي قَوْلِهِ: كَفَىٰ بِاللَّهِ وَهُوَ مِثْلُ تَبَيَّنْتُ بِالذَّهْنِ وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْكُوفَةِ: دَخَلَتْ هَذِهِ الْبَاءُ لِلْمَقَالِ: وَالْعَرَبُ تَدْخُلُهَا مَعَ الْجُحُودِ إِذَا كَانَتْ رَافِعَةً لَمَّا قَبْلَهَا، وَتَدْخُلُهَا إِذَا وَقَعَتْ عَلَيْهَا فَعَلٌ يَحْتَاجُ إِلَى اسْمَيْنِ مِثْلَ قَوْلِكَ: مَا أَطْنُكَ بِقَائِمٍ، وَمَا أَطْنُ أَنْكَ بِقَائِمٍ، وَمَا كُنْتُ بِقَائِمٍ، فَإِذَا خَلَعْتَ الْبَاءَ نَصَبْتَ الَّذِي كَانَتْ تَعْمَلُ فِيهِ، بِمَا تَعْمَلُ فِيهِ مِنَ الْفِعْلِ، قَالَ: وَلَوْ أَلْقَيْتَ الْبَاءَ مِنْ قَادِرٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ رَفَعٌ، لِأَنَّهُ خَبِرَ لِأَنَّ، قَالَ: وَأَنْشَدَنِي بَعْضُهُمْ:

فَمَا رَجَعَتْ بِخَائِبَةٍ رِكَابُحَكِيمٍ بِنِ الْمُسَيَّبِ مُنْتَهَاهَا

فأدخل الباء في فعل لو ألقيت منه نصب بالفعل لا بالباء، يقاس على هذا ما أشبهه.

وقال بعض من أنكر قول البصري الذي ذكرنا قوله: هذه الباء دخلت للجد، لأن المجحود في المعنى وإن كان قد حال بينهما بأن «أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنْ اللّٰهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ» قال: فإن اسم يَرَوْا وما بعدها في صلتها، ولا تدخل فيه الباء، ولكن معناه جحد، فدخلت للمعنى. وحكي عن البصري أنه كان يأبى إدخال إلا، وأن النحويين من أهل الكوفة يجيزونه، ويقولون: ما ظننت أن زيذا إلا قائما، وما ظننت أن زيذا بعالم. وينشد:

وَلَسْتُ بِحَالِفٍ لَوْلَدْتُ مِنْهُمْ عَلَىٰ عَمِيَّةٍ إِلَّا زِيَادَا
قال: فأدخل إلا بعد جواب اليمين، قال: فأما «كَفَىٰ بِاللّٰهِ»، فهذه لم تدخل إلا لمعنى صحيح، وهي للتعجب، كما تقول لظرف يزيد. قال: وأما تَبَّثْتُ بالدهن فأجمعوا على أنها صلة. وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: دخلت الباء في قوله بقادر للجد، لما ذكرنا لقائلي ذلك من العليل. واختلفت القراء في قراءة قوله: بِقَادِرٍ فَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَةً قَرَأَ الْأَمْصَارُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ وَالْجَحْدَرِيِّ وَالْأَعْرَجِ بِقَادِرٍ وَهِيَ الصَّحِيحَةُ عِنْدَنَا لِإِجْمَاعِ قَرَّاءِ الْأَمْصَارِ عَلَيْهَا. وَأَمَّا الْآخَرُونَ الَّذِينَ ذَكَرْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُمْ كَانُوا يَقْرَأُونَ ذَلِكَ «يَقْدِرُ» بِالْبَاءِ. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ «أَنَّ اللّٰهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ» بِغَيْرِ بَاءٍ، فِي ذَلِكَ حُجَّةٌ لِمَنْ قَرَأَهُ «بِقَادِرٍ» بِالْبَاءِ وَالْأَلْفِ. وَقَوْلُهُ: بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذَكَرَهُ: بَلَىٰ، يَقْدِرُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ: أَيِ الَّذِي خَلَقَ ذَلِكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ أَرَادَ فَعَلَهُ، وَأَرَادَ فَعَلَهُ، ذُو قُدْرَةٍ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَلَا يُعْيِيهِ شَيْءٌ أَرَادَ فَعَلَهُ، فَبِعْيِيهِ إِنْشَاءُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْفَنَاءِ، لِأَنَّ مِنْ عَجْزٍ عَنْ ذَلِكَ فَضَعِيفٌ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِلَهَا مِنْ كَانَ عَمَّا أَرَادَ ضَعِيفًا.

الآية : 34

القول في تأويل قوله تعالى: { وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } . يقول تعالى ذكره: ويوم يعرض هؤلاء المكذبون بالبعث، وثواب الله عباده على أعمالهم الصالحة، وعقابه إياهم على أعمالهم السيئة، على النار، نار جهنم، يقال لهم حينئذ: أليس هذا العذاب الذي تعدّبونه اليوم، وقد كنتم تكذبون به في الدنيا بالحق، توبيخا من الله لهم على تكذيبهم به، كان في الدنيا قالوا بلى وربنا يقول: فيجيب هؤلاء الكفرة من فورهم بذلك، بأن يقولوا بلى هو الحق والله قال: فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ يقول: فقال لهم المقرّر بذلك: فذوقوا عذاب النار الآن بما كنتم تجحدونه في الدنيا، وتنكرونه، وتأبون الإقرار إذا دُعيتم إلى التصديق به.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: { قَاصِرٌ كَمَا صَبَرِ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرِّسْلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَعَلُ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْقَاسِقُونَ } .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مثبته على المضى لما قلده من عبء الرسالة، وثقل أحمال النبوة صلى الله عليه وسلم، وأمره بالانتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله

الذين صبروا على عظيم ما لَقُوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد فاصْبِرْ يا محمد على ما أصابك في الله من أذى مكذِّبِك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار كما صَبَرَ أولوا العَزْم على القيام بأمر الله، والانتهاة إلى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره، ما نالهم فيه من شِدَّة. وقيل: إن أولي العزم منهم، كانوا الذين امْتَحِنُوا في ذات الله في الدنيا بالمَحْن، فلم تزدتهم المحن إلا جِدًّا في أمر الله، كنوح وإبراهيم وموسى ومن أشبههم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24232_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني ثوابه بن مسعود، عن عطاء الخُراساني، أنه قال فاصْبِرْ كما صَبَرَ أولوا العَزْمِ مِنَ الرِّسْلِ نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم.

24233_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة فاصْبِرْ كما صَبَرَ أولوا العَزْمِ مِنَ الرِّسْلِ كَمَا نَحَدَّثُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ مِنْهُمْ. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

24234_ حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: فاصْبِرْ كما صَبَرَ أولوا العَزْمِ مِنَ الرِّسْلِ قال: كلُّ الرسل كانوا أولي عزم لم يتخذ الله رسولاً إلا كان ذا عزم، فاصبر كما صبروا.

24235_ حدثنا ابن سنان القزّاز، قال: حدثنا عبد الله بن رجاء، قال: حدثنا إسرائيل، عن سالم، عن سعيد بن جبیر، في قوله: فاصْبِرْ كما صَبَرَ أولوا العَزْمِ مِنَ الرِّسْلِ قال: سماه الله من شدّته العزم.

وقوله: وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ يَقول: ولا تستعجل عليهم بالعذاب، يقول: لا تعجل بمسألتك ربك ذلك لهم فإن ذلك نازل بهم لا محالة كأنهم يوم يرون ما يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ يَقول: كأنهم يوم يرون عذاب الله الذي يعدهم أنه منزله بهم، لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار، لأنه ينسيهم شدّة ما ينزل بهم من عذابه، قدر ما كانوا في الدنيا لَبَثُوا، ومبلغ ما فيها مكثوا من السنين والشهور، كما قال جلّ ثناؤه: قَالَ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ عَدَّةٌ سِنِينَ؟ قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ.

وقوله: بَلَاغٍ فِيهِ وَجْهَان: أحدهما أن يكون معناه: لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ذلك لبث بلاغ، بمعنى: ذلك بلاغ لهم في الدنيا إلى أجلهم، ثم حذفت ذلك لبث، وهي مرادة في الكلام اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام عليها. والآخر: أن يكون معناه: هذا القرآن والتذكير بلاغ لهم وكفاية، إن فكروا واعتبروا فتذكروا.

وقوله: فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ يَقول تعالى ذكره: فهل يهلك الله بعذابه إذا أنزله إلا القوم الذين خالفوا أمره، وخرجوا عن طاعته وكفروا به. ومعنى الكلام: وما يهلك الله إلا القوم الفاسقين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24236_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ تَعَلَّمُوا مَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ وَلِيَّ الْإِسْلَامِ ظَهْرَهُ أَوْ مُنَافِقٌ صَدَّقَ بِلِسَانِهِ وَخَالَفَ بِعَمَلِهِ. دُكِّرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ أُمَّتِي هَمَّ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ لَهُ وَاحِدَةٌ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا. وَأَيُّمَا عَبْدٍ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ

عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمَلَهَا كَتَبَتْ سَيِّئَةً وَاجِدَةً، ثُمَّ كَانَ يَتَّبِعُهَا، وَيَمْخُوهَا اللَّهُ وَلَا يَهْلِكُ إِلَّا هَالِكًا».

سورة محمد

مدنية

وآياتها ثمان وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1-2

الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَصَلَّ أَعْمَالُهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَمُنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ}.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: الذين جحدوا توحيد الله وعبدوا غيره وصدّوا من أراد عبادته والإقرار بوحدانيته، وتصديق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن الذي أراد من الإسلام والإقرار والتصديق أصلاً أعمالهم يقول: جعل الله أعمالهم ضلالاً على غير هدي وغير رشاد، لأنها عملت في سبيل الشيطان وهي على غير استقامة والذين آمنوا وعملوا الصالحات يقول تعالى ذكره: والذين صدّقوا الله وعملوا بطاعته، واتبعوا أمره ونهيه وأمّنوا بما نُزِّلَ على مُحَمَّدٍ يقول: وصدّقوا بالكتاب الذي أنزل الله على محمد وهو الحق من ربهم كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ يقول: محا الله عنهم بفعلهم ذلك سييء ما عملوا من الأعمال، فلم يؤاخذهم به، ولم يعاقبهم عليه وأصلح بالهم يقول: وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه، وفي الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جنانه.

وذكر أنه عني بقوله: الَّذِينَ كَفَرُوا... الآية أهل مكة، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... الآية، أهل المدينة. ذكر من قال ذلك:

24237- حدثني إسحاق بن وهب الواسطي، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس، في قوله: الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قال: نزلت في أهل مكة وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قال: الأنصار. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24238- حدثني إسحاق بن وهب الواسطي، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس وأصلح بالهم قال: أمرهم.

24239- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وأصلح بالهم قال: شأنهم.

24240- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وأصلح بالهم قال: أصلح حالهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وأصلح بالهم قال: حالهم.

24241- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَأَصْلَحَ بِالْهَمِّ قَالَ حَالِهِمْ. والبال: كالمصدر مثل الشأن لا يعرف منه فعل, ولا تكاد العرب تجمعها إلا في ضرورة شعر, فإذا جمعه قالوا بالات.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ يَأْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَّبِعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ}. يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا بهذين الفريقين من إضلالنا أعمال الكافرين, وتكفيرنا عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات, جزاء منا لكل فريق منهم على فعله. أما الكافرون فأضللنا أعمالهم, وجعلناها على غير استقامة وهدى, بأنهم اتبعوا الشيطان فأطاعوه, وهو الباطل. كما:

24250- حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, وعباس بن محمد, قالوا: حدثنا حجاج بن محمد, قال: قال ابن جريج: أخبرني خالد أنه سمع مجاهدا يقول ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل قال: الباطل: الشيطان. وأما المؤمنون فكفرنا عنهم سيئاتهم, وأصلحنا لهم حالهم بأنهم اتبعوا الحق الذي جاءهم من ربهم, وهو محمد صلى الله عليه وسلم, وما جاءهم به من عند ربه من النور والبرهان كذلك يضرب الله للناس أمثاله يقول عز وجل: كما بينت لكم أيها الناس فعلي بفريق الكفر والإيمان, كذلك نمثل للناس الأمثال, ونشبه لهم الأشباه, فنلحق بكل قوم من الأمثال أشكالا.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْنُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَصَعَ الْجَرَبَ أَوْ رَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَنتَصَّرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ}. يقول تعالى ذكره لفريق الإيمان به وبرسوله: فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ ورسوله من أهل الحرب, فاضربوا رقابهم.

وقوله: حتى إذا أثنتموهم فشددوا الوثاق يقول: حتى إذا غلبتموهم وقهرتم من لم تضربوا رقبتهم منهم, فصاروا في أيديكم أسرى فشددوا الوثاق يقول: فشددوهم في الوثاق كيلا يقتلوكم, فيهربوا منكم.

وقوله: فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً يقول: فإذا أسرتموهم بعد الإثخان, فإذا أنتموا عليهم بعد ذلك بإطلاقكم إياهم من الأسر, وتحرروهم بغير عوض ولا فدية, وإما أن يفادوكم فداء بأن يعطوكم من أنفسهم عوضا حتى تطلقوهم, وتخلوا لهم السبيل.

واختلف أهل العلم في قوله: حتى إذا أثنتموهم فشددوا الوثاق, فإذا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً فقال بعضهم: هو منسوخ نسخه قوله: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فإذا تيقنهم في الحرب فسرد بهم من خلفهم. ذكر من قال ذلك:

24242- حدثنا ابن حميد وابن عيسى الدامغاني, قالوا: حدثنا ابن المبارك, عن ابن جريج أنه كان يقول, في قوله: فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً نسخها قوله: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم.

24243- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن السدي فإذا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً قال: نسخها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم.

24244_ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فإِذَا مَنَّا بَعْدُ وَإِذَا فِدَاءٌ نَسَخَهَا قَوْلُهُ: فِإِذَا تَنَقَّفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ قَشَرْدُ بِهِمْ مَن حَلَقَهُمْ.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى قَوْلِهِ: وَإِذَا فِدَاءً كَانَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا لَقُوا الْمُشْرِكِينَ قَاتَلُوهُمْ, فَإِذَا أُسْرُوا مِنْهُمْ أُسِيرًا, فَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يُفَادَوْهُ, أَوْ يَمْنُوا عَلَيْهِ, ثُمَّ يَرْسَلُوهُ, فَنَسَخَ ذَلِكَ بَعْدَ قَوْلِهِ: فِإِذَا تَنَقَّفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ قَشَرْدُ بِهِمْ مَن حَلَقَهُمْ: أَي عَظَّ بِهِمْ مِنْ سِوَاهُمْ مِنَ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ.

24245_ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن عبد الكريم الجزري, قال: كتب إلى أبي بكر رضي الله عنه في أسير أسير, فذكر أنهم التمسوه بفداء كذا وكذا, فقال أبو بكر: اقتلوه, لقتل رجل من المشركين, أحب إلي من كذا وكذا.

24246_ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا قَضَبُوا الرَّقَابَ... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ, قَالَ: الْفِدَاءُ مَنْسُوخٌ, نَسَخْتُهَا: فإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ... إِلَى كُلِّ مَرَضٍ قَالَ: فَلَمْ يَبْقَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ وَلَا حَرْمَةٌ بَعْدَ بَرَاءَةِ, وَانْسِلَاخِ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ.

24247_ حَدَّثَتْ عَنِ الْحُسَيْنِ, قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرْنَا عَيْدٌ, قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: فِإِذَا مَنَّا بَعْدُ وَإِذَا فِدَاءٌ هَذَا مَنْسُوخٌ, نَسَخَهُ قَوْلُهُ: فِإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ فَلَمْ يَبْقَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ وَلَا ذِمَّةٌ بَعْدَ بَرَاءَةِ. وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ مُحْكَمَةٌ وَلَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ, وَقَالُوا: لَا يَجُوزُ قَتْلُ الْأَسِيرِ, وَإِنَّمَا يَجُوزُ الْمَنُّ عَلَيْهِ وَالْفِدَاءُ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24248_ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى, قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَتَابٍ سَهْلُ بْنُ حَمَادٍ, قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ, عَنِ الْحَسَنِ, قَالَ: أَتَى الْحِجَاجَ بِأَسَارِي, فَدَفَعَ إِلَى ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقْتُلُهُ, فَقَالَ ابْنُ عَمْرِو: لَيْسَ بِهَذَا أَمْرُنَا, قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى إِذَا أَنْتَمْتُمُوهُمْ قَشَدُوا الْوَثَاقَ, فِإِذَا مَنَّا بَعْدُ وَإِذَا فِدَاءٌ قَالَ: الْبِكَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ الْحَسَنُ: لَوْ كَانَ هَذَا وَأَصْحَابَهُ لَا يَتَدَرَوْنَ إِلَيْهِمْ.

24249_ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ وَابْنُ عَيْسَى الدَّامِغَانِيُّ, قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ, عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ, عَنْ عَطَاءٍ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ قَتْلَ الْمُشْرِكِ صَبْرًا, قَالَ: وَيَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ فِإِذَا مَنَّا بَعْدُ وَإِذَا فِدَاءٌ.

24250_ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى, قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ, عَنْ مَعْمَرٍ, عَنِ الْحَسَنِ, قَالَ: لَا تَقْتُلِ الْأَسَارِيَ إِلَّا فِي الْحَرْبِ يَهَيْبُ بِهِمُ الْعَدُوَّ.

24251_ قَالَ: ثنا ابن ثور, عن معمر, قال: كان عمر بن عبد العزيز يفديهم الرجل بالرجل, وكان الحسن يكره أن يفادي بالمال.

24252_ قَالَ: ثنا ابن ثور, عن معمر, عن رجل من أهل الشام ممن كان يحرس عمر بن عبد العزيز, وهو من بني أسد, قال: ما رأيت عمر رحمه الله قتل أسيرا إلا واحدا من الترك كان جيء بأسارى من الترك, فأمر بهم أن يُسْتَرْقُوا, فقال رجل ممن جاء بهم: يا أمير المؤمنين, لو كنت رأيت هذا لأحدهم وهو يقتل المسلمين لكثير بكاؤك عليهم, فقال عمر: فدونك فاقتله, فقام إليه فقتله.

والصواب من القول عندنا في ذلك أن هذه الآية محكمة غير منسوخة، وذلك أن صفة الناسخ والمنسوخ ما قد بيّنا في غير موضع في كتابنا إنه ما لم يجز اجتماع حكميهما في حال واحدة، أو ما قامت الحجة بأن أحدهما ناسخ الآخر، وغير مستنكر أن يكون جعل الخيار في المنّ والفداء والقتل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلى القائمين بعده بأمر الأمة، وإن لم يكن القتل المذكوراً في هذه الآية، لأنه قد أذن بقتلهم في آية أخرى، وذلك قوله: **فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ....** الآية، بل ذلك كذلك، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يفعل فيمن صار أسيراً في يده من أهل الحرب، فيقتل بعضاً ويفادي بعض، ويمنّ على بعض، مثل يوم بدر قتل عقبة بن أبي معيط وقد أتى به أسيراً، وقتل بني قريظة، وقد نزلوا على حكم سعد، وصاروا في يده سلماً، وهو على فدائهم، والمنّ عليهم قادر، وفادي بجماعة أسارى المشركين الذين أسروا ببدر، ومنّ على ثمامة بن أثال الحنفي، وهو أسير في يده، ولم يزل ذلك ثابتاً من سيره في أهل الحرب من لدن أذن الله له بحربهم، إلى أن قبضه إليه صلى الله عليه وسلم دائماً ذلك فيهم، وإنما ذكر جل ثناؤه في هذه الآية المنّ والفداء في الأسارى، فخصّ ذكرهما فيها، لأن الأمر بقتلها والإذن منه بذلك قد كان تقدم في سائر أي تنزيهه مكرراً، فأعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بما ذكر في هذه الآية من المنّ والفداء ماله فيهم مع القتل.

وقوله: **حتى تَصَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا** يقول تعالى ذكره: فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم، وافعلوا بأسراهم ما بينت لكم، حتى تضع الحرب أثامها وأثقال أهلها، المشركين بالله بأن يتوبوا إلى الله من شركهم، فيؤمنوا به وبرسوله، وبطبعه في أمره ونهيه، فذلك وضع الحرب أوزارها، وقيل: حتى تَصَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا والمعنى: حتى تلقي الحرب أوزار أهلها. وقيل: معنى ذلك: حتى يضع المحارب أوزاره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24253- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **حتى تَصَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا** قال: حتى يخرج عيسى ابن مريم، فيسلم كل يهودي نصراني وصاحب ملة، وتأمين الشاة من الذئب، ولا تقرض فأرة جراباً، وتذهب العداوة من الأشياء كلها، ذلك ظهور الإسلام على الدين كله، وينعم الرجل المسلم حتى تقطر رجله دماً إذا وضعها.

24254- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **حتى تَصَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا** حتى لا يكون شرك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة حتى تَصَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا قال: حتى لا يكون شرك.

ذكر من قال: غني بالحرب في هذا الموضع: المحاربون.

24255- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور عن معمر، عن قتادة حتى تَصَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا قال الحرب: من كان يقاتلهم سماهم حرباً.

وقوله: **ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَى صَرِّ مِنْهُمْ** يقول تعالى ذكره: هذا الذي أمرتكم به أيها المؤمنون من قتل المشركين إذا لقيتموهم في حرب، وشدهم وثاقاً بعد قهرهم، وأسرهم، والمنّ والفداء حتى تَصَعَ الحَرْبُ

أَوْزَارَهَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي أَلْزَمَكُمْ رَبِّكُمْ وَلَوْ يَشَاءُ رَبُّكُمْ، وَيُرِيدُ لَانْتَصِرَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بَيْنَ هَذَا الْحُكْمِ فِيهِمْ بِعَقُوبَةٍ مِنْهُ لَهَا عَاجِلَةٌ، وَكِفَاكُمُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ كَرِهَ الْإِنْتِصَارَ مِنْهُمْ، وَعَقُوبَتُهُمْ عَاجِلًا إِلَّا بِأَيْدِيكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لِيَبْلُغُوا بِعَعْضِكُمْ بَعْضًا يَقُولُ: لِيُخْتَبِرَكُمْ بِهِمْ، فَيَعْلَمُ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ، وَيَبْلُوَهُمْ بِكُمْ، فَيَعَاقِبُ بِأَيْدِيكُمْ مِنْ شَاءَ مِنْهُمْ، وَيَتَعَطَّ مِنْ شَاءَ مِنْهُمْ بِمَنْ أَهْلَكَ بِأَيْدِيكُمْ مِنْ شَاءَ مِنْهُمْ حَتَّى يَنْيَبَ إِلَى الْحَقِّ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24256_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَكَوَّ بِشَاءِ اللَّهِ لَا تَنْصَرُ مِنْهُمْ إِي وَاللَّهِ بِجُنُودِهِ الْكَثِيرَةِ كُلِّ خَلْقِهِ لَهُ جُنْدٌ، وَلَوْ سَلَطَ أضعف خلقه لكان جنداً.

وقوله: «وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقراءته عامة قراء الحجاز والكوفة «وَالَّذِينَ قَاتَلُوا» بمعنى: حاربوا المشركين، وجاهدوهم، بالألف وكان الحسن البصري فيما ذكر عنه يقرأه قُتِلُوا بضم القاف وتشديد التاء، بمعنى: أنه قتلهم المشركون بعضهم بعد بعض، غير أنه لم يسم الفاعلون. وُذُكِرَ عَنِ الْجَحْدَرِيِّ عَاصِمٌ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ «وَالَّذِينَ قَاتَلُوا» بفتح القاف وتخفيف التاء، بمعنى: والذين قتلوا المشركون بالله. وكان أبو عمرو يقرأه قُتِلُوا بضم القاف وتخفيف التاء بمعنى: والذين قتلهم المشركون، ثم أسقط الفاعلين، فجعلهم لم يسم فاعل ذلك بهم. وأولى القراءات بالصواب قراءة من قرأه «وَالَّذِينَ قَاتَلُوا» لاتفاق الحجة من القراء، وإن كان لجميعها وجوه مفهومة.

وإذ كان ذلك أولى القراءات عندنا بالصواب، فتأويل الكلام: والذين قاتلوا منكم أيها المؤمنون أعداء الله من الكفار في دين الله، وفي نصرته ما بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من الهدى، فجاهدوهم في ذلك قَلْنُ يُضِلُّ أَعْمَالَهُمْ فَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمُ الَّتِي عَمَلُوهَا فِي الدُّنْيَا ضَلَالًا عَلَيْهِمْ كَمَا أَضَلَّ أَعْمَالَ الْكَافِرِينَ. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ عُنِيَ بِهَا أَهْلُ أَحَدٍ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24257_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَلْنُ يُضِلُّ أَعْمَالَهُمْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَنْزَلَتْ يَوْمَ أَحَدٍ وَرَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّعْبِ، وَقَدْ قَسَّتْ فِيهِمُ الْجِرَاحَاتُ وَالْقَتْلُ، وَقَدْ نَادَى الْمُشْرِكُونَ يَوْمَئِذٍ: أَعْلُ هَبْلٍ، فَنَادَى الْمُسْلِمُونَ: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ، وَقَدْ نَادَى الْمُشْرِكُونَ: يَوْمَ بِيَوْمٍ، إِنَّ الْحَرْبَ سَجَالٌ، إِنَّ لَنَا عَزْرِي، وَلَا عَزْرِي لَكُمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ. إِنَّ الْقَتْلَى مُحْتَلِقَةٌ، أَمَا قَتَلْنَا فَأَحْيَاءُ يُرَرُّقُونَ، وَأَمَا قَتَلْنَاكُمْ فَفِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَلْنُ يُضِلُّ أَعْمَالَهُمْ قال: الذين قتلوا يوم أحد.

الآية : 7-5

القول في تأويل قوله تعالى: { سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْهِمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُتَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }. يقول تعالى ذكره: سيوفق الله تعالى ذكره للعمل بما يرضي ويحب، هؤلاء الذين قاتلوا في سبيله، وَيُصَلِّحُ بِأَلْهِمْ: ويصلح أمرهم وحالهم في الدنيا والآخرة وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ يقول: ويُدْخِلُهُمُ اللَّهُ جَنَّتَهُ عَرَّفَهَا، يَقُولُ:

عَرَّفَهَا وَبَيَّنَّهَا لَهُمْ، حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ لِيَأْتِي مَنْزِلَهُ مِنْهَا إِذَا دَخَلَهَا كَمَا كَانَ يَأْتِي مَنْزِلَهُ فِي الدُّنْيَا، لَا يُشْكِلُ عَلَيْهِ ذَلِكَ. كَمَا:

24258- حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: إِذَا نَجَّى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ حُبَسُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَاقْتَصَّ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ مَطَالِمَ كَثِيرَةً كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يُؤذَنُ لَهُمْ بِالْدُخُولِ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: فَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُ بِأَدْلٍ بِمَنْزِلِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ حِينَ يَدْخُلُهَا. حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ وَبَدَّخِلَهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ قَالَ: أَيُّ مَنَازِلِهِمْ فِيهَا.

24259- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: وَبَدَّخِلَهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ قَالَ: يَهْتَدِي أَهْلُهَا إِلَى بَيْوتِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ، وَحَيْثُ قَسَمَ اللَّهُ لَهُمْ لَا يَخْطِئُونَ، كَأَنَّهُمْ سَكَانُهَا مِنْذُ خَلَقُوا لَا يَسْتَدْلُونَ عَلَيْهَا أَحَدًا.

24260- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: وَبَدَّخِلَهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ قَالَ: بَلَّغْنَا عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ قَالَ: يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَلَهُمْ أَعْرَفُ بِمَنَازِلِهِمْ فِيهَا مِنْ مَنَازِلِهِمْ فِي الدُّنْيَا الَّتِي يَخْتَلِفُونَ عَلَيْهَا فِي عَمْرِ الدُّنْيَا قَالَ: فَتِلْكَ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَبَدَّخِلَهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ.

وقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنَصَّرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، إِنْ تَنَصَّرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ بِنَصْرِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ وَجِهَادِكُمْ إِيَّاهُمْ مَعَهُ. لَتَكُونَ كَلِمَتُهُ الْعُلْيَا يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ، وَيُظْفِرْكُمْ بِهِمْ، فَإِنَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَأَوْلِيَاءِهِ. كَمَا:

24261- حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: إِنْ تَنَصَّرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ لِأَنَّهُ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ سَأَلَهُ، وَيَنْصُرَ مَنْ نَصَرَهُ.

وقوله: وَبَيَّنَّتْ أقدَامَكُمْ يَقُولُ: وَيَقْوِّكُمْ عَلَيْهِمْ، وَيَجَرِّئُكُمْ، حَتَّى لَا تَوَلَّوْا عَنْهُمْ، وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُهُمْ، وَقَلَّ عَدَدُكُمْ.

الآية : 8-9

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصَلَّ أَعْمَالُهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}.

يقول تعالى ذكره: وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، فَجَحَدُوا تَوْحِيدَهُ فَتَعَسَا لَهُمْ يَقُولُ: فَخَزِيَ لَهُمْ وَشَقَاءٌ وَبَلَاءٌ. كَمَا:

24262- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ قَالَ: شَقَاءٌ لَهُمْ.

وقوله: وَأَصَلَّ أَعْمَالُهُمْ يَقُولُ وَجَعَلَ أَعْمَالَهُمْ مَعْمُولَةً عَلَى غَيْرِ هَدْيٍ وَلَا اسْتِقَامَةٍ، لِأَنَّهَا عَمِلَتْ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ، لَا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ. وَبَنَحُو الَّذِي قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

24263- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: وَأَصَلَّ أَعْمَالَهُمْ قَالَ: الضَّلَالَةُ الَّتِي أَضَلَّهُمُ اللَّهُ لَمْ يَهْدِهِمْ كَمَا هَدَى الْأَخْرِينَ، فَإِنَّ الضَّلَالَةَ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ: يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

قال: وهؤلاء ممن جعل عمله ضلالاً، وردّ قوله: وَأَصَلَّ أَعْمَالَهُمْ عَلَى قَوْلِهِ: فَتَعَسَا لَهُمْ وَهُوَ فَعَلَ مَاضٍ، وَالتَّعَسَ اسْمٌ، لِأَنَّ التَّعَسَ وَإِنْ كَانَ اسْمًا فَبِي مَعْنَى الْفَعْلِ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الدَّعَاءِ، فَهُوَ بِمَعْنَى: أَتَعَسَهُمُ اللَّهُ، فَلِذَلِكَ صَلَحَ رَدُّ أَصْلٍ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الدَّعَاءَ يَجْرِي مَجْرَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَسُدُّوا الْوُثَاقَ مَرْدُودَةٌ عَلَى أَمْرٍ مُضْمَرٍ نَاصِبٍ لِمَضْرُوبٍ. وَقَوْلُهُ: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرَهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: هَذَا الَّذِي فَعَلْنَا بِهِمْ مِنَ الْإِنْعَاسِ وَإِضْلَالِ الْأَعْمَالِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ كَرَهُوا كِتَابَنَا الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَخَطُوهُ، فَكَذَّبُوا بِهِ، وَقَالُوا: هُوَ سِحْرٌ مُبِينٌ.

وقوله: فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ يَقُولُ: فَأَبْطَلَ أَعْمَالَهُمُ الَّتِي عَمَلُوهَا فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ عِبَادَتُهُمُ الْإِلَهَةَ، لَمْ يَنْفَعَهُمُ اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، بَلْ أَوْبَقَهُمْ بِهَا، فَأَصْلَاهُمْ سَعِيرًا، وَهَذَا حُكْمُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ فِي جَمِيعٍ مِنْ كُفْرِهِ مِنْ أَجْنَاسِ الْأُمَّمِ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ.

24264- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله: فَتَعَسَا لَهُمْ قَالَ: هِيَ عَامَةٌ لِلْكَفَارِ.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا}.

يقول تعالى ذكره: أفلم يسير هؤلاء المكذبون محمداً صلى الله عليه وسلم، المنكرو ما أنزلنا عليه من الكتاب في الأرض سفراً، وإنما هذا توبيخ من الله لهم، لأنهم قد كانوا يسافرون إلى الشام، فيرون نقمة الله التي أحلها بأهل حَجْرِ ثمود، ويرون في سفرهم إلى اليمن ما أحلَّ الله بسبِّها، فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين به: أفلم يسير هؤلاء المشركون سفراً في البلاد فينظروا كيف كان عاقبة تكذيب الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها الرَّاثة نصائحها ألم نهلكها فندمر عليها منازلها ونخرَّبها، فيتعضوا بذلك، ويحذروا أن يفعل الله ذلك بهم في تكذيبهم إياه، فينبؤوا إلى طاعة الله في تصديقك، ثم توعدهم جلَّ ثناؤه، وأخبرهم إن هم أقاموا على تكذيبهم رسوله، أنه مُجَلَّ بهم من العذاب ما أحلَّ بالذين كانوا من قبلهم من الأمم، فقال: وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا يَقُولُ: وَلِلْكَافِرِينَ مِنْ قَرِيشِ الْمَكْذِبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْعَذَابِ الْعَاجِلِ، أَمْثَالِ عَاقِبَةِ تَكْذِيبِ الْأُمَّمِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ رُسُلَهُمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

24265- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا قَالَ: مِثْلُ مَا دُمِّرَتْ بِهِ الْقُرُونُ الْأُولَى وَعِيدَ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ.

الآية : 11-12

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكِ يَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ * إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَوَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ}.

يقول تعالى ذكره: هذا الفعل الذي فعلنا بهذين الفريقين: فريق الإيمان، وفريق الكفر، من نُصرتنا فريق الإيمان بالله، وتثبيتنا أقدامهم، وتدميرنا على فريق الكفر بأن الله مَوْلى الَّذِينَ آمَنُوا يقول: من أجل أن الله وليّ من آمن به، وأطاع رسوله. كما:

24266- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ مَوْلى الَّذِينَ آمَنُوا قال: وليهم. وقد ذكر لنا أن ذلك في قراءة عبد الله «ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ وَلِيّ الَّذِينَ آمَنُوا» و«أَنَّ» التي في المائدة التي هي في مصاحفنا إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: «إِنَّمَا مَوْلَاكُمُ اللَّهُ» في قراءته.

وقوله: وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلى لَهُمْ يقول: وبأن الكافرين بالله لا وليّ لهم، ولا ناصر.

وقوله: إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يقول تعالى ذكره: إن الله له الألوهة التي لا تنبغي لغيره، يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار، يفعل ذلك بهم تكريما على إيمانهم به وبرسوله.

وقوله: وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ يقول جل ثناؤه: والذين جحدوا توحيد الله، وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم يتمتعون في هذه الدنيا بحطامها ورياشها وزينتها الفانية الدارسة، ويأكلون فيها غير مفكرين في المعاد، ولا معتبرين بما وضع الله لخلقه من الحجج المؤدية لهم إلى علم توحيد الله ومعرفة صدق رسوله، فمثلهم في أكلهم ما يأكلون فيها من غير علم منهم بذلك، وغير معرفة، مثل الأنعام من البهائم المسخرة التي لا همة لها إلا في الاعتلاف دون غيره والنار مَنَوَى لَهُمْ يقول جل ثناؤه: والنار نار جهنم مسكن لهم، وماوى، إليها يصيرون من بعد مماتهم.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا تَاصِرَ لَهُمْ}.

يقول تعالى ذكره: وكم يا محمد من قرية هي أشدّ قوّة من قرينك، يقول أهلها أشدّ بأسا، وأكثر جمعا، وأعدّ عديدا من أهل قرينك، وهي مكة، وأخرج الخبر عن القرية، والمراد به أهلها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24267- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ قال: هي مكة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ قال: قرينته مكة.

24268- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن حبيش، عن عكرمة، عن ابن عباس أن نبي الله صلى الله عليه وسلم، لما خرج من مكة إلى الغار، أراه قال: التفت إلى مكة، فقال: «أَنْتِ أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ إِلَيَّ، وَأَنْتِ أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ إِلَيَّ، فَلَوْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يُخْرِجُونِي لَمْ أَخْرُجْ مِنْكَ، فَأَعْتَى الْأَعْدَاءُ مَنْ عَتَا عَلَى اللَّهِ فِي حَرَمِهِ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ، أَوْ قَتَلَ بِدُحُولِ الْجَاهِلِيَّةِ»، فأنزل الله تبارك وتعالى: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ

أَسَدٌ قُوَّةٌ مِنْ قَرَيْبِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ وَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَخْرَجْتِكَ، فَأَخْرَجَ الْخَبَرَ عَنِ الْقَرْيَةِ، فَلِذَلِكَ أُثِّتَ، ثُمَّ قَالَ: أَهْلَكْنَاهُمْ، لِأَنَّ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ أَخْرَجْتِكَ، مَا وَصَفْتَ مِنْ أَنَّهُ أَرِيدُ بِهِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ، فَأَخْرَجَ الْخَبَرَ مَرَّةً عَلَى اللَّفْظِ، وَمَرَّةً عَلَى الْمَعْنَى.

وقوله: فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ فِيهِ وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ نَصَبَ النَّاصِرَ بِالتَّبَرُّتِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ نَاصِرٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَضَمَّرَ كَانَ أحيانًا فِي مِثْلِ هَذَا. وَالْآخَرُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ الْآنَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَنْصُرُهُمْ.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: { أَقَمَّنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: أَقَمَّنْ كَانَ عَلَى بَرَهَانٍ وَحِجَّةٍ وَبَيَانٍ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ وَالْعِلْمُ بَوَحْدَانِيَّتِهِ، فَهُوَ يَعْبُدُهُ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْهُ، بَأَنَّ لَهُ رَبًّا يَجَازِيهِ عَلَى طَاعَتِهِ إِيَّاهُ الْجَنَّةَ، وَعَلَى إِسَاءَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ النَّارَ، كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ يَقُولُ: كَمَن حَسَّنَ لَهُ الشَّيْطَانُ قَبِيحَ عَمَلِهِ وَسَيِّئَتِهِ، فَأَرَاهُ جَمِيلًا، فَهُوَ عَلَى الْعَمَلِ بِهِ مُقِيمٌ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَاتَّبَعُوا مَا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ مِنْ ذَلِكَ بَرَهَانٌ وَحِجَّةٌ. وَقِيلَ: إِنْ الَّذِي عُنِيَ بِقَوْلِهِ: أَقَمَّنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ نَبِينًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِنَّ الَّذِي عُنِيَ بِقَوْلِهِ: كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ هُمُ الْمُشْرِكُونَ.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: { مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَن هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: صفة الجنة التي وعدها المتقون، وهم الذين اتقوا في الدنيا عقابه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه فيها أَنهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ الَّتِي: ذَكَرَهَا أَنهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ مُتَغَيَّرِ الرِّيحِ، يُقَالُ مِنْهُ: قَدْ آسِنَ مَاءٌ هَذِهِ الْبُئْرُ: إِذَا تَغَيَّرَ رِيحُ مَائِهَا فَأَنْتَنَتْ، فَهُوَ يَأْسِنُ إِسْنًا، وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَصَابَتْهُ رِيحٌ مُنْتَنَةٌ: قَدْ آسِنَ فَهُوَ يَأْسِنُ. وَأَمَّا إِذَا آجَنَ الْمَاءُ وَتَغَيَّرَ، فَإِنَّهُ يُقَالُ لَهُ: آسِنَ فَهُوَ يَأْسِنُ، وَيَأْسِنُ أَسُونًا، وَمَاءٌ آسِنٌ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24269_ حدثني عليٌّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس، في قوله: فِيهَا أَنهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ يَقُولُ: غَيْرِ مُتَغَيَّرِ.

24270_ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: أَنهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ قَالَ: مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ مُنْتَنٍ.

24271_ حدثني عيسى بن عمرو، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد، قال: حدثنا مصعب بن سلام، عن سعد بن طريف، قال: سألت أبا إسحاق عن ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَنْهَا الْحَارِثَ، فَحَدَّثَنِي أَنَّ الْمَاءَ الَّذِي غَيْرِ آسِنٍ تَسْنِيمٌ، قَالَ: بَلَّغَنِي أَنَّهُ لَا تَمْسَهُ يَدٌ، وَأَنَّهُ يَجِيءُ الْمَاءَ هَكَذَا حَتَّى يَدْخُلَ فِيهِ.

وقوله: وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَفِيهَا أَنهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْلُبْ مِنْ حَيْوَانٍ فَيَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ بِالْخُرُوجِ مِنْ

الضروع, ولكنه خلقه الله ابتداء في الأنهار, فهو بهيئته لم يتغير عما خلقه عليه.

وقوله: وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ يَقُولُ: وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين يلتذون بشربها. كما:

24272- حدثني عيسى, قال: حدثنا إبراهيم بن محمد, قال: حدثنا مصعب, عن سعد بن طريف, قال: سألت عنها الحارث, فقال: لم تدسه المجوس, ولم ينفخ فيه الشيطان, ولم تؤذها شمس, ولكنها فَوْحَاء, قال: قلت لعكرمة: ما الفوحاء: قال: الصفراء. وكما:

24273- حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا حفص بن عمر, قال: حدثنا الحكم بن أبان, عن عكرمة, في قوله: مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ قال: لم يحلب, وَخُفِضَتِ اللَّذَّةُ عَلَى النَّعْتِ لِلخَمْرِ, ولو جاءت رفعا على النعت للأنهار جاز, أو نصبا على يتلذذ بها لذة, كما يقال: هذا لك هبة. كان جائزا فأما القراءة فلا أستجيزها فيها إلا خفضا لإجماع الحجة من القراء عليها.

وقوله: وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى يَقُولُ: وفيها أنهار من عسل قد صُفِّي من القذى, وما يكون في عسل أهل الدنيا قبل التصفية, وإنما أعلم تعالى ذكره عباده بوصفه ذلك العسل بأنه مصفى أنه خلق في الأنهار ابتداء سائلا جاريا سيل الماء واللبن المخلوقين فيها, فهو من أجل ذلك مُصَفًّى, قد صفاه الله من الأقداء التي تكون في عسل أهل الدنيا الذي لا يصفو من الأقداء إلا بعد التصفية, لأنه كان في شمع فُصِّفِي منه.

وقوله: وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ يَقُولُ تعالى ذكره: ولهؤلاء المتقين في هذه الجنة من هذه الأنهار التي ذكرنا من جميع الثمرات التي تكون على الأشجار وَمَعْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ يَقُولُ: وعفو من الله لهم عن ذنوبهم التي أذنبوها في الدنيا, ثم تابوا منها, وَصَفْحٌ مِنْهُ لِهِمْ عَنِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا.

وقوله: كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ يَقُولُ تعالى ذكره: أَمَّنْ هُوَ فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ التي صفتها ما وصفنا, كمن هو خالد في النار. وَأَبْتَدَى الْكَلَامَ بِصِفَةِ الْجَنَّةِ, فقيل: مثل الجنة التي وعد المتقون, ولم يقل: أَمَّنْ هُوَ فِي الْجَنَّةِ. ثم قيل بعد انقضاء الخبر عن الجنة وصفتها كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ. وإنما قيل ذلك كذلك, استغناء بمعرفة السامع معنى الكلام, ولدلالة قوله: كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ عَلَى مَعْنَى قَوْلِهِ: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ.

وقوله: وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا يَقُولُ تعالى ذكره: وَسُقِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ خُلُودٌ فِي النَّارِ مَاءً قَدْ أَنْتَهَى حَرُّهُ فَقَطَعَ ذَلِكَ الْمَاءَ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ أَمْعَاءَهُمْ. كما:

24274- حدثني محمد بن خلف العسقلاني, قال: حدثنا حيوة بن شريح الجمصي, قال: حدثنا بقية, عن صفوان بن عمرو, قال: ثني عبيد الله بن بشر, عن أبي أمامة الباهلي, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَبَجُّعُهُ قَالَ: «يُقَرَّبُ إِلَيْهِ فَيَتَكَرَّهُهُ, فَإِذَا أَدْنَى مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ, وَوَقَعَتْ قَرْوَةٌ رَأْسِهِ, فَإِذَا شَرِبَ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ». قال: يقول الله وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا, فَقَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَشْوِي الْوُجُوهَ, يَنْسِ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقًا.

الآية : 16

القول في تأويل قول تعالى: { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَادَا قَالَ أَيْنَا أَوْلَيْكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء الكفار يا محمد من يستمع إليك وهو المنافق، فيستمع ما تقول فلا يعيه ولا يفهمه، تهاونا منه بما تتلو عليه من كتاب ربك، وتغافلاً عما تقوله، وتدعو إليه من الإيمان، حتى إذا خرجوا من عندك قالوا إعلاما منهم لمن حضر معهم مجلسك من أهل العلم بكتاب الله، وتلاوتك عليهم ما تلوت، وقيلك لهم ما قلت إنهم لن يسمعوا أسماعهم لقولك وتلاوتك ماداً قال لنا محمد أينما؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24275- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ، دخل رجلان: رجل ممن عقل عن الله وانتفع بما سمع ورجل لم يعقل عن الله، فلم ينتفع بما سمع، كان يقال: الناس ثلاثة: فسامع عامل، وسامع غافل، وسامع تارك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ قَالَ: هم المنافقون. وكان يقال: الناس ثلاثة: سامع فاعمل، وسامع فغافل، وسامع فتارك.

24276- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا شريك، عن عثمان أبي اليقظان، عن يحيى بن الجرار، أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَادَا قَالَ أَيْنَا قَالَ ابن عباس: أنا منهم، وقد سُئِلت فيمن سُئِلَ.

24277- حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ... إلى آخر الآية، قال: هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ، والذين أُوتُوا الْعِلْمَ: الصحابة رضي الله عنهم.

وقوله: أَوْلَيْكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ يقول تعالى ذكره: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صَفَتُهُمْ هُم الْقَوْمُ الَّذِينَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، فهم لا يهتدون للحق الذي بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام، واتبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ يقول: ورفضوا أمر الله، واتبَعُوا ما دعتهم إليه أنفسهم، فهم لا يرجعون مما هم عليه إلى حقيقة ولا برهان، وسَوَّى جُلُّ ثَنَائِهِ بَيْنَ صِفَةِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، في أن جميعهم إنما يتبعون فيما هم عليه من فراقهم دين الله، الذي ابتعث به محمدا صلى الله عليه وسلم أهواءهم، فقال في هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ: أَوْلَيْكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وقال في أهل الكفر به من أهل الشرك، كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ.

الآية : 17-18

القول في تأويل قوله تعالى: { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ * فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرَاهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: وأما الذين وفقهم الله لاتباع الحق، وشرح صدورهم للإيمان به وبرسوله من الذين استمعوا إليك يا محمد، فإن ما تلوته عليهم، وسمعوه منك زادهم هدىً يقول: زادهم الله بذلك إيمانا إلى إيمانهم، وبيانا لحقيقة ما جئتهم به من عند الله إلى البيان الذي كان عندهم. وقد ذكر أن

الذي تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن، فقال أهل النفاق منهم لأهل الإيمان، ماذا قال أنفا، وزاد الله أهل الهدى منهم هدى، كان بعض ما أنزل الله من القرآن ينسخ بعض ما قد كان الحكم مضى به قبل. ذكر من قال ذلك:

24278_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ قال: لما أنزل الله القرآن آمنوا به، فكان هدى، فلما تبين الناسخ والمنسوخ زادهم هدى.

وقوله: وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ يقول تعالى ذكره: وأعطى الله هؤلاء المهتدين تقواهم، وذلك استعماله إياهم تقواهم إياه.

وقوله: فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا يقول تعالى ذكره: فهل ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله من أهل الكفر والنفاق إلا الساعة التي وعد الله خلقه بعثهم فيها من قبورهم أحياء، أن تحيئهم فجأة لا يشعرون بمجيئها. والمعنى: هل ينظرون إلا الساعة، هل ينظرون إلا أن تأتيهم بغتة. وأن من قوله: إِلَّا أَنْ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ بِالرَّدِّ عَلَى السَّاعَةِ، وَعَلَى فَتْحِ الْأَلْفِ مِنْ أَنْ تَأْتِيَهُمْ وَنَصَبِ تَأْتِيَهُمْ بِهَا قِرَاءَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ. وقد:

24279_ حدثت عن الفراء، قال: حدثني أبو جعفر الرُّوَاسِيُّ، قال: قلت لأبي عمرو بن العلاء: ما هذه الفاء التي في قوله: فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا قال: جواب الجزاء، قال: قلت: إنها إن تأتيهم، قال: فقال: معاذ الله، إنما هي «إِنْ تَأْتِيَهُمْ» قال الفراء: فظننت أنه أخذها عن أهل مكة، لأنه عليهم قرأ، قال الفراء: وهي أيضا في بعض مصاحف الكوفيين بسنة واحدة «تَأْتِيَهُمْ» ولم يقرأ بها أحد منهم.

وتأويل الكلام على قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف «إِنْ» وحزم «تَأْتِيَهُمْ» فهل ينظرون إلا الساعة؟ فيجعل الخبر عن انتظار هؤلاء الكفار الساعة متناهيا عند قوله: إِلَّا السَّاعَةَ، ثم يُبْتَدَأُ الْكَلَامُ فَيَقَالُ: إِنْ تَأْتِيَهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا، فتكون الفاء من قوله: فَقَدْ جَاءَ بِجَوَابِ الْجَزَاءِ. وقوله: فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا يقول: فقد جاء هؤلاء الكافرين بالله الساعة وأدلتها ومقدماتها، وواحد الأشرط: شَرَطَ، كما قال جرير: تَرَى شَرَطَ الْمِعْرَى مُهُورَ نِسَائِهِمْ فِي شَرَطِ الْمِعْرَى لَهُنَّ مُهُورًا وَيُورَى: «تَرَى قَرَمَ الْمِعْرَى»، يقال منه: أشرط فلان نفسه: إذا علمها بعلامة، كما قال أوس بن حجر:

فَأَشْرَطَ فِيهَا نَفْسَهُ وَهُوَ مُعْصِمُ أَلْقَى بِأَسْبَابِ لَهُ وَتَوَكَّلَا

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24280_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا يعني: أشرط الساعة.

24281_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً قَدْ دنت الساعة ودنا من الله فراغ العباد.

24282_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا قال: أشرطها: آياتها.

وقوله: فَأَنْى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ يقول تعالى ذكره: فمن أي وجه لهؤلاء المكذبين بآيات الله ذكرى ما قد ضيعوا وفرطوا فيه من طاعة الله إذا

جاءتهم الساعة, يقول: ليس ذلك بوقت ينفعهم التذكر والندم, لأنه وقت مجازاة لا وقت استعتاب ولا استعمال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24283_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَأَنى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ يَقول: إِذا جاءتهم الساعة أَنى لهم أَن يتذكروا ويعرفوا ويعقلوا؟

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فَأَنى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ قال: أَنى لهم أَن يتذكروا أو يتوبوا إِذا جاءتهم الساعة.

24284_ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَأَنى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ قال: الساعة, لا ينفعهم عند الساعة ذكراهم, والذكرى في موضع رفع بقوله: فَأَنى لَهُمْ لَأَن تأويل الكلام: فَأَنى لهم ذكراهم إِذا جاءتهم الساعة.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: { قَاعَلِم أَنَّهُ لآ إِلَهَ إِلا اللّهُ وَاسْتَعْفِر لِدَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَاكُمْ }.

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم: فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة, ويجوز لك وللخلق عبادته, إلا الله الذي هو خالق الخلق, ومالك كل شيء, يدين له بالربوبية كل ما دونه وَاسْتَعْفِر لِدَنبِكَ ورسول ربك غفران سالف ذنوبك وجادتها, وذنوب أهل الإيمان بك من الرجال والنساء وَاللّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَاكُمْ يقول: فإن الله يعلم متصرفكم فيما تتصرفون فيه في يقظتكم من الأعمال, ومثواكم إِذا ثوبتم في مضاجعكم للنوم ليلاً, لا يخفى عليه شيء من ذلك, وهو مجازيكم على جميع ذلك. وقد:

24285_ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا إبراهيم بن سليمان, عن عاصم الأحول, عن عبد الله بن سرجس, قال: أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقلت: غفر الله لك يا رسول الله, فقال رجل من القوم: أيستغفر لك يا رسول الله, قال: «تَعَمْ وَلَكَ», ثم قرأ وَاسْتَعْفِر لِدَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

الآية : 20-21

القول في تأويل قوله تعالى: { وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَطَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ قَلَوْا صدَّقُوا اللّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: ويقول الذين صدقوا الله ورسوله: هلا نزلت سورة من الله تأمرنا بجهاد أعداء الله من الكفار فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ يعني: أنها محكمة بالبيان والفرائض. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله «فإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحَدَّثَةٌ».

وقوله: وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ يقول: وذكر فيها الأمر بقتال المشركين. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

24286_ حدثني بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ

فِيهَا الْقِتَالُ قَالَ: كُلُّ سُورَةٍ ذُكِرَ فِيهَا الْجِهَادُ فَهِيَ مُحْكَمَةٌ، وَهِيَ أَشَدُّ الْقُرْآنِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ: وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ قَالَ: كُلُّ سُورَةٍ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ فَهِيَ مُحْكَمَةٌ.

وَقَوْلُهُ: رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَقُولُ: رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ فِي دِينِ اللَّهِ وَضَعْفٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، تَنْظَرُ الْمَعْشِيُّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ، خَوْفًا أَنْ تَغْزِيَهُمْ وَتَأْمُرَهُمْ بِالْجِهَادِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَهَمَّ خَوْفًا مِنْ ذَلِكَ وَتَجَنَّبْنَا عَنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَعْشِيِّ عَلَيْهِ الَّذِي قَدْ صَرَخَ. وَإِنَّمَا عَنَى بِقَوْلِهِ: مِنَ الْمَوْتِ مِنْ خَوْفِ الْمَوْتِ، وَكَانَ هَذَا فِعْلَ أَهْلِ النِّفَاقِ. كَالَّذِي:

24287_ حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَعْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قُلُوبَهُمْ، فَلَا يَفْقَهُونَ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَوْلُهُ: فَأَوْلَى لَهُمْ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: فَأَوْلَى لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ.

وَقَوْلُهُ: فَأَوْلَى لَهُمْ وَعِيدٌ تَوَعَّدَ اللَّهُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ. كَمَا: 24288_ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ فَأَوْلَى لَهُمْ قَالَ: هَذِهِ وَعِيدٌ، فَأَوْلَى لَهُمْ، ثُمَّ انْقَطَعَ الْكَلَامُ فَقَالَ: طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ.

حَدَّثَنَا بَشِيرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: فَأَوْلَى لَهُمْ قَالَ: وَعِيدٌ كَمَا تَسْمَعُونَ.

وَقَوْلُهُ: طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزَلَ سُورَةُ مُحْكَمَةٌ، وَيَذَكَّرُ فِيهَا الْقِتَالَ، وَأَنَّهُمْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ مَفْتَرٌ عَلَيْكُمْ الْجِهَادِ، قَالُوا: سَمِعَ وَطَاعَةٌ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ إِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً وَفُرِضَ الْقِتَالُ فِيهَا عَلَيْهِمْ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَكَرِهَ هُوَ طَاعَةً وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ قَبْلَ وَجُوبِ الْفُرْضِ عَلَيْكُمْ، فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ كَرِهْتُمُوهُ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ.

وَقَوْلُهُ: طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ مَرْفُوعٌ بِمَضْمَرٍ، وَهُوَ قَوْلُكُمْ قَبْلَ نَزُولِ فُرْضِ الْقِتَالِ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ.

24289_ وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ غَيْرٍ مُرْتَضَى أَنَّهُ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَأَوْلَى لَهُمْ ثُمَّ قَالَ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ تَمَامُ الْوَعِيدِ فَأَوْلَى، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ بَعْدَ، فَيَقَالُ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَتَكُونُ الطَّاعَةُ مَرْفُوعَةً بِقَوْلِهِ: لَهُمْ. وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ فِي ذَلِكَ كَمَا:

24290_ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ قَالَ: أَمَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْمُنَافِقِينَ.

وَقَوْلُهُ: فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ يَقُولُ: فَإِذَا وَجِبَ الْقِتَالُ وَجَاءَ أَمْرُ اللَّهِ بِفُرْضِ ذَلِكَ كَرِهْتُمُوهُ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

24291_ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ قَالَ: إِذَا جَدَّ الْأَمْرُ، هَكَذَا.

قال: محمد بن عمرو في حديثه, عن أبي عاصم, وقال الحارث في حديثه, عن الحسن يقول: جد الأمر.

وقوله: قَلُّوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ يقول تعالى ذكره: فلو صدقوا الله ما وعدوه قبل نزول السورة بالقتال بقولهم: إذ قيل لهم: إن الله سيامرکم بالقتال طاعة, قَوُّوْا له بذلك, لكان خيرا لهم في عاجل دنياهم, وأجل معادهم. كما:

24292_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فإذا عَزَمَ الْأُمْرُ يقول: طواعية الله ورسوله, وقول معروف عند حقائق الأمور خير لهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة يقول: طاعة الله وقول بالمعروف عند حقائق الأمور خير لهم.

الآية : 22-23

القول في تأويل قوله تعالى: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف أنهم إذا نزلت سورة محكمة, وذكر فيها القتال نظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر المغشي عليه فَهَلْ عَسَيْتُمْ أيها القوم, يقول: فلعلكم إن توليتم عن تنزيل الله جل ثناؤه, وفارقتم أحكام كتابه, وأدبرتم عن محمد صلى الله عليه وسلم وعما جاءكم به أن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ يقول: أن تعصوا الله في الأرض, فتكفروا به, وتسفكوا فيها الدماء وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشتت والتفرق بعد ما قد جمعكم الله بالإسلام, وألف به بين قلوبكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24293_ حدثنا بيئير, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ... الآية. يقول: فهل عسيتم كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله, ألم يسفكوا الدم الحرام, وقطعوا الأرحام, وعصوا الرحمن.

24294_ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ قال: فعلوا.

24295_ حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: أخبرنا محمد بن جعفر وسليمان بن بلال, قالوا: حدثنا معاوية بن أبي المزرد المدني, عن سعيد بن يسار, عن أبي هريرة, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خَلَقَ اللَّهُ الْحَلْقَ, فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُمْ تَعَلَّقَتِ الرَّجْمُ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ» فَقَالَ مَهْ: فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ, قَالَ: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ, وَأَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ, قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ.

قال سليمان في حديثه: قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ وقد تأوله بعضهم: فهل عسيتم إن توليتم أمور الناس أن تفسدوا في الأرض بمعنى الولاية, وأجمعت القراء غير نافع على فتح السين من عسيتم, وكان نافع يكسرهما «عسيتم».

والصواب عندنا قراءة ذلك بفتح السين لإجماع الحجة من القرّاء عليها، وأنه لم يسمع في الكلام: عَسَى أَخوكِ يقوم، بكسر السين وفتح الياء ولو كان صوابا كسرهما إذا اتصل بها مكني، جاءت بالكسر مع غير المكني، وفي إجماعهم على فتحها مع الاسم الظاهر، الدليل الواضح على أنها كذلك مع المكني، وإن التي تلي عسيتم مكسورة، وهي حرف جزاء، و«أن» التي مع تفسدوا في موضع نصيب بعسيتم.

وقوله: **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ** يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يفعلون هذا، يعني الذين يفسدون ويقطعون الأرحام الذين لعنهم الله، فأبعدهم من رحمته فأصمهم، يقول: فسلبهم قَهَمَ ما يسمعون بأذانهم من مواعظ الله في تنزيله وأَعَمَى أَبْصَارَهُمْ يقول: وسلبهم عقولهم، فلا يتبينون حُجج الله، ولا يتذكرون ما يرون من عبره وأدلته.

الآية : 24-25

القول في تأويل قوله تعالى: { أَقْلًا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا * إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في أي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام، ويتفكرون في حُججه التي بينها لهم في تنزيله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون أم على قلوب أقفالها يقول: أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر. ونحن الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 24296- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **أَقْلًا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** إذا والله يجدون في القرآن زاجرا عن معصية الله، لو تدبره القوم فعقلوه، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك.

24297- حدثنا إسماعيل بن حفص الأيلي، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، قال: ما من آدمي إلا وله أربع أعين: عينان في رأسه لديناه، وما يصلحه من معيشتته، وعينان في قلبه لدينه، وما وعد الله من الغيب، فإذا أراد الله بعبد خيرا أبصرت عيناه اللتان في قلبه، وإذا أراد الله به غير ذلك طمس عليهما، فذلك قوله: **أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا ثور بن يزيد، قال: حدثنا خالد بن معدان، قال: ما من الناس أحد إلا وله أربع أعين، عينان في وجهه لمعيشتته، وعينان في قلبه، وما من أحد إلا وله شيطان متبطن فقار ظهره، عاطف عنقه على عنقه، فاغر فاه إلى ثمره قلبه، فإذا أراد الله بعبد خيرا أبصرت عيناه اللتان في قلبه ما وعد الله من الغيب، فعمل به، وهما غيب، فعمل بالغيب، وإذا أراد الله بعبد شرا تركه، ثم قرأ **أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم، قال: حدثنا عمرو، عن ثور، عن خالد بن معدان بنحوه، إلا أنه قال: ترك القلب على ما فيه.

24298- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما **أَقْلًا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** فقال شاب من

أهل اليمن: بل عليها أقفالها، حتى يكون الله عز وجل يفتحها أو يفرجها، فما زال الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به.
وقوله: إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ الَّذِينَ رَجَعُوا الْقَهْقَرَىٰ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ كَفَارًا بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ وَقَصِدِ السَّبِيلِ، فعرفوا واضح الحجة، ثم أثروا الضلال على الهدى عنادا لأمر الله تعالى ذكره من بعد العلم. كما:

24299- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ هُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَهْلُ الْكِتَابِ، يعرفون بعث محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عندهم، ثم يكفرون به.

24300- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ إِنْهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ. وقال آخرون: عنى بذلك أهل النفاق. ذكر من قال ذلك:

24301- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ... إلى قوله فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ هم أهل النفاق.

24302- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ... إلى إِسْرَارِهِمْ هم أهل النفاق. وهذه الصفة بصفة أهل النفاق عندنا، أشبه منها بصفة أهل الكتاب، وذلك أن الله عز وجل أخبر أن ردّتهم كانت بقتلهم لِلَّذِينَ كَرَهُوا، مَا تَزَلَّ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَلَوْ كَانَتْ مِنْ صِفَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، لكان في وصفهم بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم الكفاية من الخبر عنهم بأنهم إنما ارتدّوا من أجل قتلهم ما قالوا.

وقوله: الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ يَقول تعالى ذكره: الشيطان زين لهم ارتدادهم على أدبارهم، من بعد ما تبين لهم الهدى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24303- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ يقول: زين لهم. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة سَوَّلَ لَهُمْ يقول: زين لهم.

وقوله: وَأَمَلَىٰ لَهُمْ يقول: ومدّ الله لهم في آجالهم مُلاوة من الدهر، ومعنى الكلام: الشيطان سَوَّلَ لَهُمْ، والله أملى لهم.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والكوفة وأملى لَهُمْ بفتح الألف منها بمعنى: وأملى الله لهم. وقرأ ذلك بعض أهل المدينة والبصرة «وَأَمَلِيَّ لَهُمْ» على وجه ما لم يسم فاعله. وقرأ مجاهد فيما ذكر عنه «وَأَمَلِيَّ» بضم الألف وإرسال الياء على وجه الخبر من الله جل ثناؤه عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم.

وأولى هذه القراءات بالصواب، التي عليها عامة قراء الحجاز والكوفة من فتح الألف في ذلك، لأنها القراءة المستفيضة في قراء الأمصار، وإن كان يجمعها مذهب تتقارب معانيها فيه.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ} .

يقول تعالى ذكره: أملى الله لهؤلاء المنافقين وتركهم, والشيطان سول لهم, فلم يوفقهم للهدى من أجل أنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله من الأمر بقتال أهل الشرك به من المنافقين: سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ خِلافَ أَمْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى, وَأَمْرَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كما: 24304_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ذلكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ فَهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَ هَذِهِ الْحِزْبِ الْمُنْتَظَاهِرِينَ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ, عَلَى خِلافِ أَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ, إِذْ يَتَسَاءَرُونَ فِيهَا بَيْنَهُمْ بِالْكَفْرِ بِاللَّهِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ, وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ ذَلِكَ وَلَا غَيْرُهُ مِنَ الْأُمُورِ كُلِّهَا.

واختلفت القراء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة «أَسْرَارَهُمْ» بفتح الألف من أسرارهم على وجه جماع سر. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة إِسْرَارَهُمْ بكسر الألف على أنه مصدر من أسررت إسرارا. والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى, فبأيهما قرأ القارئ فمصيب.

الآية : 27-28

القول في تأويل قوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} .

يقول تعالى ذكره: والله يعلم إسرار هؤلاء المنافقين, فكيف لا يعلم حالهم إذا توفيتهم الملائكة, وهم يضربون وجوههم وأدبارهم, يقول: فحالهم أيضا لا يخفى عليه في ذلك الوقت ويعني بالأدبار: الأعجاز, وقد ذكرنا الرواية في ذلك فيما مضى قبل.

وقوله: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: تَفْعَلُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا الَّذِي وَصَفْتَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ, فَأَغْضَبَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ يَقُولُ: وَكَرِهُوا مَا يَرْضِيهِ عَنْهُمْ مِنْ قِتَالِ الْكُفَّارِ بِهِ, بَعْدَ مَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ. وقوله: فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ يَقُولُ: فَأَبْطَلَ اللَّهُ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ وَأَذْهَبَهُ, لِأَنَّهَا عَمِلَتْ فِي غَيْرِ رِضَاةٍ وَلَا مَحَبَّةٍ, فَبَطَلَتْ, وَلَمْ تَنْفَعْ عَامِلَهَا.

الآية : 29-30

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلاَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ} .

يقول تعالى ذكره: أحسب هؤلاء المنافقون الذين في قلوبهم شك في دينهم, وضعف في يقينهم, فهم حيارى في معرفة الحق أن لن يخرج الله ما في قلوبهم من الأضغان على المؤمنين, فيبيده لهم ويظهره, حتى يعرفوا نفاقهم, وحيرتهم في دينهم وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: وَلَوْ نَشَاءُ بِمَا مُحَمَّدٌ لَعَرَفْنَاكَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ حَتَّى تَعْرِفَهُمْ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: سَارِيكَ مَا أَصْنَعُ, بِمَعْنَى سَأَعْلَمُكَ.

وقوله: فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ يقول: فلتعرفنهم بعلامات النفاق الظاهرة منهم في فحوى كلامهم، وظاهر أفعالهم، ثم إن الله تعالى ذكره عرّفه إياهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24305_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَاتَهُمْ... إلى آخر الآية، قال: هم أهل النفاق، وقد عرّفه إياهم في براءة، فقال: وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ، وقال: قُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا.

24306_ حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ... الآية، هم أهل النفاق فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ فعرّفه الله إياهم في سورة براءة، فقال: وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا، وقال: قُلْ لَنْ تَنْفُرُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا.

24307_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَاتَهُمْ قال: هؤلاء المنافقون، قال: والذي أسروا من النفاق هو الكفر.

24308_ قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَلَوْ تَشَاءُ لَأَرْبِنَاكِهِمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قال: هؤلاء المنافقون، قال: وقد أراه الله إياهم، وأمر بهم أن يخرجوا من المسجد، قال: فأبوا إلا أن تَمَسُّكُوا بِأَيْدِيهِمْ إِنْ لَمْ يَأْمُرُوا بِالْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ أَتَمَسُّكُوا بِأَيْدِيهِمْ أَنْ تَكُونَ لِلدِّينِ مُنْجِيَاتٍ فَذَكَّرْنَا لَهُمْ وَنَكَحُوا نوکحوا بها.

وقوله: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ يقول: ولتعرفن هؤلاء المنافقين في معنى قولهم ونحوه.

24309_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: فِي لَحْنِ الْقَوْلِ قال قولهم: وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ لا يخفى عليه العامل منكم بطاعته، والمخالف ذلك، وهو مجازي جميعكم عليها.

الآية : 31-32

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَتَبْلُؤَنَّهُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْاْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوْاْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَصُرُواْ لَآلِهَةً شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَالُهُمْ}.

يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وَلَتَبْلُؤَنَّهُمْ أيها المؤمنون بالقتل، وجهاد أعداء الله حتى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ يقول: حتى يعلم حزبي وأوليائي أهل الجهاد في الله منكم، وأهل الصبر على قتال أعدائه، فيظهر ذلك لهم، ويعرف ذوو البصائر منكم في دينه من ذوي الشك والحيرة فيه وأهل الإيمان من أهل النفاق وتبلى أخباركم، فنعرف الصادق منكم من الكاذب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24310_ حدثني علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ، وقوله: وَلَتَبْلُؤَنَّهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ونحو هذا قال: أخبر الله سبحانه المؤمنين أن الدنيا دار بلاء، وأنه مبتليهم فيها، وأمرهم بالصبر، وبشرهم

فقال: وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، ثم أخبرهم أنه هكذا فعل بأنبيائه، وصفوته لتطيب أنفسهم، فقال: مَسَّنَهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالصَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا، فالبأساء: الفقر، والصَّرَّاء: السقم، وزُلْزَلُوا بالفتن وأذى الناس إياهم.

24311_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ قَالَ: نختبركم، البلوى: الاختبار. وقرأ الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ قَالَ: لا يختبرون وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ... الآية. واختلفت القراء في قراءة قوله: وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ، فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار بالنون نبلو ونعلم، ونبلو على وجه الخبر من الله جلَّ جلاله عن نفسه، سوى عاصم فإنه قرأ جميع ذلك بالياء والنون هي القراءة عندنا لإجماع الحجة من القراء عليها، وإن كان للأخرى وجه صحيح.

وقوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: إِنَّ الَّذِينَ جَدُّوا توحيد الله، وَصَدَّوْا النَّاسَ عَنْ دِينِهِ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى يَقُولُ: وخالفوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، فحاربوه وأدَّوه من بعد ما علموا أنه نبي مبعوث، ورسول مرسل، وعرفوا الطريق الواضح بمعرفته، وأنه لله رسول. وقوله: لَنْ يَصُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا لِأَنَّ اللَّهَ بِأَلْغِ أَمْرِهِ، وناصر رسوله، ومُظْهِرَهُ عَلَى مَنْ عَادَاهُ وَخَالَفَهُ وَسَيُخَيِّطُ أَعْمَالَهُمْ يَقُولُ: وسيذهب أعمالهم التي عملوها في الدنيا فلا ينفعهم بها في الدنيا ولا الآخرة، ويبطلها إلا مما يضرهم.

الآية : 33-34

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فِي أَمْرِهِمَا وَنَهْيِهِمَا وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ يَقُولُ: ولا تبطلوا بمعصيتكم إياهما، وكفركم بربكم ثواب أعمالكم فإن الكفر بالله يحبط السالف من العمل الصالح. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 24312_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ... الآية، من استطاع منكم أن لا يبطل عملاً صالحاً عمله بعمل سيئ فليفعل، ولا قوَّة إلا بالله، فإن الخير ينسخ الشر، وإن الشر ينسخ الخير، وإن ملاك الأعمال خواتيمها.

وقوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: إِنَّ الَّذِينَ أَنْكَرُوا توحيد الله، وَصَدَّوْا مَنْ أَرَادَ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عَنْ ذَلِكَ، فَفْتَنُوهُمْ عَنْهُ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا أَرَادُوا مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ يَقُولُ: ثم ماتوا وهم على ذلك من كفرهم فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ يَقُولُ: فلن يعفو الله عما صنع من ذلك، ولكنه يعاقبه عليه، ويفضحه به على رؤوس الأشهاد.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: { فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالِكُمْ } .
يقول تعالى ذكره: فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهاد المشركين وتجنبوا عن قتالهم. كما:

24313- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فلا تهنوا قال: لا تضعفوا.

24314- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَلَا تَهِنُوا لا تضعف أنت.

وقوله: وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ يقول: لا تضعفوا عنهم وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة, وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم وَاللَّهُ مَعَكُمْ يقول: والله معكم بالنصر لكم عليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, غير أنهم اختلفوا في معنى قوله: وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ فقال بعضهم: معناه: وأنتم أولى بالله منهم. وقال بعضهم: مثل الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك, وقال معنى قوله: وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ أنتم أولى بالله منهم.

24315- حدثني أحمد بن المقدم, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت أبي يحدث, عن قتادة, في قوله: فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ قال: أي لا تكونوا أولى الطائفتين تصرع.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فلا تهنوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ قال: لا تكونوا أولى الطائفتين صرعت لصاحبتهما, ودعتها إلى الموادة, وأنتم أولى بالله منهم والله معكم.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فلا تهنوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ قال: لا تكونوا أولى الطائفتين صرعت إلى صاحبتهما وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ قال: يقول: وأنتم أولى بالله منهم ذكر من قال معنى قوله: وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ: أنتم الغالبون الأعز منهم.

24316- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ قال: الغالبون مثل يوم أحد, تكون عليهم الدائرة.

24317- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ قال: هذا منسوخ, قال: نسخه القتال والجهاد, يقول: لا تضعف أنت وتدعوهم أنت إلى السلم وأنت الأعلى, قال: وهذا حين كانت العهود والهدنة فيما بينه وبين المشركين قبل أن يكون القتال, يقول: لا تهن فتضعف, فيرى أنك تدعوه إلى السلم وأنت فوقه, وأعز منه وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ أنتم أعز منهم, ثم جاء القتال بعد فنيخ هذا أجمع, فأمره بجهادهم والغلظة عليهم. وقد قيل: عنى بقوله: وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وأنتم الغالبون آخر الأمر, وإن غلبوكم في بعض الأوقات, وقهروكم في بعض الحروب.

وقوله: فَلَا تَهِنُوا جزم بالنهي, وفي قوله وَتَدْعُوا وجهان: أحدهما الجزم على العطف على تهنوا, فيكون معنى الكلام: فلا تهنوا ولا تدعوا إلى السلم, والآخر النصب على الصرف.

وقوله: وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَالَكُمُ يَقول: ولن يظلمكم أجور أعمالكم فينقصكم ثوابها، من قولهم: وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً، فأخذت له مالاً غصباً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 24318_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله يقول: وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَالَكُمُ يَقول: لن يظلمكم أجور أعمالكم.

24319_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحديثي الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَالَكُمُ قال: لن ينقصكم.

24320_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَالَكُمُ: أي لن يظلمكم أعمالكم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله. 24321_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَالَكُمُ قال: لن يظلمكم أعمالكم ذلك يترككم.

24322_ حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَالَكُمُ قال: لن يظلمكم أعمالكم.

الآية : 36-37

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْرَجَ أَصْغَاتِكُمْ }.

يقول تعالى ذكره: حاضاً عباده المؤمنين على جهاد أعدائه، والنفقة في سبيله، وبذل مهجتهم في قتال أهل الكفر به: قاتلوا أيها المؤمنون أعداء الله وأعداءكم من أهل الكفر، ولا تدعكم الرغبة في الحياة إلى ترك قتالهم، فإنما الحياة الدنيا لعب ولهو، إلا ما كان منها لله من عمل في سبيله، وطلب رضاه. فأما ما عدا ذلك فإنما هو لعب ولهو، يضمحل فيذهب ويندرس فيمض، أو أثم يبقى على صاحبه عاره وخزيه وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ يَقول: وإن تعملوا في هذه الدنيا التي ما كان فيها مما هو لها، فلعب ولهو، فتؤمنوا به وتتقوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، وهو الذي يبقى لكم منها، ولا يبطل بطول اللهو واللعب، ثم يؤتكم ربكم عليه أجوركم، فيعوضكم منه ما هو خير لكم منه يوم فقركم، وحاجتكم إلى أعمالكم وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ يَقول: ولا يسألكم ربكم أموالكم، ولكنه يكلفكم توحيداً، وخلع ما سواه من الأنداد، وإفراد الألوهة والطاعة له إن يسألكموها: يقول جل ثناؤه: إن يسألكم ربكم أموالكم فيحفكم يقول: فيجهدكم بالمسألة، ويلج عليكم بطلبها منكم فيلحف، تبخلوا: يقول: تبخلوا بها وتمنعوها إياه، ضنا منكم بها، ولكنه علم ذلك منكم، ومن ضيق أنفسكم فلم يسألكموها.

وقوله: وَبُخْرَجَ أَصْغَاتِكُمْ يَقول: وبخرج جل ثناؤه لو سألكم أموالكم بمسألته ذلك منكم أضغانكم قال: قد علم الله أن في مسألته المال خروج الأضغان.

24323_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا قال: الإحفاء: أن تأخذ كل شيء بيدك.

الآية : 38

القول في تأويل قوله تعالى: {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} .
يقول تعالى ذكره للمؤمنين: ها أنتم أيها الناس هؤلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يقول: تدعون إلى النفقة في جهاد أعداء الله وتُصْرَة دينه فمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ بالنفقة فيه، وأدخلت «ها» في موضعين، لأن العرب إذا أرادت التقريب جعلت المكني بين «ها» وبين «ذا»، فقالت: ها أنت ذا قائما، لأن التقريب جواب الكلام، فربما أعادت «ها» مع «ذا»، وربما اجتزأت بالأولى، وقد حذفت الثانية، ولا يقدمون أنتم قبل «ها»، لأن ها جواب فلا تقرب بها بعد الكلمة.

وقال بعض نحويي البصرة: جعل التنبيه في موضعين للتوكيد.

وقوله: وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ يقول تعالى ذكره: ومن يبخل بالنفقة في سبيل الله، فإنما يبخل عن بخل نفسه، لأن نفسه لو كانت جوادا لم تبخل بالنفقة في سبيل الله، ولكن كانت تجود بها واللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ يقول تعالى ذكره: ولا حاجة لله أيها الناس إلى أموالكم ولا نفقاتكم، لأنه الغني عن خلقه والخلق الفقراء إليه، وأنتم من خلقه، فأنتم الفقراء إليه، وإنما حصكم على النفقة في سبيله، ليُكْسِبَكُمْ بِذَلِكَ الْجَزِيلَ مِنْ ثَوَابِهِ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24324- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلْ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ قال: ليس بالله تعالى ذكره إليكم حاجة وأنتم أحوج إليه.

وقوله تعالى ذكره: وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ يقول تعالى ذكره: وإن تتولوا أيها الناس عن هذا الدين الذي جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم، فترتدوا راجعين عنه يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ يقول: يهلككم ثم يجيء بقوم آخرين غيركم بدلا منكم يصدقون به، ويعملون بشرائعه ثم لا يكونوا أمثالكُم يقول: ثم لا يبخلوا بما أمروا به من النفقة في سبيل الله، ولا يضيعون شيئا من حدود دينهم، ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يؤمرون به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24325- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ يقول: إن توليتم عن كتابي وطاعتي أستبدل قوما غيركم. قادر والله ربنا على ذلك على أن يهلكهم، ويأتي من بعدهم من هو خير منهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ قال: إن تولوا عن طاعة الله.

24326- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ. وذكر أنه عنى بقوله: يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ: العجم من عجم فارس. ذكر من قال ذلك:

24327- حدثنا ابن بزيع البغدادي أبو سعيد، قال: حدثنا إسحاق بن منصور، عن مسلم بن خالد، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: لما نزلت وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ كان

سَلَّمَانَ إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتَبَدَّلُوا بِنَا، قَالَ: فَضْرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ مِنْكَ سَلْمَانَ، فَقَالَ: «مِنْ هَذَا وَقَوْمِهِ، وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ الدِّينَ تَعَلَّقَ بِالثَّرْبِ لَنَالَتْهُ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسٍ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني مسلم بن خالد، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتَبَدَّلُوا بِنَا، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَنَا، فَضْرَبَ عَلَيَّ فَخَذَ سَلْمَانَ قَالَ: «هَذَا وَقَوْمُهُ، وَلَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثَّرْبِ لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنَ الْفُرْسِ».

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي، قال: حدثنا عبد الله بن الوليد العدني، قال: حدثنا مسلم بن خالد، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: نزلت هذه الآية وسلمان الفارسي إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحك ركبته ركبته وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ الَّذِينَ إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتَبَدَّلُوا بِنَا ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَنَا، قَالَ: فَضْرَبَ فَخَذَ سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا وَقَوْمُهُ».

24328_ وقال: مجاهد في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ مِنْ شَاءَ. وقال آخرون: هم أهل اليمن. ذكر من قال ذلك:

24329_ حدثني محمد بن عوف الطائي، قال: حدثنا أبو المغيرة، قال: حدثنا صفوان بن عمرو، قال: حدثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير وشريح بن عبيد، في قوله: وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ قَالَ: أَهْلُ الْيَمَنِ.

سورة الفتح

مدنية

وآياتها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1-3

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا }.

يعني بقوله تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا يقول: إِنَّا حَكَمْنَا لَكَ يَا مُحَمَّدٌ حَكْمًا لِمَنْ سَمِعَهُ أَوْ بَلَغَهُ عَلَيَّ مِنْ خَالَفِكَ وَنَاصَبِكَ مِنْ كِفَارِ قَوْمِكَ، وَقَضَيْنَا لَكَ عَلَيْهِمُ بِالْغَنَاءِ وَالظَّفْرِ، لِتَشْكُرَ رَبَّكَ، وَتَحْمَدَهُ عَلَى نِعْمَتِهِ بِقَضَائِهِ لَكَ عَلَيْهِمْ، وَفَتْحَهُ مَا فَتَحَ لَكَ، وَلِتَسْبِحَهُ وَتَسْتَغْفِرَهُ، فَيَغْفِرَ لَكَ بِفَعَالِكَ ذَلِكَ رَبُّكَ، مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ قَبْلَ فَتْحِهِ لَكَ مَا فَتَحَ، وَمَا تَأَخَّرَ بَعْدَ فَتْحِهِ لَكَ ذَلِكَ مَا شَكَرْتَهُ وَاسْتَغْفَرْتَهُ.

وإنما اخترنا هذا القول في تأويل هذه الآية لدلالة قول الله عز وجل إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحِ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ

يَحْمَدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا عَلَى صِحْتِهِ، إِذْ أَمَرَهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَنْ يَسْبِيحَ بِحَمْدِ رَبِّهِ إِذَا جَاءَهُ نَصْرُ اللَّهِ وَفَتْحَ مَكَّةَ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرَهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ تَوَّابٌ عَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَفِي ذَلِكَ بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ إِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ جَزَائِهِ لَهُ عَلَى شُكْرِهِ لَهُ، عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ مِنْ إِظْهَارِهِ لَهُ مَا فَتَحَ، لِأَنَّ جِزَاءَ اللَّهِ تَعَالَى عِبَادَهُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ دُونَ غَيْرِهَا.

وبعد ففي صحة الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقوم حتى ترم قدماه، فقيل له: يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟»، الدلالة الواضحة على أن الذي قلنا من ذلك هو الصحيح من القول، وأن الله تبارك وتعالى، إنما وعد نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم غفران ذنوبه المتقدمة، فتح ما فتح عليه، وبعده على شكره له، على نعمه التي أنعمها عليه. وكذلك كان يقول صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأُتُوبُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ» ولو كان القول في ذلك أنه من خبر الله تعالى نبيه أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر على غير الوجه الذي ذكرنا، لم يكن لأمره إياه بالاستغفار بعد هذه الآية، ولا لاستغفار نبي الله صلى الله عليه وسلم ربه جل جلاله من ذنوبه بعدها معنى يعقل، إذ الاستغفار معناه: طلب العبد من ربه عز وجل غفران ذنوبه، فإذا لم يكن ذنوب تغفر لم يكن لمسألته إياه غفرانها معنى، لأنه من المحال أن يقال: اللهم اغفر لي ذنبا لم أعمله. وقد تأول ذلك بعضهم بمعنى: ليغفر لك ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة، وما تأخر إلى الوقت الذي قال: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. وأما الفتح الذي وعد الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم هذه العدة على شكره إياه عليه، فإنه فيما ذكر الهدنة التي جرت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش بالحديبية.

وذكر أن هذه السورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفاً عن الحديبية بعد الهدنة التي جرت بينه وبين قومه. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذكر من قال ذلك: 24330. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا قَالَ: قَضَيْنَا لَكَ قِضَاءً مُبِينًا. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا وَالْفَتْحُ: الْقِضَاءُ.

ذكر الرواية عن قال: هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي ذكرت:

24331. حدثنا حميد بن مسعدة، قال: حدثنا بشر بن المفضل، قال: حدثنا داود، عن عامر بن إنا فتحننا لك فتحننا قال: الحديبية.

24332. حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا قَالَ: نَحَرُهُ بِالْحَدِيبِيَّةِ وَحَلْفِهِ.

24333. حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: حدثنا أبو بحر، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا جامع بن شداد، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: لما أقبلنا من الحديبية أعرسنا فنمنا، فلم

نستيقظ إلا بالشمس قد طلعت, فاستيقظنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم, قال: فقلنا أيقظوه, فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أَفْعَلُوا كَمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ, فكَذَلِكَ مِنْ نَامٍ أَوْ نَسِيٍّ» قال: وفقدنا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم, فوجدناها قد تعلق خطامها بشجرة, فأتيته بها, فركب فينا نحن نسير, إذ أتاه الوحي, قال: وكان إذا أتاه اشتد عليه فلما سري عنه أخبرنا أنه أنزل عليه: **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا.**

24334_ حدثنا أحمد بن المقدم, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت أبي يحدث عن قتادة, عن أنس بن مالك, قال: لما رجعنا من غزوة الحديبية, وقد حيل بيننا وبين نسكنا, قال: فنحن بين الحزن والكآبة, قال: فأنزل الله عز وجل: **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ, وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ, وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا, أَوْ كَمَا شَاءَ اللَّهُ, فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيَّ آيَةً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا».**

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عدي, عن سعيد بن أبي عروبة, عن قتادة, عن أنس بن مالك, في قوله: **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا** قال: نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من الحديبية, وقد حيل بينهم وبين نسكهم, فنحر الهدي بالحديبية, وأصحابه مخالطو الكآبة والحزن, فقال: **«لَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيَّ آيَةً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا»**, فقرأ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**. **لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...** إلى قوله: عزيزا فقال أصحابه هنيئا لك يا رسول الله قد بين الله لنا ماذا يفعل بك, فماذا يفعل بنا, فأنزل الله هذه الآية بعدها **لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا...** إلى قوله: وكان ذلك عند الله فوزا عظيما.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا همام, قال: حدثنا قتادة, عن أنس, قال: أنزلت هذه الآية, فذكر نحوه.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن أنس بنحوه, غير أنه قال في حديثه: **فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: هَنِئًا لَكَ مَرِيئًا يَا رَسُولَ اللَّهِ, وَقَالَ أَيْضًا: فَبَيْنَ اللَّهِ مَاذَا يَفْعَلُ بِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ, وَمَاذَا يَفْعَلُ بِهِمْ.**

24335_ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: **«نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** مرجعه من الحديبية, فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«لَقَدْ تَرَلْتُ عَلَيَّ آيَةً أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَى الْأَرْضِ»**, ثم قرأها عليهم, فقالوا: هنيئا مريئا يا نبي الله, قد بين الله تعالى ذكره لك ماذا يفعل بك, فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: **لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...** إلى قوله: **فَوْزًا عَظِيمًا».**

24336_ حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالوا: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة, عن عكرمة, قال: لما نزلت هذه الآية **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ, وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ, وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا** قالوا: هنيئا مريئا لك يا رسول الله, فماذا لنا؟ فنزلت **لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا, وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ.**

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة,
قال: سمعت قتادة يحدث عن أنس في هذه الآية إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا
قال: الحديدية.

24337_ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يحيى بن حماد, قال: حدثنا أبو
عوانة, عن الأعمش, عن أبي سفيان, عن جابر قال: ما كنا نعدّ فتح مكة إلا
يوم الحديدية.

24338_ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يعلى بن عبيد, عن عبد العزيز بن
سياه, عن حبيب بن أبي ثابت, عن أبي وائل, قال: تكلم سهل بن حنيف يوم
صفين, فقال: يا أيها الناس اتهموا أنفسكم, لقد رأيتنا يوم الحديدية, يعني
الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين, ولو
نرى قتالاً لقاتلنا, ف جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: يا
رسول الله, ألسنا على حقّ وهم على باطل؟ أليس قتالنا في الجنة وقتلاهم
في النار؟ قال: «بلى», قال: ففيم تُعطى الدنيا في ديننا, ونرجع ولما يحكم
الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا بن الخطاب, إني رسول الله, ولن يُضيعني
أبدا», قال: فرجع وهو متغيظ, فلم يصبر حتى أتى أبا بكر, فقال: يا أبا بكر
ألسنا على حقّ وهم على باطل؟ أليس قتالنا في الجنة, وقتلاهم في النار؟
قال: بلى, قال: ففيم نعطي الدنيا في ديننا, ونرجع ولما يحكم الله بيننا
وبينهم؟ فقال: يا بن الخطاب إنه رسول الله, لن يضيعه الله أبدا, قال:
فنزلت سورة الفتح, فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر,
فأقرأه إياها, فقال: يا رسول الله, أو فتح هو؟ قال: «نعم».

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جدّه,
عن الأعمش, عن أبي سفيان عن جابر, قال: ما كنا نعد الفتح إلا يوم
الحديدية.

24339_ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق,
عن البراء, قال: تعدّون أنتم الفتح فتح مكة, وقد كان فتح مكة فتحاً, ونحن
نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديدية, كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم خمس عشرة مئة, والحديدية: بئر.

24340_ حدثني موسى بن سهل الرملي, حدثنا محمد بن عيسى, قال:
حدثنا مُجمّع بن يعقوب الأنصاري, قال: سمعت أبي يحدث عن عمه عبد
الرحمن بن يزيد, عن عمه مجمّع بن جارية الأنصاري, وكان أحد القرّاء
الذين قرأوا القرآن, قال: شهدنا الحديدية مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم, فلما انصرفنا عنها, إذا الناس يهزّون الأباغر, فقال بعض الناس
لبعض: ما للناس, قالوا: أوجي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إِنَّا
فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا, لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ فَقَالَ رَجُلٌ: أَوْ فَتْحٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قال: «نعم», «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَتْحٌ», قال: فَفُسِّمَتْ خَيْرَ عَلَى أَهْلِ
الحديدية, لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديدية, وكان الجيش ألفاً
وخمسة مئة, فيهم ثلاث مئة فارس, فقسّمها رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ثمانية عشر سهماً, فأعطى الفارس سهماً, وأعطى الراجل
سهماً.

24341_ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن الشعبي, قال:
نزلت إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا بالحديدية, وأصاب في تلك الغزوة ما لم يصبه
في غزوة, أصاب أن بُوع بيعة الرضوان, وعُفِر له ما تقدّم من ذنبه وما

تأخر، وظهرت الروم على فارس، وبلغ الهدى مجله، وأطعموا نخل خيبر، وفرح المؤمنون بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم، وبظهور الروم على فارس.

وقوله تعالى: **وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ بِإِظْهَارِهِ إِبَاكَ عَلَى عَدُوِّكَ**، ورفع ذكرك في الدنيا، وغفرانه ذنوبك في الآخرة **وَبِهَدْيِكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا** يقول: ويرشدك طريقك من الدين لا اعوجاج فيه، يستقيم بك إلى رضا ربك **وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ تَصْرًا عَزِيزًا** يقول: وينصرك على سائر أعدائك، ومن ناواك نصرا، لا يغلبه غالب، ولا يدفعه دافع، للباس الذي يؤيدك الله به، وبالظفر الذي يمدك به.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا }**.

يعني جل ذكره بقوله: **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ** الله أنزل السكون والطمأنينة في قلوب المؤمنين بالله ورسوله إلى الإيمان، والحق الذي بعثك الله به يا محمد. وقد مضى ذكر اختلاف أهل التأويل في معنى السكينة قبل، والصحيح من القول في ذلك بالشواهد المغنية، عن إعادتها في هذا الموضع.

لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ يقول: ليزدادوا بتصديقهم بما جدّد الله من الفرائض التي ألزمهموها، التي لم تكن لهم لازمة إيمانا مع إيمانهم، يقول: ليزدادوا إلى إيمانهم بالفرائض التي كانت لهم لازمة قبل ذلك. ونحن الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24342- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ** قال: السكينة: الرحمة **لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ** قال: إن الله جل ثناؤه بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدّقوا بها زادهم الصلاة، فلما صدّقوا بها زادهم الصيام، فلما صدّقوا به زادهم الزكاة، فلما صدّقوا بها زادهم الحجّ، ثم أكمل لهم دينهم، فقال **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** قال ابن عباس: فآوثق إيمان أهل الأرض وأهل السموات وأصدقاه وأكمله شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** يقول تعالى ذكره: ولله جنود السموات والأرض أنصار ينتقم بهم ممن يشاء من أعدائه **وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** يقول تعالى ذكره: ولم يزل الله ذا علم بما هو كائن قبل كونه، وما خلقه عاملوه، حكيمًا في تدبيره.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: **{لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبُكَرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قَوْلًا عَظِيمًا }**.

يقول تعالى ذكره: **إنا فتحنا لك فتحا مبينا، لتشكر ربك، وتحمده على ذلك، فيغفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، وليحمد ربهم المؤمنون بالله، ويشكروه على إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم من الفتح الذي فتحه، وقضاه بينهم وبين أعدائهم من المشركين، بإظهاره إياهم عليهم، فيدخلهم بذلك جنات تجري من تحتها الأنهار، ماكثين فيها إلى غير نهاية وليكفر عنهم سييء**

أعمالهم بالحسنات التي يعملونها شكرا منهم لربهم على ما قضى لهم، وأنعم عليهم به وكانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قَوْزًا عَظِيمًا يقول تعالى ذكره: وكان ما وعدهم الله به من هذه العدة، وذلك إدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وتكفيره سيئاتهم بحسنات أعمالهم التي يعملونها عند الله لهم قَوْزًا عَظِيمًا يقول: ظفرا منهم بما كانوا تأملوه ويسعون له، ونجاة مما كانوا يحذرونه من عذاب الله عظيما. وقد تقدّم ذكر الرواية أن هذه الآية نزلت لما قال المؤمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أو تلا عليهم قول الله عز وجل: **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ هَذَا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فماذا لنا؟ تبينا من الله لهم ما هو فاعل بهم.**

24343_ حدثنا عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: **لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...** إلى قوله: **وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ** فأعلم الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام.

وقوله: **لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ عَلَى اللّام** من قوله: **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ** بتأويل تكرير الكلام **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ، إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ،** ولذلك لم تدخل الواو التي تدخل في الكلام للعطف، فلم يقل: **وليدخل المؤمنين.**

الآية : 6-7

القول في تأويل قوله تعالى: **{ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا }**

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ليغفر لك الله، وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار، وليعذب المنافقين والمنافقات، بفتح الله لك يا محمد، ما فتح لك من نصرك على مشركي قريش، فيكبتوا لذلك ويحزنوا، ويخيب رجائهم الذي كانوا يرجون من رؤيتهم في أهل الإيمان بك من الضعف والوهن والتولي عنك في عاجل الدنيا، وصلي النار والخلود فيها في أجل الآخرة **وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ** يقول: **وليعذب كذلك أيضا المشركين والمشركات الظالمين بالله** أنه لن ينصرك، وأهل الإيمان بك على أعدائك، ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به، وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع، يقول تعالى ذكره: **على المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظن دائرة السوء،** يعني دائرة العذاب تدور عليهم به.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة **دَائِرَةَ السَّوْءِ** بفتح السين. وقرأ بعض قراء البصرة **«دَائِرَةَ السَّوْءِ»** بضم السين. وكان القراء يقول: **الفتح أفشى في السين قال: وقلما تقول العرب دائرة السوء بضم السين، والفتح في السين أعجب إليّ من الضم، لأن العرب تقول: هو رجل سَوء، بفتح السين ولا تقول: هو رجل سُوء.**

وقوله: **وَوَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** يقول: **ونالهم الله بغضب منه، ولعنهم:** يقول: **وأبعدهم فأقصاهم من رحمته وأعدّ لهم جهنم يقول: وأعدّ لهم جهنم**

يصلونها يوم القيامة وِسَاءَتْ مَصِيرًا يقول: وساءت جهنم منزلاً يصير إليه هؤلاء المنافقون والمنافقات, والمشركون والمشركات.
وقوله: وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ولله جنود السموات والأرض أنصارا على أعدائه, إِنَّ أَمْرَهُمْ بِأَهْلَاكِهِمْ أَهْلَكُوهُمْ, وسارعوا إلى ذلك بالطاعة منهم له وكانَ اللهُ عَزِيْزًا حَكِيْمًا يقول تعالى ذكره: ولم يزل الله ذا عِزَّةٍ, لا يغلبه غالب, ولا يمتنع عليه مما أَرَادَهُ بِهِ مَمْتَنِعٌ, لعظم سلطانه وقدرته, حكيم في تدبيره خلقه.

الآية : 8-9

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ شَاهِدًا عَلَى أُمَّتِكَ بِمَا أَجَابُوكَ فِيمَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ, مما أرسلتك به إليهم من الرسالة, وَمُبَشِّرًا لَهُمْ بِالْجَنَّةِ إِنْ أَجَابُوكَ إِلَى مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الدِّينِ الْقِيَمِ, ونذيرا لهم عذاب الله إن هم تولوا عما جئتهم به من عند ربك.
ثم اختلفت القراء في قراءة قوله: لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ فَقَرَأَ جَمِيعُ ذَلِكَ عَامَةً قَرَأَ الْأَمْصَارُ خَلَا أَبِي جَعْفَرٍ الْمَدَنِيِّ وَأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ, بِالتَّاءِ لِيُؤْمِنُوا, وَتُعَزِّرُوهُ, وَتُوَقِّرُوهُ, وَتُسَبِّحُوهُ بِمَعْنَى: لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ. وَقَرَأَ ذَلِكَ أَبُو جَعْفَرٍ وَأَبُو عَمْرٍو كُلَّهُ بِالْيَاءِ «لِيُؤْمِنُوا, وَيُعَزِّرُوهُ, وَيُوَقِّرُوهُ, وَيُسَبِّحُوهُ» بِمَعْنَى: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا إِلَى الْخَلْقِ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُعَزِّرُوهُ.

والصواب من القول في ذلك: إن يقال: إنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24344_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا يَقُولُ: شَاهِدًا عَلَى أُمَّتِهِ عَلَى أَنَّهُ قَدْ بَلَغَهُمْ وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ, وَنَذِيرًا مِنَ النَّارِ.
وقوله: وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ اختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: تجلوه, وتعظموه. ذكر من قال ذلك:

24345_ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَيُعَزِّرُوهُ يَعْنِي: الْإِجْلَالَ وَيُوَقِّرُوهُ يَعْنِي: التَّعْظِيمَ.

24346_ حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ كُلُّ هَذَا تَعْظِيمٌ وَإِجْلَالٌ.

وقال آخرون: معنى قوله: وَيُعَزِّرُوهُ: وينصروه, ومعنى وَيُوَقِّرُوهُ ويفخموه. ذكر من قال ذلك:

24347_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَيُعَزِّرُوهُ: ينصروه وَيُوَقِّرُوهُ أمر الله بتسويده وتفخيمه.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَيُعَزِّرُوهُ قَالَ: ينصروه, ويوقروه: أي ليعظموه.

24348- حدثني أبو هريرة الصُّبَعِيُّ، قال: حدثنا حرمي، عن شعبة، عن أبي بشر، جعفر بن أبي وحشية، عن عكرمة وَيَعْرُوهُ قال: يقاتلون معه بالسيف.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثني هشيم، عن أبي بشر، عن عكرمة، مثله.

حدثني أحمد بن الوليد، قال: حدثنا عثمان بن عمر، عن سعيد، عن أبي بشر، عن عكرمة، بنحوه.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى ومحمد بن جعفر، قالوا: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن عكرمة، مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك: ويعظموه. ذكر من قال ذلك:

24349- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَيَعْرُوهُ وَيُوقِّرُوهُ قال: الطاعة لله.

وهذه الأقوال متقاربات المعنى، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها. ومعنى التعزير في هذا الموضوع: التقوية بالنصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال.

وقد بينا معنى ذلك بشواهد فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع.

فأما التوقير: فهو التعظيم والإجلال والتفخيم.

وقوله: وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً يقول: وتصلوا له يعني لله بالغدوات والعشيات. والهاء في قوله: وَتُسَبِّحُوهُ من ذكر الله وحده دون الرسول. وقد ذكر أن ذلك في بعض القراءات: «وَيُسَبِّحُوا اللَّهَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً». وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24350- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة «وَيُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً» في بعض القراءات «وَيُسَبِّحُوا اللَّهَ بكرة وأصيلاً».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في بعض الحروف «وَيُسَبِّحُوا اللَّهَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً».

24351- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «وَيُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً» يقول: يسبحون الله رجوع إلى نفسه.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا }.

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ بالحديبية من أصحابك على أن لا يفرّوا عند لقاء العدو، ولا يولّوهم الأديار إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يقول: إنما يبايعون ببيعتهم إياك الله، لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24352- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ قال: يوم الحديبية.

24353_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَثَّ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَهُمْ الَّذِينَ بَايَعُوا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ.**

وفي قوله: **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** وجهان من التأويل: أحدهما: يد الله فوق أيديهم عند البيعة, لأنهم كانوا يبایعون الله ببيعتهم نبيه صلى الله عليه وسلم والآخر: قوّة الله فوق قوّتهم في نُصرة رسوله صلى الله عليه وسلم, لأنهم إنما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نُصرته على العدو.

وقوله: **فَمَنْ تَكَثَّ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ** يقول تعالى ذكره: فمن نكث بيعته إياك يا محمد, ونقضها فلم ينصرك على أعدائك, وخالف ما وعد ربه **فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ** يقول: فإنما ينقض بيعته, لأنه بفعله ذلك يخرج ممن وعده الله الجنة بوفائه بالبيعة, فلم يضرّ بنكثه غير نفسه, ولم ينكث إلا عليها, فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم, فإن الله تبارك وتعالى ناصره على أعدائه, نكث الناكث منهم, أو وفي بيعته.

وقوله: **وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ... الآية**, يقول تعالى ذكره: ومن أوفى بما عاهد الله عليه من الصبر عند لقاء العدو في سبيل الله ونُصرة نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه **فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** يقول: فسيعطيه الله ثوابا عظيما, وذلك أن يُدخله الجنة جزاءً له على وفائه بما عاهد عليه الله, ووثق لرسوله على الصبر معه عند البأس بالمؤكدة من الأيمان. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24354_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة **فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** وهي الجنة.

الآية : 11

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: { سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: سيقول لك يا محمد الذين خلفهم الله في أهليهم عن صحبتك, والخروج معك في سفرك الذي سافرت, ومسيرك الذي سرت إلى مكة معتمرا, زائرا بيت الله الحرام إذا انصرفت إليهم, فعاتبتهم على التخلف عنك, شغلنا عن الخروج معك معالجة أموالنا, وإصلاح معاشنا وأهلونا, فاستغفر لنا ربنا لتخلفنا عنك, قال الله جل ثناؤه مكذبهم في قيلهم ذلك: يقول هؤلاء الأعراب المخلفون عنك بألسنتهم ما ليس في قلوبهم, وذلك مسألتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستغفار لهم, يقول: يسألونه بغير توبة منهم ولا ندم على ما سلف منهم من معصية الله في تخلفهم عن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسير معه **قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا** يقول تعالى ذكره لنبيه: قل لهؤلاء الأعراب الذين يسألونك أن تستغفر لهم لتخلفهم عنك: إن أنا استغفرت لكم أيها القوم, ثم أراد الله هلاككم أو هلاك أموالكم وأهليكم, أو أراد بكم نفعاً بتميره أموالكم وإصلاحه لكم أهليكم, فمن ذا الذي يقدر على دفع ما أراد الله بكم من خير أو شر, والله لا يعاظه أحد, ولا يغالبه غالب.

وقوله: بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يظنُّ هؤلاء المنافقون من الأعراب أن الله لا يعلم ما هم عليها منطوون من النفاق، بل لم يزل الله بما يعملون من خير وشرِّ خبيراً، لا يخفى عليه شيء من أعمال خلقه، سرّها وعلانيتها، وهو محصّيها عليهم حتى يجازيهم بها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عنه حين أراد المسير إلى مكة عام الحُدَيْبِيَّة معتمراً استنفر العرب ومن حول مدينته من أهل البوادي والأعراب ليخرجوا معه حذراً من قومه قريش أن يعرضوا له الحرب، أو يصدّوه عن البيت، وأحرم هو صلى الله عليه وسلم بالعمرة، وساق معه الهدى، ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتناقل عنه كثير من الأعراب، وتخلّفوا خلفه فهم الذين عَتِيَ اللهُ تبارك وتعالى بقوله: سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا... الآية.

وكالذي قلنا في ذلك قال أهل العلم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه، منهم ابن إسحاق.

24355_ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق بذلك.

24356_ حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا قال: أعراب المدينة: جهينة ومزينة، استتبعهم لخروجه إلى مكة، قالوا: نذهب معه إلى قوم قد جاؤوه، فقتلوا أصحابه فنقاتلهم فاعتلوا بالشغل.

واختلفت القراء في قراءة قوله: إِنْ أَرَادَ بِكُمْ صَرًّا فَقَرَأْتَهُ قَرَاءَ الْمَدِينَةِ والبصرة وبعض قراء الكوفة صَرًّا بفتح الصاد، بمعنى: الضرّ الذي هو خلاف النفع. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين «صُرًّا» بضم الصاد، بمعنى البؤس والسقم.

وأعجب القراءتين إلىّ الفتح في الضاد في هذا الموضع بقوله: أَوْ أَرَادَ بِكُمْ تَفْعًا، فمعلوم أن خلاف النفع الضرّ، وإن كانت الأخرى صحيحاً معناها.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ طَبَّئْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَطَبَّئْتُ مَنَ السُّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا }.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الأعراب المعتذرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من سفره إليهم بقولهم: شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا ما تخلفتم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شخص عنكم، وقعدتم عن صحبته من أجل شغلكم بأموالكم وأهلكم، بل تخلفتم بعده في منازلكم، ظنا منكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه سيهلكون، فلا يرجعون إليكم أبداً باستئصال العدو إياهم وزين ذلك في قلوبكم، وحسن الشيطان ذلك في قلوبكم، وصححه عندكم حتى حسن عندكم التخلف عنه، فقعدتم عن صحبته وطمأنتم ظنّ السوء يقول: وطمأنتم أن الله لن ينصر محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين على أعدائهم، وأن العدو سيقهرونهم ويغلبونهم فيقتلونهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24357_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ... إلى قوله: وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا قال: ظنوا بنبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم لن يرجعوا من وجههم ذلك, وأنهم سيهلكون, فذلك الذي خلفهم عن نبي الله صلى الله عليه وسلم. وقوله: وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا يقول: وكنتم قوما هلكى لا يصلحون لشيء من الخبر. وقيل: إن البور في لغة أذرعاء: الفاسد فأما عند العرب فإنه لا شيء. ومنه قول أبي الدرداء: فأصبح ما جمعوا بُورًا أي ذاهبا قد صار باطلاً لا شيء منه ومنه قول حسان بن ثابت: لا يَنْفَعُ الطَّوْلُ مِنْ نُوكِ الْقُلُوبِ وَقَدْ يَهْدِي الْإِلَهُ سَبِيلَ الْمَعَشَرِ الْبُورِ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا قال: فاسدين.

24358_ وحدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا قال: البور الذي ليس فيه من الخير شيء. 24359_ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا قال: هالكين.

الآية : 13-14

القول في تأويل قوله تعالى: { وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا * وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا }.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين من الأعراب, ومن لم يؤمن أيها الأعراب بالله ورسوله منكم ومن غيركم, فيصدقه على ما أخبر به, ويقر بما جاء به من الحق من عند ربه, فإننا أعدنا لهم جميعاً سعيراً من النار تستعر عليهم في جهنم إذا وردوها يوم القيامة يقال من ذلك: سعرت النار: إذا أوقدتها, فإننا أسعرها سعراً ويقال: سعرتها أيضاً إذا حرّكتها. وإنما قيل للمسعر مسعر, لأنه يحرك به النار, ومنه قولهم: إنه لميسر حرب: يراد به موقدها ومهيجها.

وقوله: وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يقول تعالى ذكره: ولله سلطان السموات والأرض, فلا أحد يقدر أيها المنافقون على دفعه عما أراد بكم من تعذيب على نفاقكم إن أصررتم عليه أو منعه من عفوه عنكم إن عفا, إن أنتم تبتم من نفاقكم وكفركم, وهذا من الله جل ثناؤه حت لهؤلاء الأعراب المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوبة والمراجعة إلى أمر الله في طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم, يقول لهم: بادروا بالتوبة من تخلفكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, فإن الله يغفر للتائبين وكان الله عفوياً رحيماً يقول: ولم يزل الله ذا عفو عن عقوبة التائبين إليه من ذنوبهم ومعاصيهم من عباده, وذا رحمة بهم أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد توبتهم منها.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: { سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوا دَرُوتًا تَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ فَلَئِنْ تَتَّبِعُوا كَذَلِكَمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ قَسِيْفُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: سيقول يا محمد المخلفون في أهلهم عن صحبتك إذا سرت معتمرا تريد بيت الله الحرام، إذا انطلقت أنت ومن صحبتك في سفرك ذلك إلى ما أفاء الله عليك وعليهم من الغنيمة لتأخذوها وذلك ما كان الله وعد أهل الحديبية من غنائم خيبر دَرُونَا تَتَّبِعُكُمْ إِلَى خَيْبَرَ، فشهد معك قتال أهلها يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ يَقُولُ: يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية، وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم، ووعدهم ذلك عوضا من غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح، ولم يصيبوا منهم شيئا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24360- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: رجع، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة فوعده الله مغانم كثيرة، فعجلت له خيبر، فقال المخلفون دَرُونَا تَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ وَهِيَ الْمَغَانِمُ لِتَأْخُذُوهَا، التي قال الله جل ثناؤه: إِذَا أَنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ قِتَالُ قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ.

24361- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن رجل من أصحابه، عن مقسم قال: لما وعدهم الله أن يفتح عليهم خيبر، وكان الله قد وعدنا من شهد الحديبية لم يعط أحدا غيرهم منها شيئا، فلما علم المنافقون أنها الغنيمة قالوا: دَرُونَا تَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ يَقُولُ: ما وعدهم.

24362- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ... الآية، وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية. دُكِرَ لَنَا أَنَّ الْمَشْرِكِينَ لَمَّا صَدَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحَدِيبَةِ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ، قَالَ الْمَقْدَادُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّا وَاللَّهِ لَا نَقُولُ كَالْمَلَأَمِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ: أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبِّكَ فِقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ وَلَكِنْ نَقُولُ: أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فِقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مَقَاتِلُونَ فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَايَعُوا عَلَى مَا قَالَ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَالِحَ قَرِيشًا، وَرَجَعَ مِنْ عَامَةِ ذَلِكَ.

وقال آخرون: بل عنى بقوله: يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ إِرَادَتَهُمُ الْخُرُوجَ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا. ذكر من قال ذلك:

24363- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا دَرُونَا تَتَّبِعُكُمْ... الآية، قال الله عز وجل حين رجع من غزوه، فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا... الآية يريدون أن يبدلوا كلام الله: أرادوا أن يغيروا كلام الله الذي قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ويخرجوا معه، وأبى الله ذلك عليهم ونبه صلى الله عليه وسلم.

وهذا الذي قاله ابن زيد قول لا وجه له، لأن قول الله عز وجل فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ، فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّمَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْصَرَفَهُ مِنْ تَبُوكَ، وَعُنِيَ بِهِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا

عنه حين توجه إلى تبوك لغزو الروم، ولا اختلاف بين أهل العلم بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة أيضاً، فكيف يجوز أن يكون الأمر على ما وصفنا معنا بقول الله: يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ وَهُوَ خَيْرٌ عَنِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْمَسِيرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ شخص معتمراً يريد البيت، فصده المشركون عن البيت، الذين تخلفوا عنه في غزوة تبوك، وغزوة تبوك لم تكن كانت يوم نزلت هذه الآية، ولا كان أوجي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: فَاسْتَأْذِنُوا لَلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُفَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا. فإذا كان ذلك كذلك، فالصواب من القول في ذلك: ما قاله مجاهد وقتادة على ما قد بينا.

واختلفت القراء في قراءة قوله: يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ فقراً ذلك عامة قراء المدينة والبصرة، وبعض قراء الكوفة كَلَامَ اللَّهِ على وجه المصدر، بإثبات الألف. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة «كَلِمَ اللَّهِ» بغير ألف، بمعنى جمع كلمة، وهما عندنا قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، متقاربتا المعنى، فبايتهما قرأ القارئ فمصيب، وإن كنت إلى قراءته بالألف أميل.

وقوله: قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المخلفين عن المسير معك يا محمد: لن تتبعونا إلى خيبر إذا أردنا السير إليهم لقتالهم كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ يقول: هكذا قال الله لنا من قبل مَرَجَعْنَا إِلَيْكُمْ، إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية معنا، ولستم ممن شهدها، فليس لكم أن تَتَّبِعُونَا إِلَى خَيْبَرَ، لأن غنيمتها لغيركم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24364- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ أي إنما جعلت الغنيمة لأهل الجهاد، وإنما كانت غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب. وقوله: فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا أَنْ نَصِيبَ مَعَكُمْ مَغْنَمًا إِنْ نَحْنُ شَهِدْنَا مَعَكُمْ، فلذلك تمنعوننا من الخروج معكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24365- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا أَنْ نَصِيبَ مَعَكُمْ غَنَائِمَ. وقوله: بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا يقول تعالى ذكره لنبية صلى الله عليه وسلم وأصحابه: ما الأمر كما يقول هؤلاء المنافقون من الأعراب من أنكم إنما تمنعونهم من اتباعكم حسداً منكم لهم على أن يصيبوا معكم من العدو مغنماً، بل كانوا لا يفقهون عن الله ما لهم وعليهم من أمر الدين إلا قليلاً يسيراً، ولو عقلوا ذلك ما قالوا لرسول الله والمؤمنين به، وقد أخبروهم عن الله تعالى ذكره أنه حرمهم غنائم خيبر، إنما تمنعوننا من صحبتكم إليها لأنكم تحسدوننا.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: { قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِنَّدُ عَوْنٍ إِلَيَّ قَوْمٌ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ يُفَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يَا مُحَمَّد
لِلْمُخَلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ عَنِ الْمَسِيرِ مَعَكُمْ، سَتُدْعَوْنَ إِلَى قِتَالِ قَوْمٍ أَوْلِي
بِأَسِ فِي الْقِتَالِ شَدِيدٍ.

وَآخْتَلَفَ أَهْلَ التَّأْوِيلِ فِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ
الْمُخَلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمْ أَهْلُ فَارَسِ.
ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

24366_ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَوْلِي بَأْسِ
شَدِيدِ أَهْلِ فَارَسِ.

24367_ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى الْفَزَارِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا دَاوُدُ بْنُ
الزُّبَيْرِ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، فِي قَوْلِهِ:
سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أَوْلِي بَأْسِ شَدِيدٍ قَالَ: فَارَسُ وَالرُّومُ.
24368_ قَالَ: أَخْبَرَنَا دَاوُدُ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، مِثْلَهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ:
قَالَ الْحَسَنُ، فِي قَوْلِهِ: سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أَوْلِي بَأْسِ شَدِيدٍ قَالَ: هُمْ فَارَسُ
وَالرُّومُ.

24369_ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى
وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْجَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا، عَنْ ابْنِ أَبِي
نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلَهُ: أَوْلِي بَأْسِ شَدِيدٍ قَالَ: هُمْ فَارَسُ.

حَدَّثَنَا بَشِيرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ سَتُدْعَوْنَ إِلَى
قَوْمٍ أَوْلِي بَأْسِ شَدِيدٍ قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ: دُعُوا إِلَى فَارَسِ وَالرُّومِ.
24370_ حَدَّثَنِي يُونُسٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي
قَوْلِهِ: سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أَوْلِي بَأْسِ شَدِيدٍ قَالَ: فَارَسُ وَالرُّومُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُمْ هَوَازِنٌ بَحْنِينَ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:
24371_ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَشِيمٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو
بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةَ، فِي قَوْلِهِ: سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أَوْلِي بَأْسِ
شَدِيدٍ قَالَ: هَوَازِنٌ.

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي
بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أَوْلِي
بَأْسِ شَدِيدٍ قَالَ: هَوَازِنٌ وَثَقِيفٌ.

24372_ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ
أَوْلِي بَأْسِ شَدِيدٍ ثَقَاتِلُوتَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ قَالَ: هِيَ هَوَازِنٌ وَعَطَفَانٌ يَوْمَ حُنَيْنٍ.
حَدَّثَنَا بَشِيرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ قُلْ لِلْمُخَلَفِينَ
مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أَوْلِي بَأْسِ شَدِيدٍ فِدُعُوا يَوْمَ حُنَيْنٍ إِلَى
هَوَازِنٍ وَثَقِيفٍ فَمِنْهُمْ مَنْ أَحْسَنَ الْإِجَابَةَ وَرَغِبَ فِي الْجِهَادِ.
وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُمْ بَنُو حَنِيفَةَ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

24373_ حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ
أَوْلِي بَأْسِ شَدِيدٍ قَالَ بَنُو حَنِيفَةَ مَعَ مُسَيْلِمَةَ الْكَدَّابِ.

24374_ حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ،
عَنِ هَشِيمٍ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةَ أَنَّهُمَا كَانَا فِيهِ هَوَازِنٌ
وَبَنِي حَنِيفَةَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: لَمْ تَأْتِ هَذِهِ الْآيَةُ بَعْدَ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

24375_ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهري, عن أبي هريرة سُنْدُ عَوْنٍ إِلَى قَوْمِ أُولِي بَاسٍ شَدِيدٍ لَمْ تَأْتِ هَذِهِ الْآيَةَ.

وقال آخرون: هم الروم. ذكر من قال ذلك:

24376_ حدثني محمد بن عوف, قال: حدثنا أبو المغيرة, قال: حدثنا صفوان بن عمرو, قال: حدثنا الفرج بن محمد الكلاعي, عن كعب, قال: أولي بَاسٍ شَدِيدٍ قال: الروم.

وأولى الأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنْ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمَخْلُفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنَّهُمْ سِيدَعُونَ إِلَى قِتَالِ قَوْمِ أُولِي بَاسٍ فِي الْقِتَالِ, وَنَجْدَةٍ فِي الْحُرُوبِ, وَلَمْ يَوْضِعْ لَنَا الدَّلِيلَ مِنْ خَيْرٍ وَلَا عَقْلَ عَلَى أَنْ الْمَعْنَى بِذَلِكَ هَوَازِنٌ, وَلَا بَنُو حَنِيفَةَ وَلَا فَارِسٌ وَلَا الرُّومُ, وَلَا أَعْيَانٌ بِأَعْيَانِهِمْ, وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ عَنْهُ يَكُونُ عُنِي بِهِمْ غَيْرِهِمْ, وَلَا قَوْلٌ فِيهِ أَصَحُّ مِنْ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: إِنَّهُمْ سِيدَعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولِي بَاسٍ شَدِيدٍ.

وقوله: تُفَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِلْمَخْلُفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ: تَقَاتِلُونَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تُدْعُونَ إِلَى قِتَالِهِمْ, أَوْ يَسَلِّمُونَ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ وَلَا قِتَالٍ. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْقِرَاءَاتِ «تُفَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ», وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى خِلَافِ مَصَاحِفِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ, وَخِلَافًا لِمَا عَلَيْهِ الْحِجَّةُ مِنَ الْقِرَاءَةِ, وَغَيْرِ جَائِزٍ عِنْدِي الْقِرَاءَةُ بِهَا لِذَلِكَ تَأْوِيلٌ ذَلِكَ: تَقَاتِلُونَهُمْ أَبَدًا إِلَّا أَنْ يَسَلِّمُوا, أَوْ حَتَّى يَسَلِّمُوا.

وقوله: فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ فَإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ فِي إِجَابَتِكُمْ إِيَّاهُ إِذَا دَعَاكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْأُولِي الْبَاسِ الشَّدِيدِ, فَتَجِيبُوا إِلَى قِتَالِهِمْ وَالْجِهَادِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا يَقُولُ: يَعْطِيكُمُ اللَّهُ عَلَى إِجَابَتِكُمْ إِيَّاهُ إِلَى حَرْبِهِمُ الْجَنَّةَ, وَهِيَ الْأَجْرُ الْحَسَنُ وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يَقُولُ: وَإِنْ تَعْصُوا رَبَّكُمْ فَتَدْبِرُوا عَنْ طَاعَتِهِ وَتَخَالَفُوا أَمْرَهُ, فَتَتْرَكُوا قِتَالَ الْأُولِي الْبَاسِ الشَّدِيدِ إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى قِتَالِهِمْ كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يَقُولُ: كَمَا عَصَيْتُمُوهُ فِي أَمْرِهِ إِيَّاكُمْ بِالْمَسِيرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ, مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْعَوْا إِلَى قِتَالِ أُولِي الْبَاسِ الشَّدِيدِ يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا يَعْنِي: وَجِيعًا, وَذَلِكَ عَذَابُ النَّارِ عَلَى عَصِيَانِكُمْ إِيَّاهُ, وَتَرَكُّكُمْ جِهَادَهُمْ وَقِتَالَهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعدِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا }.

يقول تعالى ذكره: ليس على الأعمى منكم أيها الناس ضيق, ولا على الأعرج ضيق, ولا على المريض ضيق أن يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين, وشهود الحرب معهم إذا هم لقوا عدوهم, للعلل التي بهم, والأسباب التي تمنعهم من شهودها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24377_ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ قال: هذا كله في الجهاد.

24378_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: **تَمَّ عَذْرُ اللَّهِ أَهْلَ الْعَذْرِ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ.**

24379_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ** قال: في الجهاد في سبيل الله.

24380_ حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرْنَا عبيد، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: **لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ... الآية**، يعني في القتال.

وقوله: **وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** يقول تعالى ذكره: **وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** فيجيب إلى حرب أعداء الله من أهل الشرك، وإلى القتال مع المؤمنين ابتغاء وجه الله إذا دعي إلى ذلك، يُدْخِلْهُ الله يوم القيامة جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَقُولُ: **وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**، فيتخلف عن قتال أهل الشرك بالله إذا دعي إليه، ولم يستجب لدعاء الله ورسوله يعدّبه عذاباً موجعاً، وذلك عذاب جهنم يوم القيامة.

الآية : 18-19

القول في تأويل قوله تعالى: **{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا }**.

يقول تعالى ذكره: **لقد رضي الله يا محمد عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** يعني بيعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله بالحديبية حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب، وعلى أن لا يفرّوا، ولا يولوهم الدبر تحت الشجرة، وكانت بيعتهم إياه هنالك فيما ذكر تحت شجرة. وكان سبب هذه البيعة ما قيل: **إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه برسالته إلى الملا من قريش، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء، فظنّ أنه قد قتل، فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة على حربهم على ما وصفت، فبايعوه على ذلك، وهذه البيعة التي تسمى بيعة الرضوان، وكان الذين بايعوه هذه البيعة فيما ذكر في قول بعضهم: ألفا وأربع مئة، وفي قول بعضهم: ألفا وخمس مئة، وفي قول بعضهم: ألفا وثلاث مئة.** ذكر الرواية بما وصفنا من سبب هذه البيعة:

24381_ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: **ثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على جمل له يقال له الثعلب، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، وذلك حين نزل الحديبية، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرادوا قتله، فمنعه الأحابيش فخلوا سبيله، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

24382_ قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: **فحدثني من لا أتهم، عن عكرمة مولى ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عمر بن الخطاب لبيعته إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي، وليس بمكة من بني عديّ بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليهم، ولكنني أدلك على رجل هو أعزّ بها مني عثمان بن عفان، فدعا رسول الله صلى الله**

عليه وسلم عثمان, فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب, وإنما جاء زائراً لهذا البيت, معظماً لحرمة, فخرج عثمان إلى مكة, فلقه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها, فنزل عن دابته, فحمله بين يديه, ثم ردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم, فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش, فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به, فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به, قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم, فاحتبسته قريش عندها, فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قُتل.

24383_ قال: ثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, قال: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن عثمان قد قتل, قال: «لَا تَبْرَحْ حَتَّى تُنَاجِرَ الْقَوْمَ», ودعا الناس إلى البيعة, فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة, فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت فكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت, ولكنه بايعنا على أن لا نفر, فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس, ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة, كان جابر بن عبد الله يقول: لكأنني أنظر إليه لاصفاً بإبط ناقته, قد اختبأ إليها, يستتر بها من الناس, ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذُكر من أمر عثمان باطل.

24384_ حدثنا محمد بن عمار الأسدي, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا موسى بن عبيدة, عن إياس بن سلمة, قال: قال سلمة: بينما نحن قائلون زمن الحديبية, نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس البيعة البيعة, نزل روح القدس صلوات الله عليه, قال: فثرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهو تحت شجرة سمرة, قال: فبايعناه, وذلك قول الله: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.

24385_ حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكري, قال: حدثنا محمد بن يزيد, عن إسماعيل, عن عامر, قال: كان أول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب.

24386_ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يحيى بن حماد, قال: حدثنا همام, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب, قال: كان جدي يقال له حزن, وكان ممن بايع تحت الشجرة, فأتيناها من قابل, فعميت علينا.

24387_ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يحيى بن حماد, قال: ثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحارث, عن بكير بن الأشج, أنه بلغه أن الناس بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَلَى مَا اسْتَطَعْتُمْ». والشجرة التي بُوع تحتها بفتح نحو مكة, وزعموا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة, فقال: أين كانت, فجعل بعضهم يقول هنا, وبعضهم يقول: ههنا, فلما كثر اختلافهم قال: سيروا هذا التكلف فذهبت الشجرة وكانت سمرة إما ذهب بها سيل, وإما شيء سوى ذلك. ذكر عدد الذين بايعوا هذه البيعة:

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في عددهم, ونذكر الروايات عن قائلها المقالات التي ذكرناها إن شاء الله تعالى. ذكر من قال: عددهم ألف وأربع مئة:

24388- حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جده, عن الأعمش, عن أبي سفيان عن جابر, قال: كنا يوم الحُدبية ألفاً وأربع مئة, فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نفرّ, ولم نبايعه على الموت, قال: فبايعناه كلنا إلا الجدّ بن قيس اختبأ تحت إبط ناقتة.

24389- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, أخبرني القاسم بن عبد الله بن عمرو, عن محمد بن المنكدر, عن جابر بن عبد الله «أنهم كانوا يوم الحُدبية أربع عشرة مئة, فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر أخذ بيده تحت الشجرة, وهي سمرة, فبايعنا غير الجدّ بن قيس الأنصاريّ, اختبأ تحت إبط بغيره, قال جابر: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نفرّ ولم نبايعه على الموت».

حدثنا يوسف بن موسى القطان, قال: حدثنا هشام بن عبد الملك وسعيد بن شرحبيل المصري, قالوا: حدثنا ليث بن سعد المصري, قال: حدثنا أبو الزبير, عن جابر, قال: كنا يوم الحُدبية ألفاً وأربع مئة, فبايعناه وعمر أخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة, فبايعناه على أن لا نفرّ, ولم نبايعه على الموت, يعني النبيّ صلى الله عليه وسلم.

24390- حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالوا: حدثنا ابن أبي عديّ, عن سعيد, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب, أنه قيل له: إن جابر بن عبد الله يقول: إن أصحاب الشجرة كانوا ألفاً وخمس مئة, قال سعيد: نسي جابر هو قال لي كانوا ألفاً وأربع مئة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن الأعمش, عن أبي سفيان, عن جابر قال: كنا أصحاب الحُدبية أربع عشرة مئة.

ذكر من قال: كان عدتهم ألفاً وخمس مئة وخمسة وعشرين:

24391- حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ قال: كان أهل البيعة تحت الشجرة ألفاً وخمس مئة وخمسة وعشرين.

24392- حدثني بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة, فجعلت لهم مغنم خبير كانوا يومئذ خمس عشرة مئة, وبايعوا على أن لا يفروا عنه. ذكر من قال ذلك: كانوا ألفاً وثلاث مئة:

24393- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن عمرو بن مّرة, قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول: كانوا يوم الشجرة ألفاً وثلاث مئة, وكانت أسلم يومئذ من المهاجرين.

وقوله: فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ يقول تعالى ذكره: فعلم ربك ما في قلوب المؤمنين من أصحابك إذ يبايعونك تحت الشجرة, من صدق النية, والوفاء بما يبايعونك عليه, والصبر معك فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ يقول: فأنزل

الطمأنينة، والثبات على ما هم عليه من دينهم وحسن بصيرتهم بالحق الذي هداهم الله له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 24394- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله **فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ**: أي الصبر والوقار. وقوله: **وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** يقول: وعوضهم في العاجل مما رجوا الظفر به من غنائم أهل مكة بقتالهم أهلها فتحا قريباً، وذلك فيما قيل: فتح خيبر. ذكر من قال ذلك:

24395- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن ابن أبي لیلی وأثابهم فتحاً قريباً قال: خيبر. حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وأثابهم فتحاً قريباً وهي خيبر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله: **وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** قال: بلغني أنها خيبر. وقوله: **وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا** يقول تعالى ذكره: **وَأَثَابَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، مَعَ مَا أَكْرَمَهُمْ بِهِ مِنْ رِضَاةٍ عَنْهُمْ، وَإِنْزَالِهِ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ، وَإِثَابَتِهِ إِيَّاهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا، مَعَهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا مِنْ أَمْوَالِ يَهُودِ خَيْبَرَ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ذَلِكَ خَاصَّةً لِأَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ دُونَ غَيْرِهِمْ.**

وقوله: **وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** يقول: وكان الله ذا عزة في انتقامه ممن انتقم من أعدائه، حكيماً في تدبيره خلقه وتصريفه إياهم فيما شاء من قضائه.

الآية : 20-21

القول في تأويل قوله تعالى: **{وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَأَخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا }**.

يقول تعالى ذكره لأهل بيعة الرضوان: **وَعَدَّكُمْ اللَّهُ أَبْهًا الْقَوْمِ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا.**

اختلف أهل التأويل في هذه المغانم التي ذكر الله أنه وعدّها هؤلاء القوم أي المغانم هي، فقال بعضهم: هي كل مغنم غنمها الله المؤمنين به من أموال أهل الشرك من لدن أنزل هذه الآية على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

24396- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا** قال: المغانم الكثيرة التي وعدوا: ما يأخذونها إلى اليوم.

وعلى هذا التأويل يحتمل الكلام أن يكون مراداً بالمغانم الثانية المغانم الأولى، ويكون معناه عند ذلك، فأثابهم فتحاً قريباً، ومغانم كثيرة يأخذونها، وعدكم الله أيها القوم هذه المغانم التي تأخذونها، وأنتم إليها واصلون عدة، فجعل لكم الفتح القريب من فتح خيبر. ويحتمل أن تكون الثانية غير الأولى، وتكون الأولى من غنائم خيبر، والغنائم الثانية التي وعدهموها من غنائم سائر أهل الشرك سواهم.

وقال آخرون: هذه المغنم التي وعد الله هؤلاء القوم هي مغنم خيبر. ذكر من قال ذلك:

24397_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغْنِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُوتَهَا قال: يوم خيبر، قال: كان أبي يقول ذلك.

وقوله: فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّتِي عَجَّلَتْ لَهُمْ، فَقَالَ جَمَاعَةٌ: غَنَائِمُ خَيْبَرَ وَالْمُؤَخَّرَةُ سَائِرُ فَتُوحِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَوْقِتِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24398_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ قال: عجل لكم خيبر.

24399_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وهي خيبر.

وقال آخرون: بل عنى بذلك الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش. ذكر من قال ذلك:

24400_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ قال: الصلح.

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ما قاله مجاهد، وهو أن الذي أثابهم الله من مسيرهم ذلك مع الفتح القريب المغنم الكثيرة من مغنم خيبر، وذلك أن المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة، ولم يفتحوا فتحاً أقرب من بيعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية إليها من فتح خيبر وغنائمها.

وأما قوله: وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغْنِمَ كَثِيرَةً فهي سائر المغنم التي غنمها الله بعد خيبر، كغنائم هوازن، وغطفان، وفارس، والروم.

وإنما قلنا ذلك كذلك دون غنائم خيبر، لأن الله أخبر أنه عَجَّلَ لَهُمْ هَذِهِ الَّتِي أَثَابَهُمْ مِنْ مَسِيرِهِمْ الَّذِي سَارُوهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ، وَلَمَّا عَلِمَ مِنْ صِحَّةِ نَيْتِهِمْ فِي قِتَالِ أَهْلِهَا، إِذْ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَنْ لَا يَفْرُوا عَنْهُ، وَلَا شَكَّ أَنْ الَّتِي عَجَّلَتْ لَهُمْ غَيْرَ الَّتِي لَمْ تُعَجَّلْ لَهُمْ.

وقوله: وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِأَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ: وَكَفَّ اللَّهُ أَيْدِيَ الْمُشْرِكِينَ عَنْكُمْ.

ثم اختلف أهل التأويل في الذين كَفَّتْ أَيْدِيَهُمْ عَنْهُمْ مِنْهُمْ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمُ الْيَهُودُ كَفَّ اللَّهُ أَيْدِيَهُمْ عَنْ عِيَالِ الَّذِينَ سَارُوا مِنَ الْمَدِينَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24401_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ: عَنْ بِيوتِهِمْ، وَعَنْ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ حِينَ سَارُوا إِلَى الْحَدِيبَةِ وَإِلَى خَيْبَرَ، وَكَانَتْ خَيْبَرَ فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ قال: كفَّ أيدي الناس عن عيالهم بالمدينة.

وقال آخرون: بل عنى بذلك أيدي قريش إذ حبسهم الله عنهم، فلم يقدرُوا لَهُ عَلَى مَكْرُوهِ.

والذي قاله قتادة في ذلك عندي أشبه بتأويل الآية، وذلك أن كفَّ الله أيدي المشركين من أهل مكة عن أهل الحُدَيْبِيَّةِ قد ذكره الله بعد هذه الآية في قوله: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ. الذي ذكره الله بعد هذه الآية في قوله: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ، وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ.

وقوله: وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ يقول: وليكون كفه تعالى ذكره أيديهم عن عيالهم آية وعبرة للمؤمنين به فيعلموا أن الله هو المتولي حياتهم وكلاءتهم في مشهدهم ومغيبهم، ويتقوا الله في أنفسهم وأموالهم وأهليهم بالحفظ وحسن الولاية ما كانوا مقيمين على طاعته، منتهين إلى أمره ونهيه. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24402_ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ يقول: وذلك آية للمؤمنين، كفَّ أيدي الناس عن عيالهم ويهدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا يقول: ويسدّدكم أيها المؤمنون طريقًا واضحًا لا اعوجاج فيه، فيبينه لكم، وهو أن تثقوا في أموركم كلها بربكم، فتتوكلوا عليه في جميعها، ليحوظكم حياتته إياكم في مسيركم إلى مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنفسكم وأهليكم وأموالكم، فقد رأيتم أثر فعل الله بكم، إذ وثقتم في مسيركم هذا.

وقوله: وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا يقول تعالى ذكره ووعدكم أيها القوم ربكم فتح بلدة أخرى لم تقدرُوا على فتحها، قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها لكم.

واختلف أهل التأويل في هذه البلدة الأخرى، والقربة الأخرى التي وعدهم فتحها، التي أخبرهم أنه محيط بها، فقال بعضهم: هي أرض فارس والروم، وما يفتحها المسلمون من البلاد إلى قيام الساعة. ذكر من قال ذلك:

24403_ حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا شعبة، عن سِمْأَكِ الْحَنْفِيِّ، قال: سمعت ابن عباس يقول: وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا فارس والروم.

24404_ قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن ابن أبي ليلى أنه قال في هذه الآية: وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قال: فارس والروم. حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: حدثنا زيد بن حباب، قال: حدثنا شعبة بن الحجاج، عن الحكم، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى مثله.

24405_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا قال: حُدِّثَ عن الحسن، قال: هي فارس والروم.

24406_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ما فتحوا حتى اليوم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن الحكم، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، في قوله: وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قال: فارس والروم.

وقال آخرون: بل هي خيبر. ذكر من قال ذلك:

24407_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس وأخرى لم تُقَدِّروا عَلَيْهَا... الآية، قال: هي خبير.

24408_ حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاک، يقول في قوله: وَأُخْرَى لَمْ تُقَدِّروا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا بِعَنِي خَيْبِرٍ، بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ، فقال: «لَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تُقَاتِلُوا وَليدًا».

24409_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَأُخْرَى لَمْ تُقَدِّروا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا بِعَنِي خَيْبِرٍ، قال: لم يكونوا يذكرونها ولا يرجونها حتى أخبرهم الله بها.

24410_ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق وأخرى لَمْ تُقَدِّروا عَلَيْهَا بِعَنِي أَهْلِ خَيْبِرٍ.

وقال آخرون: بل هي مكة. ذكر من قال ذلك:

24411_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وأخرى لَمْ تُقَدِّروا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا كَمَا نَحَدَّثُ أَنَّهَا مَكَّةُ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة وأخرى لَمْ تُقَدِّروا عَلَيْهَا قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّهَا مَكَّةُ.

وهذا القول الذي قاله قتادة أشبه بما دلَّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله أخبر هؤلاء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، أنه محيط بقربة لم يقدرُوا عليها، ومعقولٌ أنه لا يقال لقوم لم يقدرُوا على هذه المدينة، إلا أن يكونوا قد راموها فتعذرت عليهم، فأما وهم لم يروموها فتعذرت عليهم فلا يقال: إنهم لم يقدرُوا عليها.

فإذ كان ذلك كذلك، وكان معلوماً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقصد قبل نزول هذه الآية عليه خبير لحرب، ولا وجه إليها لقتال أهلها جيشاً ولا سرية، علم أن المعنى بقوله: وَأُخْرَى لَمْ تُقَدِّروا عَلَيْهَا بِعَنِي خَيْبِرٍ، أنها هي التي قد عالجها ورامها، فتعذرت فكانت مكة وأهلها كذلك، وأخبر الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أحاط بها وبأهلها، وأنه فاتحها عليهم، وكان الله على كل ما يشاء من الأشياء ذا قُدرة، لا يتعذر عليه شيء شاءه.

الآية: 22-23

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أهل بيعة الرضوان: وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِمَكَّةَ لَوَلَّوْا الْأُدْبَارَ يَقُولُ: لانهمزوا عنكم، فولوكم أعجازهم، وكذلك يفعل المنهزم من قرنه في الحرب ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا يَقُولُ: ثم لا يجد هؤلاء الكفار المنهزمون عنكم، المولوكم الأدبار، وليا يوالِيهم على حربكم، ولا نصيرا ينصرهم عليكم، لأن الله تعالى ذكره معكم، ولن يُغَلِّبَ جِزْبُ اللَّهِ نَاصِرُهُ. ونحن الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24412_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: **وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأُدْبَارَ يَعْنِي كَفَارَ قَرِيْشٍ**، قال الله: ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا ينصرهم من الله.

وقوله: **سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ**: لو قاتلكم هؤلاء الكفار من قريش، لخذلهم الله حتى يهزمهم عنكم خذلانه أمثالهم من أهل الكفر به، الذين قاتلوا أولياءه من الأمم الذين مضوا قبلهم. وأخرج قوله: **سُنَّةَ اللَّهِ نَصَبًا مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ**، وذلك أن في قوله: **لَوَلَّوْا الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا تَصِيرًا** معنى سننت فيهم الهزيمة والخذلان، فلذلك قيل: **سُنَّةَ اللَّهِ** مصدرا من معنى الكلام لا من لفظه، وقد يجوز أن تكون تفسيرا لما قبلها من الكلام.

وقوله: **وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا** يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييرا، بل ذلك دائم للإحسان جزاءه من الإحسان، وللإساءة والكفر العقاب والنكال.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: **{ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا }**. يقول تعالى ذكره لرسوله صلى الله عليه وسلم: والذين بايعوا الرضوان، وهو الذي كف أيديهم عنكم يعني أن الله كف أيدي المشركين الذين كانوا خرجوا على عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالحديبية يلتمسون غررهم ليصيبوا منهم، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بهم أسرى، فخلى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن عليهم ولم يقتلهم فقال الله للمؤمنين: وهو الذي كف أيدي هؤلاء المشركين عنكم، وأيديكم عنهم ببطن مكة، من بعد أن أظفركم عليهم. ونحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار ذكر الرواية بذلك:

24413_ حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، قال: سمعت أبي يقول: أخبرنا الحسين بن واقد، قال: ثني ثابت البناني، عن عبد الله بن مغفل، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في أصل شجرة بالحديبية، وعلى ظهره غصن من أغصان الشجرة فرفعتها عن ظهره، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بين يديه وسهيل بن عمرو، وهو صاحب المشركين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: «اكتب باسمي الله الرحمن الرحيم»، فأمسك سهيل بيده، فقال: ما نعرف الرحمن، أكتب في قضيتنا ما نعرف. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اكتب باسمك اللهم»، فكتب، فقال: «هذا ما صالح محمد رسول الله أهل مكة»، وفأمسك سهيل بيده، فقال: لقد ظلمناك إن كنت رسولا، اكتب في قضيتنا ما نعرف قال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وأنا رسول الله»، فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل خَرَجْتُمْ فِي أَمَانٍ أَحَدٌ»، قال: فخلى عنهم، قال: فأنزل الله وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين بن واقد، عن ثابت، عن عبد الله بن مغفل، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم

بالْحُدَيْبِيَّةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، وَكَانَ غَصَنٌ مِنْ أَغْصَانِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَفَعْتَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ.

24414_ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق قال: ثني من لا أتهم. عن عكرمة، مولى ابن عباس، أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليصيبوا من أصحابه أحدا، فأخذوا أخذا، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلق سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل. قال ابن حميد، قال سلمة، قال ابن إسحاق: ففي ذلك قال: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ... الآية.

24415_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: أقبل معتمرا نبي الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ أصحابه ناسا من أهل الحرم غافلين، فأرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك الإظفار ببطن مكة.

24416_ حدثنا محمد بن سنان القرّاز، قال: حدثنا عبيد الله ابن عائشة، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك أن ثمانين رجلاً من أهل مكة، هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقهم، فأنزل الله وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ... إلى آخر الآية.

وكان قتادة يقول في ذلك ما:

24417_ حدثنا به بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ... الآية، قال: بطن مكة الحديبية يقال له رهم: اطلع الثنية من الحديبية، فرماه المشركون بسهم فقتلوه، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً، فأتوه باثني عشر فارساً من الكفار، فقال لهم نبي الله صلى الله عليه وسلم: «هل لكم عليّ عهد؟ هل لكم عليّ ذمة؟»، قالوا: لا فأرسلهم، فأنزل الله في ذلك القرآن وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ... إلى قوله: يَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا.

وقال آخرون في ذلك ما:

24418_ حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب القُمي، عن جعفر، عن ابن أبيزي، قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بالهدي، وانتهى إلى ذي الحليفة، قال له عمر: يا نبي الله، تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع، قال: فبعث إلى المدينة فلم يدع بها كراعا ولا سلاحا إلا جملة فلما دنا من مكة منعه أن يدخل، فسار حتى أتى منى، فنزل بمنى، فأتاه عينه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج علينا في خمس مئة، فقال لخالد بن الوليد: «يا خالد هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل»، فقال خالد: أنا سيف الله وسيف رسوله، فيومئذ سُمي سيف الله، يا رسول الله، ارم بي حيث شئت، فبعثه على خيل، فلقي عكرمة في الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثالثة حتى أدخله حيطان مكة، فأنزل الله وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ... إلى قوله عَدَا بَأْسًا أَلِيمًا قال: فكف الله النبي عنهم من بعد أن أظفره عليهم

لبقيا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفره عليهم كراهية أن تطأهم الخيل بغير علم.
وقوله: وكان الله بما تعملون بصيرا يقول تعالى ذكره: وكان الله بأعمالكم وأعمالهم بصيرا لا يخفى عليه منها شيء.

الآية: 25

القول في تأويل قوله تعالى: {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّهُ وَلَوْلَا رَجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَيُضَيِّبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخَلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَرَى لَوْ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا }.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء المشركون من قريش هم الذين جحدوا توحيد الله، وصدّوكم أيها المؤمنون بالله عن دخول المسجد الحرام، وصدّوا الهدى معكوفًا: يقول: محبوسا عن أن يبلغ مَجَلَّهُ. فموضع «أن» نصب لتعلقه إن شئت بمعكوف، وإن شئت بصدّوا. وكان بعض نحوي البصرة يقول في ذلك: وصدّوا الهدى معكوفًا كراهية أن يبلغ محله.

وعنى بقوله تعالى ذكره: أَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّهُ أَنْ يَبْلُغَ محلَّ نحره، وذلك دخول الحرم، والموضع الذي إذا صار إليه حلّ نحره، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ساق معه حين خرج إلى مكة في سفرته تلك سبعين بدنة.

24419_ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن مسلم الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدّثاه، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت، لا يريد قتالاً، وساق الهدى معه سبعين بدنة وكان الناس سبع مئة رجل، فكانت كل بدنة عن عشرة.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّهُ} قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24420_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا} أي محبوسا أَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّهُ وأقبل نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه معتمرين في ذي القعدة، ومعهم الهدى، حتى إذا كانوا بالحديبية، صدّهم المشركون فصالحهم نبيّ صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم على أن يرجع من عامه ذلك، ثم يرجع من العام المقبل، فيكون بمكة ثلاث ليال، ولا يدخلها إلا بسلاح الراكب، ولا يخرج بأحد من أهلها، فنحروا الهدى، وحلقوا، وقصّروا، حتى إذا كان من العام المقبل، أقبل نبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة، فأقام بها ثلاث ليال، وكان المشركون قد فجروا عليه حين ردّوه، فأقصه الله منهم فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردّوه فيه، فأنزل الله الشّهْرُ الْحَرَامُ بِالشّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ.

24421_ حدثني محمد بن عمارة الأسديّ وأحمد بن منصور الرمادي، واللفظ لابن عمارة، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا موسى بن عبيدة، عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه، قال: بعثت قريش سهيل بن عمرو، وحبوط بن عبد العزّي، وحفص بن فلان إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ليصالحوه فلما رأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم سهيل بن عمرو، قال: «قد سهّل الله لكم من أمركم، القوم مأتون إليكم بأرحامهم

وسائلوكم الصلح، فابعثوا الهدى، وأظهروا التلبية، لعل ذلك يلين قلوبهم»، فلبوا من نواحي العسكر حتى ارتجت أصواتهم بالتلبية، فجاؤوا فسألوه الصلح قال: فبينما الناس قد توادعوا وفي المسلمين ناس من المشركين، قال: فقيل به أبو سفيان قال: وإذا الوادي يسيل بالرجال قال: قال إياس، قال سلمة: فجئت بستة من المشركين متسلحين أسوقهم، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، فأتيت بهم النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يسلب ولم يقتل وعفا قال: فشددنا على من في أيدي المشركين منا، فما تركنا في أيديهم منا رجلاً إلا استنقذناه قال: وغلينا على من في أيدينا منهم ثم إن قريشاً بعثوا سهيل بن عمرو، وحويطبا، فولوا صلحهم، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً في صلحه فكتب علي بينهم: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً، صالحهم على أنه لا إهلال ولا امتلال، وعلي أنه من قدم مكة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حاجاً أو معتمراً، أو يتغي من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو إلى الشام يتغي من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله وعلي أنه من جاء محمداً صلى الله عليه وسلم من قريش فهو إليهم رد، ومن جاءهم من أصحاب محمد فهو لهم. فاشتد ذلك على المسلمين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ جَاءَهُمْ مِنْنا فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ فَرَدَدْنَاهُ إِلَيْهِمْ فَعَلِمَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ مِنْ نَفْسِهِ، جَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا». فصالحوه على أنه يعتصر في عام قابل في هذا الشهر، لا يدخل علينا بخيل ولا سلاح، إلا ما يحمل المسافر في قرابه، يثوي فينا ثلاث ليال، وعلي أن هذا الهدى حيثما حسناه محلّه لا يقدمه علينا. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَحْن تَسُوْقُهُ وَأَنْتُمْ تَرُدُّوْنَ وُجُوْهُهُ»، فسار رسول الله مع الهدى وسار الناس.

24422- حدثني محمد بن عمار، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا موسى، قال: أخبرني أبو مزة مولى أم هانئ، عن ابن عمر، قال: «كان الهدى دون الجبال التي تطلع على وادي الثنية عرض له المشركون، فردوا وجوهه قال: فنحر النبي صلى الله عليه وسلم الهدى حين حبسوه، وهي الحديبية، وحلق، وتأسى به أناس حين رأوه حلق، وترىص آخرون، فقالوا: لعلنا نطوف بالبيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَجِمَ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ»، قيل: والمقصرين، قال: «رَجِمَ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ»، قيل: والمقصرين، قال: «وَالْمُقَصِّرِينَ».

24423- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا عمر بن ذر الهمداني، عن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاث عمر، كلها في ذي القعدة، يرجع في كلها إلى المدينة، منها العمرة التي صد فيها الهدى، فنحره في محله، عند الشجرة، وشارطوه أن يأتي في العام المقبل معتمراً، فيدخل مكة، فيطوف بالبيت ثلاثة أيام، ثم يخرج، ولا يحبسونه عنه أحداً قدم معه، ولا يخرج من مكة بأحد كان فيها قبل قدومه من المسلمين فلما كان من العام المقبل دخل مكة، فأقام بها ثلاثاً يطوف بالبيت فلما كان اليوم الثالث قريبا من الظهر، أرسلوا إليه: إن قومك قد آذاهم مقامك، فتؤدي في الناس: لا تغرب الشمس وفيها أحد من المسلمين قدم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

24424_ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية في بضع عشرة مئة من أصحابه، حتى إذا كانوا بذى الحليفة قلد الهدى وأشعره، وأحرم بالعمرة، وبعث بين يديه عينا له من خزاعة يخبره عن قريش، وسار النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريبا من فعيقان، أتاه عينه الخزاعي، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعا، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشيروا علي، أترون أن تميل على دَراري هؤلاء الذين أءأئوهم فئصبيهم، فإن قعدوا قعدوا مؤثريين مخرؤيين وإن لحوا تكن عئنا قئطعها الله؟ أم ترون أنا نؤم البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه؟» فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله: إنا لم نأت لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قروؤوا إءأ» وكان أبو هريرة يقول: ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من النبي صلى الله عليه وسلم، فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن خالد بن الوليد بالعميم في حيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين»، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هو بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرا لقريش، وسار النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت به راحلته فقال الناس: حل حل، فقال: ما حل؟ فقالوا: حلات القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما حلات وما ذاك لها بخلق، ولكيها حبسها حابس الفيل»، ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يسألوني حطة يعظمون بها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها»، ثم رجرت فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، إنما يتبرضه الناس تبرضا، فلم يلبث الناس أن نزحوه، فشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش، فنزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال جيش لهم بالرزي حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة، وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، قد نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا لم نأت لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمريين، وإن قريشاً قد تهكئهم الحرب، وأصرت بهم، فإن شاؤوا ماددناهم مدة، وبخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلهم على أمري هءأ حتى تنقرد ساليقي، أو ليئفذن الله أمره» فقال بديل: سنبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشيا، فقال: إنا جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولا فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا قال سفهاؤهم: لا حاجة لنا في أن تحدثنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم هات ما سمعته يقول: قال سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فقام عروة بن مسعود الثقفي، فقال: أي قوم، أستم بالولد؟ قالوا: بلى أو لست بالوالد؟ قالوا: بلى قال: فهل أنتم تتهموني؟ قالوا: لا قال: أستم تعلمون أني استنشرت أهل عكاظ، فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى

قال: فإن هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشدة فاقبلوها، ودعوني آتته فقالوا: آتته، فآتاه، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوه من مقالته لبديل فقال عروة عند ذلك: أي محمد، رأيت إن استأصلت قومك، فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك وإن تكن الأخرى فوالله إني لأرى وجوها وأوباشا من الناس خليقا أن يفرّوا ويدعوك، فقال أبو بكر: امصص بظر اللات، واللات: طاغية ثقيف الذي كانوا يعبدون، أنحن نفرّ وندعه؟ فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو بكر، فقال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف، وعليه المغفر فكلما أهوى عروة إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ضرب يده بنصل السيف، وقال: أحر يدك عن لحيته، فرفع رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، قال: أي عُدْر أو لست أسعى في غدرك. وكان المغيرة بن شعبة صحب قوما في الجاهلية، فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أمّا الإسلام فعدّ قبيلناه، وأمّا المال فإتته مالٌ عُدْر لا حاجة لنا فيه». وإن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه، فوالله إن تنخم النبي صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون النظر إليه تعظيما له، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ومحمد والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم، وما يحدّون النظر إليه تعظيما له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشدة فاقبلوها.

فقال رجل من كنانة: دعوني آتته، فقالوا: آتته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هَذَا فُلَانٌ، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له»، فبعثت له، واستقبله قوم يلبون فلما رأى ذلك قال سيحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آتته، فقالوا آتته، فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هَذَا مَكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ» فجاء فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فبينما هو يكلمه، إذ جاء سهيل بن عمرو، قال أيوب، قال عكرمة: إنه لما جاء سهيل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد سهل لكم من أمركم». قال الزهري. فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات نكتب بيننا وبينك كتابا فدعا الكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اكتب: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، فقال: ما الرحمن؟ فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اكتب: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» ثم قال: «اكتب: هَذَا مَا قَاَصَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا

قانتياك, ولكن اكتب: محمد بن عبد الله, فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنِّي كَذَّبْتُمُونِي, وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» قال الزهري: وذلك لقوله: «وَاللَّهِ لَا يَسْأَلُونِي حُطَّةً يُعْظَمُونَ بِهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتَهُمْ إِيَّاهَا» فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «عَلَى أَنْ يُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ, فَتَطُوفُ بِهِ» قال سهيل: والله لا تتحدّث العرب أنا أخذنا ضغطة, ولكن لك من العام المقبل, فكتب فقال سهيل, وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا, فقال المسلمون: سبحان الله, وكيف يُردّ إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ فبينما هم كذلك, إذا جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يوسّف في قيوده, قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين, فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أفاضيك عليه أن تردّه إلينا, فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَأَجِزْهُ لِي», فقال: ما أنا بمجير له, قال: «بلى فافعل», قال: ما أنا بفاعل قال صاحبه مكيرز وسهيل إلى جنبه: قد أجرناه لك فقال أبو جندل أي معاشر المسلمين, أُرِدّ إلى المشركين وقد جنّت مسلما؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ كان قد عذّب عذابا شديدا في الله.

قال عمر بن الخطاب: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ, فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم, فقلت: ألسنا على الحقّ وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى», قلت: فلم نعصى الدنية في ديننا إذن؟ قال: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ, وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي», قلت: ألسنت تحدّثنا أنا سنأتي البيت, فنطوف به؟ قال: «بلى», قال: «فأخبرتك أنك تأتيه العام؟» قلت: لا قال: «فإِنَّكَ آتِيهِ وَتَطُوفُ بِهِ» قال: ثم أتيت أبا بكر, فقلت: أليس هذا نبيّ الله حقا؟ قال: بلى, قلت: ألسنا على الحقّ وعدونا على الباطل؟ قال: بلى, قلت: فلم نعصى الدنية في ديننا إذا؟ قال أيها الرجل إنه رسول الله, وليس يعصي ربه, فاستمسك بغرزه حتى تموت, فوالله إنه لعلى الحقّ قلت: أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى, فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قال: لا, قال: فإنك آتية ومتطوّف به. قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالا فلما فرغ من قصته, قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «فُؤَمُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ اخْلُقُوا», قال: فوالله ما قام منا رجل حتى قال ذلك ثلاث مرّات فلما لم يبق منهم أحد, قام فدخل على أمّ سلمة, فذكر لها ما لقي من الناس, فقالت أمّ سلمة: يا رسول الله أتحبّ ذلك؟ أخرج, ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بَدَنَكَ, وتدعو خالقك فيحلقك, فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة, حتى نحر بدنه, ودعا خالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا, وجعل بعضهم يحلق بعضا, حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نسوة مؤمنات, فأنزل الله عزّ وجلّ عليه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ حَتَّىٰ بَلَغَ بَعْضُهُنَّ الْكُوفِرِ قَالَ: فَطَلَّقَ عَمْرُ يَوْمئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشَّرْكِ قَالَ: فَنَهَايَهُنَّ أَنْ يَرِدُوهُنَّ, وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرُدُّوا الصَّدَاقَ حِينَئِذٍ قَالَ رَجُلٌ لِلزَّهْرِيِّ: أَمِنْ أَجْلِ الْفُرُوجِ؟ قَالَ: نَعَمْ, فَتَرُوجُ إِحْدَاهُمَا مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ, وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمِيَّةٍ, ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ, فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ, رَجُلٌ مِنْ قَرَيْشٍ, وَهُوَ مُسْلِمٌ, فَأَرْسَلَ فِي طَلْبِهِ رَجُلَانِ, فَقَالَا: الْعَهْدُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا, فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ, فَخَرَجَا بِهِ, حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَا ذَا الْحَلِيفَةِ, فَزَلُّوا بِأَكْلُونِ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ, فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانَ جِيدًا, فَاسْتَلَّهُ الْآخَرَ

فقال: والله إنه لجيد، لقد جربت به وجربت فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه فأمكنه منه، فضربه به حتى برد وفرّ الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «رَأَى هَذَا دُعْرًا»، فقال: والله قتل صاحبي، وإنني والله لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: قد والله أوفى الله ذمتك ورددتني إليهم، ثم أغاثني الله منهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَيْلُ أُمَّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ» فلما سمع عرف أنه سيرده إليهم قال: فخرج حتى أتى سيف البحر، وتفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لهم فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يناشدونه الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه فهو آمن فأنزل الله وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم أنهم لم يقرّوا أنه نبي، ولم يقرّوا بيسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت.

24425_ حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، قالوا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية في بضع عشرة مئة، ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال في حديثه، قال الزهري، فحدثني القاسم بن محمد، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: أأست برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: «بلى»، قال أيضا: وخرج أبو بصير والذين أسلموا من الذين ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بالساحل على طريق غير قريش، فقتلوا من فيها من الكفار وتغنموا فلما رأى ذلك كفار قريش، ركب نفر منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا له: إنها لا تغني مدتك شيئا، ونحن نقتل وننهب أموالنا، وإنا نسألك أن تدخل هؤلاء في الذين أسلموا منا في صلحك وتمنعهم، وتحجز عنا قتالهم، ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ، ثم ساق الحديث إلى آخره، نحو حديث ابن عبد الأعلى.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم أنهما حدثاه، قالوا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية، يريد زيارة البيت، لا يريد قتالا، وساق معه هديه سبعين بدنة، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي، فقال له: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العود المطافيل قد لبسوا جلود النمر، ونزلوا بذي طوى يعاهدون الله، لا تدخلها عليهم أبدا، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم، قد قدموها إلى كراع الغميم قال: فقال صلى الله عليه وسلم: «يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ لَقَدْ أَهْلَكْتَهُمُ الْحَرْبُ، مَا دَا عَلِيَهُمْ لَوْ خَلَوْا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ فَإِنَّهُمْ أَصَابُونِي كَانَ ذَلِكَ الَّذِي أَرَادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ دَاخِرِينَ» ثم ذكر نحو حديث معمر بزيادات فيه كثيرة، على حديث معمر تركت ذكرها.

24426_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: «وَالْهَدْيِ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجْلَهُ» قال: كان الهدي بذي طوى، والخديبية خارجة من الحرم، نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عَوَّرت قريش عليه الماء.

وقوله: وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطُؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ يقول تعالى ذكره: ولولا رجال من أهل الإيمان ونساء منهم أيها المؤمنون بالله أن تطئوهم بخيلكم ورجلكم لم تعلموهم بمكة، وقد حبسهم المشركون بها عنكم، فلا يستطيعون من أجل ذلك الخروج إليكم فتقتلوهم. كما:

24427_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ... حتى بلغ يَغْيِرُ عِلْمٌ هذا حين ردَّ محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يدخلوا مكة، فكان بها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات، فكره الله أن يؤذوا أو يوطئوا بغير علم، فتصيبكم منهم معرة بغير علم.

واختلف أهل التأويل في المعرفة التي عناها الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى بها الإثم. ذكر من قال ذلك:

24428_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطُؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ قال: إثم بغير علم.

وقال آخرون: عنى بها غرم الدية. ذكر من قال ذلك: 24429_ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ فتخرجوا ديته، فأما إثم فلم يحسبه عليهم. والمعرة: هي المفعلة من العر، وهو الجرب. وإنما المعنى: فتصيبكم من قبلهم معرة تعرون بها، يلزمكم من أجلها كفارة قتل الخطأ، وذلك عتق رقبة مؤمنة، من أطاق ذلك، ومن لم يطق فصيام شهرين.

وإنما اخترت هذا القول دون القول الذي قاله ابن إسحاق، لأن الله إنما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يكن هاجر منها، ولم يكن قاتله علم إيمانه الكفارة دون الدية، فقال: وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنٌ، فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ» لم يوجب على قاتله خطأ ديته، فلذلك قلنا: عنى بالمعرة في هذا الموضع الكفارة، وأن من قوله: أَنْ تَطُؤُوهُمْ في موضع رفع ردًا على الرجال، لأن معنى الكلام: ولولا أن تطئوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم، فتصيبكم منهم معرة بغير علم لأذن الله لكم أيها المؤمنون في دخول مكة، ولكنه حال بينكم وبين ذلك لِيُدْخَلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ يقول: ليدخل في الإسلام من أهل مكة من يشاء قبل أن تدخلوها، وحذف جواب لولا استغناء بدلالة الكلام عليه.

وقوله: لَوْ تَزَيَّلُوا يقول: لو تميز الذين في مشركي مكة من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات الذين لم تعلموهم منهم، ففارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم لَعَدِّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا يقول: لقتلنا من بقي فيها بالسيف، أو لأهلكناهم ببعض ما يؤلمهم من عذابنا العاجل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24430_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: لَوْ تَزَيَّلُوا... الآية، إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار.

24431_ حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد,
قال: سمعت الضحاك يقول في قوله لَوْ تَرَبَّلُوا لَعَدَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ
يعني أهل مكة كان فيهم مؤمنون مستضعفون: يقول الله لولا أولئك
المستضعفون لو قد تربَّلوا, لعَدَّبْنَا الذين كفروا منهم عذابا أليما.
24432_ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله:
لَوْ تَرَبَّلُوا لَوْ تَفَرَّقُوا, فتفرَّق المؤمن من الكافر, لعَدَّبْنَا الذين كفروا منهم
عذابا أليما.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ
حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ
كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } .
يعني تعالى ذكره بقوله: إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ
الجاهليَّة حين جعل شهيل بن عمرو في قلبه الحمية, فامتنع أن يكتب في
كتاب المقاضاة الذي كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمشركين: بسم الله الرحمن الرحيم, وأن يكتب فيه: محمد رسول الله,
وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم عامه ذلك,
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24433_ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن
الزهري, قال: كانت حميتهم التي ذكر الله, إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم
الحمية, حمية الجاهلية, أنهم لم يقرّوا «بسم الله الرحمن الرحيم» وحالوا
بينهم وبين البيت.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا عبد
الله بن المبارك, عن معمر, عن الزهري بنحوه.

24434_ حدثني عمرو بن محمد العثماني, قال: حدثنا إسماعيل بن أبي
أويس, قال: ثني أخي, عن سليمان, عن يحيى بن سعيد, عن ابن شهاب,
عن سعيد بن المسيب, أن أبا هريرة أخبره أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ, فَمَنْ قَالَ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ». وأنزل
الله في كتابه, فذكر قوما استكبروا فقال: إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَقَالَ اللَّهُ: إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ
الجاهليَّة فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ
التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَهِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ, استكبر
عنها المشركون يوم الحُدَيْبية, يوم كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قضية المدّة.

و «إذ» من قوله: إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ صِلَةِ قَوْلِهِ: لعَدَّبْنَا. وتأويل
الكلام: لعَدَّبْنَا الذين كفروا منهم عذابا أليما, حين جعل الذين كفروا في
قلوبهم الحمية, والحمية فعيلة من قول القائل: حمى فلان أنه حمية
ومحمية ومنه قول المتلمس:

أَلَا إِنِّي مِنْهُمْ وَعِرْضِي عِرْضُهُمْ كَذَا الرَّاسِ يَحْمِي أَنْفَهُ أَنْ يُكَسِّمًا
يعني بقوله: «بحمي»: يمنع. وقال حمية الجاهليَّة لأن الذي فعلوا من ذلك
كان جميعه من أخلاق أهل الكفر, ولم يكن شيء منه مما أذن الله لهم به,
ولا أحد من رسله.

وقوله: فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الصَّبْرَ وَالطَّمَأِينَةَ وَالْوَقَارَ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ حَمَى الَّذِينَ كَفَرُوا حِمَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْعَهُمْ مِنَ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ، وَأَيُّوا أَنْ يَكْتُبُوا فِي الْكِتَابِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَمُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى يُقَالُ: أَلْزَمَهُمْ قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّتِي يَتَّقُونَ بِهَا النَّارَ، وَأَلِيمَ الْعَذَابِ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ عَلَى اخْتِلَافٍ فِي ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَرُويَ بِهِ الْخَبْرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ذَكَرَ قَائِلِي ذَلِكَ بِمَا قُلْنَا فِيهِ، وَالْخَبْرُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: 24435_ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ قَزَعَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ حَبِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ أَبِي فَاخْتَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الطَّفِيلِ، عَنْ أَبِيهِ، سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

24436_ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ خَدَّاشِ الْعَتَكِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ سَالِمًا، سَمِعَ شُعْبَةَ، سَمِعَ سَلْمَةَ بْنَ كَهَيْلٍ، سَمِعَ عَبَّاتَةَ، سَمِعَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

حَدَّثَنِي ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَا: حَدَّثَنَا سَفْيَانُ، عَنْ سَلْمَةَ، عَنْ عَبَّاتَةَ بْنِ رَبِيعٍ، عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ: وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى الدَّامَغَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ سَفْيَانَ وَشُعْبَةَ، عَنْ سَلْمَةَ بْنِ كَهَيْلٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سَلْمَةَ، عَنْ عِيَابَةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

24437_ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ قَالٍ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: ثَنِي مَعَاوِيَةَ، عَنْ عَلِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى يَقُولُ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، يَقُولُ: فَهِيَ رَأْسُ التَّقْوَى.

24438_ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ يَحَدِّثُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَفْيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، مِثْلَهُ.

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

24439_ قَالَ: تَنَا سَفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

24440_ حَدَّثَنَا بَشَّرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَهِيَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

24441_ حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى قَالَ: هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

24442_ حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد,
قال: سمعت الضحاك يقول في قوله وَالرَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى هي لا إله إلا
الله.

24443_ حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا حفص بن
عمر, قال: حدثنا الحكم بن أبان, عن عكرمة, في قوله: وَالرَّمَهُمْ كَلِمَةَ
التَّقْوَى قال: شهادة أن لا إله إلا الله.

24444_ حدثني ابن البرقي, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, عن سعيد
بن عبد العزيز, عن عطاء الخراساني وَالرَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى قال: لا إله إلا
الله محمد رسول الله.

24445_ حدثني الصوري محمد بن إسماعيل, قال: حدثنا محمد بن سوار,
قال: حدثنا سفیان بن عيينة, عن يزيد بن أبي خالد المكي, عن عليّ الأزدي,
قال: كنت مع ابن عمر بين مكة ومنى بالمأزمين, فسمع الناس يقولون: لا
إله إلا الله, والله أكبر, فقال: هي هي, فقلت: ما هي؟ قال: وَالرَّمَهُمْ كَلِمَةَ
التَّقْوَى الإخلاص وكأثوا أحقّ بها وأهلها.

وقال آخرون: بل: هي كلمة التقوى, الإخلاص. ذكر من قال ذلك:
24446_ حدثني عليّ بن الحسين الأزدي, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن
ابن جريج, عن مجاهد وَالرَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى قال: الإخلاص.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى,
وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي
نجيح, عن مجاهد كَلِمَةَ التَّقْوَى كلمة الإخلاص.

وقال آخرون: هي قوله: بسم الله الرحمن الرحيم. ذكر من قال ذلك:
24447_ حدثني محمد بن عيسى, قال: حدثنا ابن المبارك, عن معمر, عن
الزهري, في قوله: وَالرَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى قال: بسم الله الرحمن الرحيم.

وقال آخرون: هي قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له, له الملك وله
الحمد, وهو على كل شيء قدير. ذكر من قال ذلك:

24448_ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, قال: أخبرنا ابن جريج,
عن مجاهد وعطاء وَالرَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى قال: أحدهما الإخلاص, وقال
الآخر: كلمة التقوى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد,
وهو على كل شيء قدير.

وقوله: وكأثوا أحقّ بها وأهلها يقول تعالى ذكره: وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم: والمؤمنون أحقّ بكلمة التقوى من المشركين وأهلها:

يقول: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أهل كلمة التقوى
دون المشركين. وذكر أنها في قراءة عبد الله «وكأثوا أهلها وأحقّ بها».
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24449_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وكأثوا
أحقّ بها وأهلها وكان المسلمون أحقّ بها, وكانوا أهلها: أي التوحيد, وشهادة
أن لا إله إلا الله, وأن محمدا عبده ورسوله.

وقوله: وكان اللئى بكلّ شيء عليمًا يقول تعالى ذكره: ولم يزل الله بكل
شيء ذا علم, لا يخفى عليه شيء هو كائن, ولعلمه أيها الناس بما يحدث من
دخولكم مكة وبها رجال مؤمنون, ونساء مؤمنات لم تعلموهم, لم يآذن لكم
بدخولكم مكة في سفرتكم هذه.

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا }.

يقول تعالى ذكره: لقد صدق الله رسوله محمدا رؤياه التي أراها إياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين، لا يخافون أهل الشرك، مقصرا بعضهم رأسه، ومحلقا بعضهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24450_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباسٍ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ قَالَ هُوَ دَخَلَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَيْتَ وَالْمُؤْمِنُونَ، مُحَلِّقِينَ رُءُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ.

24451_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ قَالَ: أَرِي بِالْحَدِيثِ أَنَّهُ يَدْخُلُ مَكَةَ وَأَصْحَابَهُ مُحَلِّقِينَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ حِينَ نَحَرَ بِالْحَدِيثِ: أَيْنَ رُؤْيَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

24452_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ قَالَ: رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَأَصْحَابِهِ، فَصَدَّقَ اللَّهُ رُؤْيَاهُ، فَقَالَ: لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ... حتى بلغ لا تخافون.

24453_ حدثنا ابن عبيد الأعلی، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ قَالَ: أَرِي فِي الْمَنَامِ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَأَنَّهُمْ آمِنُونَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ.

24454_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ.. إلی آخر الآية. قال: قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَتَّكُمُ سَتَدْخُلُونَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ» فلما نزل بالحديث ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون في ذلك، فقالوا: أين رؤياه؟ فقال الله لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ إِنِّي لَمْ أَرَهُ يَدْخُلُهَا هَذَا الْعَامَ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ.

24455_ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ... إلی قوله: إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ لَرُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي أَرِيهَا أَنَّهُ سَيَدْخُلُ مَكَةَ آمِنًا لَا يَخَافُ، يَقُولُ: مُحَلِّقِينَ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ.

وقوله: فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: فَعَلِمَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا لَمْ تَعْلَمُوا، وَذَلِكَ عِلْمُهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِمَا بِمَكَةَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ لَمْ يَعْلَمَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَوْ دَخَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْعَامِ لَوَطَّئُوهُمْ بِالْخَيْلِ وَالرِّجْلِ، فَأَصَابَتْهُمْ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ، فَرَدَّهَمُ اللَّهُ عَنِ مَكَةَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24456_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا قَالَ: رَدَّهُ لِمَكَانٍ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَأَخْرَجَهُ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ يَرِيدُ أَنْ يَهْدِيَهُ.

وقوله: فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ قَنْحًا قَرِيبًا اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْفَتْحِ الْقَرِيبِ، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ دُونَ دُخُولِهِمُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ مَحْلِقِينَ رُؤُوسَهُمْ وَمَقْصُرِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الصَّلْحُ الَّذِي جَرَى بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ مُشْرِكِي قَرِيشٍ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

24457- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: مِنْ دُونِ ذَلِكَ قَنْحًا قَرِيبًا قَالَ: النَّحْرُ بِالْحُدَيْبِيَّةِ، وَرَجَعُوا فَافْتَتَحُوا حَيْبَرَ، ثُمَّ اعْتَمَرَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَكَانَ تَصَدِيقَ رُؤْيَاهُ فِي السَّنَةِ الْقَابِلَةِ.

24458- حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَوْلُهُ: فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ قَنْحًا قَرِيبًا يَعْنِي: صَلْحَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَمَا فَتَحَ فِي الْإِسْلَامِ فَتْحَ كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ، إِنَّمَا كَانَ الْقِتَالُ حَيْثُ التَّقَى النَّاسَ فَلَمَّا كَانَتْ الْهَدَنَةُ وَضَعَتْ الْحَرْبَ، وَأَمَّنَ النَّاسَ كُلَّهُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَالتَّقْوَا فَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمَنَازَعَةِ، فَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدٌ بِالْإِسْلَامِ يَعْقِلُ شَيْئًا إِلَّا دَخَلَ فِيهِ، فَلَقَدْ دَخَلَ فِي تِينِكَ السَّنَتَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلَ مَنْ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ وَأَكْثَرَ.

24459- حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ قَنْحًا قَرِيبًا قَالَ: صَلْحَ الْحُدَيْبِيَّةِ. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَى بِالْفَتْحِ الْقَرِيبِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: فَتْحَ حَيْبَرَ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

24460- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ قَنْحًا قَرِيبًا قَالَ: حَيْبَرَ حِينَ رَجَعُوا مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَقَسَمَهَا عَلَى أَهْلِ الْحَدَيْبِيَّةِ كُلِّهِمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ: أَبُو دَجَانَةَ سَمَاكُ بْنُ خَرِشَةَ، كَانَ قَدْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَّةَ وَغَابَ عَنْ حَيْبَرَ.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه جعل لرسوله والذين كانوا معه من أهل بيعة الرضوان فتحا قريبا من دون دخولهم المسجد الحرام، ودون تصديقه رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلح الحديبية وفتح خيبر دون ذلك، ولم يخص الله تعالى ذكره خبره ذلك عن فتح من ذلك دون فتح، بل عم ذلك، وذلك كله فتح جعله الله من دون ذلك.

والصواب أن يعم كما عمه، فيقال: جعل الله من دون تصديقه رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدخوله وأصحابه المسجد الحرام محلين رؤوسهم ومقصرين، لا يخافون المشركين صلح الحديبية وفتح خيبر.

الآية : 28-29

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا * مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطَآهُ فَأَزْرَهُ فَأَرْعَاهُ وَفَاسْتَوَىٰ عَلَى سَوْفِهِ يُعْجَبُ الْزَّرَّاعُ لِيُعْجِظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَيَانِ الْوَاضِحِ، وَدِينِ الْحَقِّ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي أَرْسَلَهُ دَاعِيًا خَلَقَهُ إِلَيْهِ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ يَقُولُ: لِيَبْطُلَ بِهِ الْمَلَلُ كُلُّهَا، حَتَّى لَا يَكُونَ دِينَ سِوَاهُ، وَذَلِكَ كَانَ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْزِلَ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ، فَحِينَئِذٍ تَبْطُلُ الْأَدْيَانَ كُلُّهَا، غَيْرَ دِينِ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُظْهِرُ الْإِسْلَامَ عَلَى الْأَدْيَانَ كُلِّهَا. وقوله: وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَشْهَدُكَ يَا مُحَمَّدُ رَبِّكَ عَلَى نَفْسِهِ، أَنَّهُ سَيُظْهِرُ الدِّينَ الَّذِي بَعَثَكَ بِهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا يَقُولُ: وَحَسْبُكَ بِهِ شَاهِدًا. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24461- حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاصِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْهُذَلِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى شَهِيدًا يَقُولُ: أَشْهَدُ لَكَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ سَيُظْهِرُ دِينَكَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالَّذِينَ كَرِهُوا الصَّلْحَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَنَّ اللَّهَ فَاتِحٌ عَلَيْهِمْ مَكَّةَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْبِلْدَانِ، مَسْلِيهِمْ بِذَلِكَ عَمَّا نَالَهُمْ مِنَ الْكَأَبَةِ وَالْحُزَنِ، بَانْصِرَافِهِمْ عَنِ مَكَّةَ قَبْلَ دُخُولِهِمْوَهَا، وَقَبْلَ طَوَافِهِمْ بِالْبَيْتِ،

وقوله: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَأَتْبَاعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ مَعَهُ عَلَى دِينِهِ، أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ، غَلِيظَةٌ عَلَيْهِمْ قُلُوبُهُمْ، قَلِيلَةٌ بِهِمْ رَحْمَتُهُمْ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ يَقُولُ: رَقِيقَةٌ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، لِيَنبَأَ أَنْفُسَهُمْ لَهُمْ، هِينَةٌ عَلَيْهِمْ لَهُمْ. كما: 24462- حَدَّثَنَا بَشِيرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَنَادَةَ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ أَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّحْمَةَ، بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَقُولُ: تَرَاهُمْ رُكَّعًا أَحْيَانًا لِلَّهِ فِي صَلَاتِهِمْ سُجَّدًا أَحْيَانًا يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ يَقُولُ: يَلْتَمِسُونَ بَرُكُوعَهُمْ وَسُجُودَهُمْ وَشِدَّتَهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ وَرَحْمَةَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، فَضْلًا مِنَ اللَّهِ، وَذَلِكَ رَحْمَتُهُ إِيَّاهُمْ، بَأَنَّ يَتَّفَضَّلُ عَلَيْهِمْ، فَيُدْخِلُهُمْ جَنَّتَهُ وَرِضْوَانًا يَقُولُ: وَأَنْ يَرْضَى عَنْهُمْ رَبَّهُمْ.

وقوله: سَيِمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ يَقُولُ: عَلَامَتُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ فِي صَلَاتِهِمْ. ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي السِّيْمَا الَّذِي عَنَاهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ عَلَامَةٌ يَجْعَلُهَا اللَّهُ فِي وَجْهِهِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَعْرِفُونَ بِهَا لَمَّا كَانَ مِنْ سُجُودِهِمْ لَهُ فِي الدُّنْيَا. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24463- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثَنِي أَبِي، قَالَ: ثَنِي عَمِّي، قَالَ: ثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ سَيِمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ قَالَ: صَلَاتُهُمْ تَبْدُو فِي وُجُوهِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

24464- حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاصِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ الْعَتَكِيُّ، عَنْ خَالِدِ الْحَنْفِيِّ، قَوْلُهُ: سَيِمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ قَالَ: يَعْرِفُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ سُجُودِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ.

24465- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ أَبِي سَاطٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ فَضِيلِ بْنِ مَرْزُوقٍ، عَنْ عَطِيَّةٍ، فِي قَوْلِهِ: سَيِمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ قَالَ: مَوَاضِعُ السُّجُودِ مِنْ وُجُوهِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَدُّ وَجُوهِهِمْ بَيَاضًا.

حدثنا محمد بن عمار، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا ابن فضيل، عن فضيل، عن عطية، بنحوه.

حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن فضيل، عن فضيل، عن عطية، بنحوه. حدثنا مجاهد بن موسى، قال: حدثنا يزيد، قال: أخبرنا فضيل، عن عطية، مثله.

24466- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر، قال: سمعت شيبا يقول عن مقاتل بن حيان، قال: سبماهم في وجوههم من أثر السجود قال: النور يوم القيامة.

24467- حدثنا ابن سنان القزاز، قال: حدثنا هارون بن إسماعيل، قال: قال علي بن المبارك: سمعت غير واحد عن الحسن، في قوله: سبماهم في وجوههم من أثر السجود قال: بياضا في وجوههم يوم القيامة. وقال آخرون: بل ذلك سيما الإسلام وسمته وخشوعه، وعنى بذلك أنه يرى من ذلك عليهم في الدنيا ذكر من قال ذلك:

24468- حدثنا علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: سبماهم في وجوههم قال: السممت الحسن.

24469- قال: ثنا مجاهد، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا الحسن بن عمار، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: سبماهم في وجوههم من أثر السجود قال: أما إنه ليس بالذي ترؤن، ولكنه سيما الإسلام وسمته وخشوعه.

24470- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عامر، قال: حدثنا سفيان، عن حميد الأعرج، عن مجاهد سبماهم في وجوههم من أثر السجود قال: الخشوع والتواضع.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان، عن حميد الأعرج، عن مجاهد، مثله.

قال: ثنا أبو عامر، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد سبماهم في وجوههم من أثر السجود قال: الخشوع.

24471- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، في هذه الآية سبماهم في وجوههم من أثر السجود قال: السحنة.

24472- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: سبماهم في وجوههم من أثر السجود قال: هو الخشوع، فقلت: هو أثر السجود، فقال: إنه يكون بين عينيه مثل ركة العنز، وهو كما شاء الله. وقال آخرون: ذلك أثر يكون في وجوه المصلين، مثل أثر السهر، الذي يظهر في الوجه مثل الكلف والتهيج والصفرة، وما أشبه ذلك مما يظهره السهر والتعب في الوجه، ووجهوا التأويل في ذلك إلى أنه سيما في الدنيا. ذكر من قال ذلك:

24473- حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن سفيان، عن رجل، عن الحسن سبماهم في وجوههم من أثر السجود قال: الصفرة.

24474- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر، عن أبيه، قال: زعم الشيخ الذي كان يقص في عُسر، وقرأ سبماهم في وجوههم من أثر السجود فزعم أنه السهر يرى في وجوههم.

24475- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا يعقوب القُمَبي، عن حفص، عن شَمير بن عَطيّة، في قوله: سِيماهُمُ فِي وُجُوهِهِمُ قال: تَهَيَّجَ في الوجه من سهر الليل.

وقال آخرون: ذلك آثار ترى في الوجه من تَرَى الأرض، أو نَدَى الطَّهَّور. ذكر من قال ذلك:

24476- حدثنا حَوْثرة بن محمد المنقري، قال: حدثنا حماد بن مسعدة وحدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا جرير جميعا عن ثعلبة بن سهيل، عن جعفر بن أبي المُغيرة، عن سعيد بن جُبير، في قوله: سِيماهُمُ فِي وُجُوهِهِمُ مِنْ أَثَرِ السَّجُودِ قال: تَرَى الأرض، وتَدَى الطَّهَّور.

24477- حدثنا ابن سنان القرّازي، قال: حدثنا هارون بن إسماعيل، قال: حدثنا عليّ بن المبارك، قال: حدثنا مالك بن دينار، قال: سمعت عكرمة يقول: سِيماهُمُ فِي وُجُوهِهِمُ مِنْ أَثَرِ السَّجُودِ قال: هو أثر التراب. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، ولم يخص ذلك على وقت دون وقت. وإذ كان ذلك كذلك، فذلك على كل الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهدبه وزهده وسمته، وأثار أداء فرائضه وتطوّعه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرّة في الوجه والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود. وبنحو الذي قلنا في معنى السِيما قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24478- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة سِيماهُمُ فِي وُجُوهِهِمُ مِنْ أَثَرِ السَّجُودِ يقول: علامتهم أو أعلمتهم الصلاة.

وقوله: ذلك مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ يقول: هذه الصفة التي وصفت لكم من صفة أتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذين معه صفتهم في التوراة. وقوله: وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَاً يقول: وصفتهم في إنجيل عيسى صفة زرع أخرج شطأه، وهو فراخه، يقال منه: قد أشطا الزرع: إذا فرّخ فهو يشطىء إشطاء، وإنما مثلهم بالزرع المشطىء، لأنهم ابتدأوا في الدخول في الإسلام، وهم عدد قليلون، ثم جعلوا يتزايدون، ويدخل فيه الجماعة بعدهم، ثم الجماعة بعد الجماعة، حتى كثر عددهم، كما يحدث في أصل الزرع الفرخ منه، ثم الفرخ بعده حتى يكثر وينمى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24479- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَصْحَابُهُ مَثَلُهُمْ، يعني نعتهم مكتوبا في التوراة والإنجيل قبل أن يخلق السموات والأرض.

24480- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا عبيد، عن الضحاک مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ... إلى قوله: ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ثم قال: وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَاً... الآية.

24481- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة ذلك مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ: أي هذا المثل في التوراة وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَاً فهذا مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإنجيل.

24482- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: سِيْمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ قَالَ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَّرِعٍ أَخْرَجَ شَطَاؤُهُ.

24483- حَدَّثَتْ عَنْ الْحُسَيْنِ, قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرْنَا عُبَيْدُ, قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: سِيْمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ يَعْنِي السِّيْمَا فِي الْوَجْهِ مِثْلَهُمْ فِي التَّوْرَةِ, وَلَيْسَ بِمِثْلِهِمْ فِي الْإِنْجِيلِ, ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَّرِعٍ أَخْرَجَ شَطَاؤَهُ... الْآيَةُ, هَذَا مِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ.

24484- حَدَّثَنِي يُونُسُ, قَالَ: أَخْبَرْنَا ابْنُ وَهْبٍ, قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ, فِي قَوْلِهِ: سِيْمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَّرِعٍ أَخْرَجَ شَطَاؤُهُ.

24485- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ, قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانَ بْنِ مَعَاوِيَةَ, عَنْ جُوَيْرِ, عَنْ الضَّحَّاكَ فِي قَوْلِ اللَّهِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ... الْآيَةُ, قَالَ: هَذَا مِثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ, وَمِثْلُ آخَرَ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَّرِعٍ أَخْرَجَ شَطَاؤُهُ فَآرَزَهُ الْآيَةُ.

وقال آخرون: هذان المثلان في التوراة والإنجيل مثلهم. ذكر من قال ذلك: 24486- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو, قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ, قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ, قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ, قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا, عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ, عَنْ مَجَاهِدٍ, فِي قَوْلِهِ: ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَاحِدٌ, وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مِثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ, غَيْرَ مِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ, وَإِنْ الْخَبْرُ عَنْ مِثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ مِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ, ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْقَوْلَ لَوْ كَانَ كَمَا قَالَ مَجَاهِدٌ مِنْ أَنَّ مِثْلَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَاحِدٌ, لَكَانَ التَّنْزِيلُ: وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ, وَكَزَّرِعٍ أَخْرَجَ شَطَاؤُهُ, فَكَانَ تَمَثِيلُهُمْ بِالزَّرْعِ مَعْطُوفًا عَلَى قَوْلِهِ: سِيْمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ خَبْرًا عَنْ أَنَّ ذَلِكَ مِثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ, وَفِي مَجِيءِ الْكَلَامِ بغير واو فِي قَوْلِهِ: كَزَّرِعٍ دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَا, وَأَنَّ قَوْلَهُمْ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ خَبْرٌ مُبْتَدَأٌ عَنْ صِفَتِهِمُ الَّتِي هِيَ فِي الْإِنْجِيلِ دُونَ مَا فِي التَّوْرَةِ مِنْهَا. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي قَوْلِهِ أَخْرَجَ شَطَاؤُهُ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

24487- حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَسْعُودِيُّ, قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي, عَنْ أَبِيهِ, عَنْ جَدِّهِ, عَنْ الْأَعْمَشِ, عَنْ خَيْثَمَةَ, قَالَ: بَيْنَا عِيدُ اللَّهُ بِقَرِيءٍ رَجُلًا عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ, إِذْ مَرَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ كَزَّرِعٍ أَخْرَجَ شَطَاؤُهُ قَالَ: أَنْتُمْ الزَّرْعُ, وَقَدْ دَنَا حِصَادِكُمْ.

24488- قَالَ: ثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ, قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَلِيَّةَ, عَنْ حُمَيْدِ الطَّوِيلِ, قَالَ: قَرَأَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: كَزَّرِعٍ أَخْرَجَ شَطَاؤُهُ فَآرَزَهُ قَالَ: تَدْرُونَ مَا شَطَاؤُهُ؟ قَالَ: نَبَاتُهُ.

24489- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ, قَالَ: ثَنِي أَبِي, قَالَ: ثَنِي عَمِّي, قَالَ: ثَنِي أَبِي, عَنْ أَبِيهِ, عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ, قَوْلُهُ: ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَّرِعٍ أَخْرَجَ شَطَاؤُهُ قَالَ: سَنَبَلُهُ حِينَ يَتَسَلَعُ نَبَاتُهُ عَنْ حَبَاتِهِ.

24490- حَدَّثَنَا بَشِيرٌ, قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ, قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ, عَنْ قَتَادَةَ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَّرِعٍ أَخْرَجَ شَطَاؤُهُ قَالَ: هَذَا مِثْلُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم في الإنجيل, قيل لهم: إنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع, منهم قوم يأمرّون بالمعروف, وبنهون عن المنكر.

24491_ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة والزهرى كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطَأَهُ قَالَا: أَخْرَجَ نَبَاتَهُ.

24492_ حَدَّثَتْ عَنِ الْحُسَيْنِ, قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرْنَا عُبَيْدًا, قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطَأَهُ يَعْنِي: أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, يَكُونُونَ قَلِيلًا, ثُمَّ يَزْدَادُونَ وَيَكْثُرُونَ وَيَسْتَعْلِظُونَ.

24493_ حَدَّثَنِي يُونَيْسٌ, قَالَ: أَخْبَرْنَا ابْنَ وَهَبٍ, قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ, فِي قَوْلِهِ: كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطَأَهُ أَوْلَادِهِ, ثُمَّ كَثُرَتْ أَوْلَادُهُ.

24494_ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو, قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ, قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ, قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ, قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا, عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ, عَنِ مَجَاهِدٍ, فِي قَوْلِهِ: كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطَأَهُ قَالَ: مَا يَخْرُجُ بَجَنْبِ الْحَقْلَةِ فَيَتَمُّ وَيَنْمَى.

وقوله: فَأَزَّرَهُ يَقُولُ: فَقَوَّاهُ: أَيِ قَوَّى الزَّرْعَ شَطَأَهُ وَأَعَانَهُ, وَهُوَ مِنَ الْمُوَازَرَةِ الَّتِي بِمَعْنَى الْمَعَاوَنَةِ فَاسْتَعْلَظَ يَقُولُ: فَغَلِظَ الزَّرْعَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ وَالسُّوقُ: جَمْعُ سَاقٍ, وَسَاقُ الزَّرْعِ وَالشَّجَرِ: حَامِلَتُهُ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24495_ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ, قَالَ: ثَنِي أَبِي, قَالَ: ثَنِي عَمِي, قَالَ: ثَنِي أَبِي, عَنِ أَبِيهِ, عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ, فَأَزَّرَهُ يَقُولُ: نَبَاتَهُ مَعَ التَّفَافَةِ حِينَ يَسْنِبُ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التُّورَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ فَهُوَ مِثْلُ ضَرْبِهِ لِأَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا خَرَجَ قَوْمٌ يَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الزَّرْعُ فَيَبْلُغُ فِيهِمْ رَجُلٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ, وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ, ثُمَّ يَغْلِظُونَ, فَهَمُّ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمْ. وَهُوَ مِثْلُ ضَرْبِهِ لِلَّهِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: بَعَثَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْدَهُ, ثُمَّ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ قَلِيلٌ يُؤْمِنُونَ بِهِ, ثُمَّ يَكُونُ الْقَلِيلُ كَثِيرًا, وَيَسْتَعْلِظُونَ, وَيَغِيظُ اللَّهُ بِهِمُ الْكُفَّارَ.

24496_ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو, قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ, قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ, قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ, قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا, عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ, عَنِ مَجَاهِدٍ, فِي قَوْلِهِ فَأَزَّرَهُ قَالَ: فَشَدَّهُ وَأَعَانَهُ. وَقَوْلُهُ: عَلَى سُوقِهِ قَالَ: أَصُولُهُ.

24497_ حَدَّثَنِي ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى, قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ, عَنِ مَعْمَرٍ, عَنِ قَتَادَةَ وَالزَّهْرِيِّ فَأَزَّرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يَقُولُ: فَتَلَّاحِقُ.

24498_ حَدَّثَنِي يُونَيْسٌ, قَالَ: أَخْبَرْنَا ابْنَ وَهَبٍ, قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ, فِي قَوْلِهِ: فَأَزَّرَهُ اجْتَمَعَ ذَلِكَ فَالْتَفَّ قَالَ: وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ خَرَجُوا وَهُمْ قَلِيلٌ ضَعْفَاءُ, فَلَمَّ يَزِلُّ اللَّهُ يَزِيدُ فِيهِمْ, وَيُؤَيِّدُهُمُ بِالْإِسْلَامِ, كَمَا أَيْدِي هَذَا الزَّرْعِ بِأَوْلَادِهِ, فَأَزَّرَهُ, فَكَانَ مِثْلًا لِلْمُؤْمِنِينَ.

24499_ حَدَّثَنِي عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ, قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانَ بْنَ مَعَاوِيَةَ, عَنِ جُؤَيْبِرٍ, عَنِ الضَّحَّاكَ كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَأَزَّرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يَقُولُ: حَبٌّ بَرٌّ تُبْرُ مَتَفَرِّقًا, فَتَنْبُتُ كُلُّ حَبَّةٍ وَاحِدَةً, ثُمَّ أَنْبَتَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا, حَتَّى اسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ قَالَ: يَقُولُ: كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلِيلًا, ثُمَّ كَثُرُوا, ثُمَّ اسْتَعْلَظُوا لِيَغِيظَ اللَّهُ بِهِمُ الْكُفَّارَ.

وقوله: يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ يقول تعالى ذكره: يعجب هذا الزرع الذي استغلظ فاستوى علي سوقه في تمامه وحسن نباته، وبلوغه وانتهائه الذين زرعه لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ يقول: فكذلك مثل محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، واجتماع عددهم حتى كثروا ونموا، وغلظ أمرهم كهذا الزرع الذي وصف جل ثناؤه صفته، ثم قال: لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ فدل ذلك على متروك من الكلام، وهو أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليغيظ بهم الكفار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24500_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن ابن عباس: لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ يقول الله: مثلهم كمثل زرع أخرج شطاؤه فأزره، فاستغلظ، فاستوى على سوقه، حتى بلغ أحسن النبات، يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ من كثرته، وحسن نباته.

24501_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ قال: يعجب الزرع حسنه لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ بالمؤمنين، لكثرتهم، فهذا مثلهم في الإنجيل.

وقوله: وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا يقول تعالى ذكره: وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات يقول: وعملوا بما أمرهم الله به من فرائضه التي أوجبها عليهم.

وقوله: مِنْهُمْ يعني: من الشطاء الذي أخرج المزرع، وهم الداخلون في الإسلام بعد الزرع الذي وصف ربنا تبارك وتعالى صفته. والهاء والميم في قوله مِنْهُمْ عائدة على معنى الشطاء لا على لفظه، ولذلك جمع ف قيل: «منهم»، ولم يقل «منه». وإنما جمع الشطاء لأنه أريد به من يدخل في دين محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة بعد الجماعة الذين وصف الله صفتهم بقوله: وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا.

وقوله وَمَغْفِرَةً يعني: عفوا عما مضى من ذنوبهم، وسيء أعمالهم بحسنتها. وقوله: وَأَجْرًا عَظِيمًا يعني: وثوابا جزيلا، وذلك الجنة.

سورة الحجرات

سورة الحجرات مدنية
وآياتها ثمان عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية: 1

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّبِعُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} يعني تعالى ذكره بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا: يا أيها الذين أقروا بوحدانية الله، ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تُقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ يقول: لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله، محكي عن العرب فلان يقدم بين يدي إمامه، بمعنى يعجل بالأمر والنهي دونه. وبنحو الذي قلنا في

ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم بالبيان عن معناه ذكر من قال ذلك:

24502- حدثنا عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ يقول: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

24503- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ... الآية قال: نُهَوُّا أن يتكلموا بين يدي كلامه.

24504- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قال: لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسانه.

24505- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة يا أيها الذين آمنوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ذُكِرَ لَنَا أن ناساً كانوا يقولون: لو أنزل في كذا لوضع كذا وكذا، قال: فكره الله عز وجل ذلك، وقدم فيه.

24506- وقال: الحسن: أناس من المسلمين ذبحوا قبل صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر، فأمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحاً آخر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قال: إن أناساً كانوا يقولون: لو أنزل في كذا، لو أنزل في كذا، وقال الحسن: هم قوم نحروا قبل أن يصلي النبي صلى الله عليه وسلم، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا الذبح.

24507- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ يعني بذلك في القتال، وكان من أمورهم لا يصلح أن يُقْضَى إِلَّا بأمره ما كان من شرائع دينهم.

24508- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قال: لا تقطعوا الأمر دون الله ورسوله.

24509- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان يا أيها الذين آمنوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قال: لا تقضوا أمراً دون رسول الله، وبضم التاء من قوله: لا تُقَدِّمُوا قرأ قرأ الأمصار، وهي القراءة التي لا أستجيز القراءة بخلافها، لإجماع الحجة من القرأء عليها، وقد حكى عن العرب قدّمت في كذا، وتقدّمت في كذا، فعلى هذه اللغة لو كان قيل: «لا تَقَدِّمُوا» بفتح التاء كان جائزاً.

وقوله: وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يقول: وخافوا الله أيها الذين آمنوا في قولكم، أن تقولوا ما لم يأذن لكم به الله ولا رسوله، وفي غير ذلك من أموركم، وراقبوه، إن الله سميع لما تقولون، عليم بما تريدون بقولكم إذا قلت، لا يخفى عليه شيء من ضمائر صدوركم، وغير ذلك من أموركم وأمور غيركم.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله, لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول الله تتجهموه بالكلام, وتغلظون له في الخطاب ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض يقول: ولا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضا: يا محمد, يا محمد, يا نبي الله, يا نبي الله, يا رسول الله. ونحن الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24510- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ, قال لا تنادوه نداء, ولكن قولاً لنا يا رسول الله.

24511- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ كَانُوا يَجْهَرُونَ لَهُ بِالْكَلَامِ, ويرفعون أصواتهم, فوعظهم الله, ونهاهم عن ذلك.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, كانوا يرفعون, ويجهرون عند النبي صلى الله عليه وسلم, فوعظوا, ونهوا عن ذلك.

24512- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ... الآية, هو كقوله: لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا نهاهم الله أن ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا وأمرهم أن يشرفوه وبعضموه, ويدعوه إذا دعوه باسم النبوة.

24513- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا زيد بن حباب, قال: حدثنا أبو ثابت بن ثابت قيس بن الشماس, قال: ثني عمي إسماعيل بن محمد بن ثابت بن شماس, عن أبيه, قال: لما نزلت هذه الآية لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ قال: قعد ثابت في الطريق يبكي, قال: فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان, فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: لهذه الآية, أتخوف أن تكون نزلت في, وأنا صييت رفيع الصوت قال: فمضى عاصم بن عدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: وغلبه البكاء, قال: فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبي ابن سلول, فقال لها: إذا دخلت بيت فرسي, فشدي على الضية بمسمار, فضرته بمسمار حتى إذا خرج عطفه وقال: لا أخرج حتى يتوفاني الله, أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره, فقال: «أَذْهَبَ فَادْعُهُ لِي» فجاء عاصم إلى المكان, فلم يجده, فجاء إلى أهله, فوجده في بيت الفرس, فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك, فقال: اكسر الضبة, قال: فخرجا فاتيا نبي الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم, فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يبكيك يا ثابت؟» فقال: أنا صييت, وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما ترضى أن تعيش حميدا, وتقتل شهيدا, وتدخل

الْجَنَّةِ؟ فقال: رضيتُ بُبشري الله ورسوله، لا أرفع صوتي أبداً على رسول الله، فأَنْزَلَ اللهُ إِنَّ الَّذِينَ يَعُصُونَ أَسْوَأَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى... الآية.

24514_ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن حفص، عن شمر بن عطية، قال: جاء ثابت بن قيس بن الشماس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محزون، فقال: «يا ثابت ما الذي أرى بك؟» فقال: آية قرأتها الليلة، فأخشى أن يكون قد حبط عملي يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وكان في أذنه صمم، فقال: يا نبي الله أخشى أن أكون قد رفعت صوتي، وجهرت لك بالقول، وأن أكون قد حبط عملي، وأنا لا أشعر: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «امش على الأرض تَشِيْطاً فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

24515_ حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عليه، قال: حدثنا أيوب، عن عكرمة، قال: لما نزلت: يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي... الآية، قال ثابت بن قيس: فإنا كنت أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، وأجهر له بالقول، فإنا من أهل النار، فقعده في بيته، فتفقدته رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسأل عنه، فقال رجل: إنه لجاري، ولئن شئت لأعلمن لك علمه، فقال: «نعم»، فأتاه فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تفقدك، وسأل عنك، فقال: نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي... الآية وأنا كنت أرفع صوتي فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجهر له بالقول، فإنا من أهل النار، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فلما كان يوم اليمامة انهزم الناس، فقال: «أَفَّ لَهُوْلَاءُ وَمَا يَعْبُدُونَ، وَأَفَّ لَهُوْلَاءُ وَمَا يَصْنَعُونَ»، يا معشر الأنصار خلوا لي بشيء لعلني أصلى بحرّها ساعة قال: ورجل قائم على ثلثة، فقتل وقُتِلَ.

24516_ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزُّهري، أن ثابت بن قيس بن شماس، قال: لما نزلت لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي قال: يا نبي الله، لقد خشيت أن أكون قد هلكت، نهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك، وإني امرؤ جهير الصوت، ونهى الله المرء أن يحب أن يُحمد بما لم يفعل، فأجدني أحب أن أحمده ونهى الله عن الخيلاء وأجدني أحب الجمال قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ثابتُ أما تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ حَمِيداً، وَتُقْتَلَ شَهِيداً، وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟» فعاش حميداً، وقُتِلَ شهيداً يوم مُسَيْلِمة.

24517_ حدثني علي بن سهل، قال: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا نافع بن عمر بن جميل الجمحي، قال: ثني ابن أبي مليكة، عن الزبير، قال: «قدم وفد أراه قال تميم، على النبي صلى الله عليه وسلم، منهم الأقرع بن حابس، فكلّم أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعمله علي قومه، قال: فقال عمر: لا تفعل يا رسول الله، قال: فتكلما حتى ارتفعت أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافتك. قال: ونزل القرآن: يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي... إلى قوله: وأجر عظيم قال: فما حدث

عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، فَيُسْمِعَ النبي صلى الله عليه وسلم، قال: وما ذكر ابن الزبير جدّه، يعني أبا بكر. وقوله: أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالَكُمْ يَقُولُ: أَنْ لَا تَحْبِطَ أَعْمَالَكُمْ فَتَذْهَبَ بَاطِلَةٌ لَا ثَوَابَ لَكُمْ عَلَيْهَا، وَلَا جَزَاءَ بِرَفْعِكُمْ أَصْوَاتِكُمْ فَوْقَ صَوْتِ نَبِيِّكُمْ، وَجَهْرَكُمْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ.

وقد اختلف أهل العربية في معنى ذلك، فقال بعض نحويي الكوفة: معناه: لَا تَحْبِطَ أَعْمَالَكُمْ. قال: وفيه الجزم والرفع إذا وضعت «لا» مكان «أن». قال: وهي في قراءة عبد الله «فَتَحْبِطَ أَعْمَالَكُمْ» وهو دليل على جواز الجزم، وقال بعض نحويي البصرة: قال: أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالَكُمْ: أي مخافة أن تحبط أعمالكم وقد يقال: أسند الحائط أن يميل. وقوله: وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ يَقُولُ: وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَلَا تَدُورُنَ.

الآية : 3

الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}. يقول تعالى ذكره: إن الذين يكفون رفع أصواتهم عند رسول الله، وأصل الغضّ: الكفّ في لين، ومنه: غضّ البصر، وهو كفه عن النظر، كما قال جرير:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِلَيْكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَعَتْ وَلَا كِلَابًا

وقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله، هم الذين اختبر الله قلوبهم بامتحانه إياها، فاصطفاها وأخلصها للتقوى، يعني لاتقائه بأداء طاعته، واجتناب معاصيه، كما يمتحن الذهب بالنار، فيخلص جيدها، ويبطل خبثها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24518- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ قال: أخلص.

24519- حدثنا ابن عبيد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ قال: أخلص الله قلوبهم فيما أحبّ. وقوله: لَهُمْ مَغْفِرَةٌ يَقُولُ: لَهُمْ مِنْ اللَّهِ عَفْوٌ عَنْ ذُنُوبِهِمُ السَّالِفَةِ، وَصَفَحَ مِنْهَا لَهُمْ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ يَقُولُ: وَثَوَابٌ جَزِيلٌ، وَهُوَ الْجَنَّةُ.

الآية : 4-5

الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن الذين ينادونك يا محمد من وراء حجراتك، والحجرات: جمع حجرة، والثلاث: حَجْرٌ، ثم تجمع الحجر فيقال: حَجْرَاتٌ وَحُجْرَاتٌ، وقد تجمع بعض العرب الحجر: حَجْرَاتٍ بفتح الجيم، وكذلك كل جمع كان من ثلاثة إلى عشرة على فُعَلٍ يجمعونه على فَعَلَاتٍ بفتح ثانيه، والرفع أفصح وأجود ومنه قول الشاعر: أما كانَ عَبَادُ كَفِينَا لِذَارِمَتَلَى، ولأبياتٍ بِهَا الحُجْرَاتُ يقول: بلى ولبني هاشم.

وقوله: وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ يقول: أكثرهم جهال بدين الله، واللازم لهم من حقك وتعظيمك. وذكُر أن هذه الآية والتي بعدها نزلت في قوم من الأعراب جاؤوا ينادون رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته: يا محمد اخرج إلينا. ذكر الرواية بذلك:

24520- حدثنا أبو عمار المروزي، والحسن بن الحارث، قالوا: حدثنا الفضل بن موسى، عن الحسين بن واقد، عن أبي إسحاق، عن البراء في قوله: إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ قَالَ: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد إن حمدي زين، وإن ذمي شين، فقال: «ذَاكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين، عن أبي إسحاق، عن البراء بمثله، إلا أنه قال: ذاكم الله عز وجل.

24521- حدثنا الحسين بن عرفة، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان التيمي، قال: سمعت داود الطفاوي يقول: سمعت أبا مسلم البجلي يحدث عن زيد بن أرقم، قال: جاء أناس من العرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يكن نبيا فنحن أسعد الناس به، وإن يكن مليكا نعش في جناحه قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرته بذلك، قال: ثم جاؤوا إلى حجر النبي صلى الله عليه وسلم، فجعلوا ينادونه. يا محمد، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ قَالَ: فأخذ نبي الله بأذني فمدّها، فجعل يقول: «قَدْ صَدَّقَ اللَّهُ قَوْلَكَ يَا رَبِّدُ، قَدْ صَدَّقَ اللَّهُ قَوْلَكَ يَا رَبِّدُ».

24522- حدثنا الحسن بن أبي يحيى المقدمي، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا وهيب، قال: حدثنا موسى بن عقبة، عن أبي سلمة، قال: ثني الأقرع بن حابس التميمي أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فناداه، فقال: يا محمد إن مدحي زين، وإن شتيمي شين فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «وَيْلَكَ ذَلِكَ اللَّهُ» فأنزل الله إن الذين ينادونك من وراء الحجرات... الآية.

24523- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ: أعراب بني تميم.

24524- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فناداه من وراء الحجر، فقال: يا محمد إن مدحي زين، وإن شتيمي شين فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «وَيْلَكَ ذَلِكَ اللَّهُ» فأنزل الله إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ.

24525- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ... الآية، ذكر لنا أن رجلاً جعل ينادي يا نبي الله يا محمد، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «مَا شَأْنُكَ؟» فقال: والله إن حمده لزين، وإن ذمه لشتين، فقال نبي صلى الله عليه وسلم: «ذَاكُمْ اللَّهُ»، فأدبر الرجل، وذكر لنا أن الرجل كان شاعرا.

24526_ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن حبيب بن أبي عمرة, قال: كان بشر بن غالب وليد بن غالب بن عطار, أو بشر بن عطار وليد بن غالب, وهما عند الحجاج جالسان, يقول بشر بن غالب للبيد بن عطار نزلت في قومك بني تميم إن الذين ينادونك من وراء الحجرات فذكرت ذلك لسعيد بن جبيرة, فقال: أما إنه لو علم بأخر الآية, أجابه: يمتنون عليك أن أسلموا قالوا: أسلمنا, ولم يقاتلك بنو أسد.

24527_ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن المبارك بن فضالة, عن الحسن, قال: «أتى أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجرته, فقال: يا محمد, يا محمد فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «مالك مالك», فقال: تعلم أن مدحي لزين, وأن ذمي ليشين, فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ذاكُم الله», فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي».

واختلفت القراء في قراءة قوله: مِنْ وَرَاءِ الْحُجْرَاتِ فقراءته قراء الأمصار بضم الحاء والجم من الحجرات, سوى أبي جعفر القاريء, فإنه قرأ بضم الحاء وفتح الجيم على ما وصفت من جمع الحجرة حَجَر, ثم جمع الحَجَر: حَجَرَات.

والصواب من القراءة عندنا الضم في الحرفين كليهما لما وصفت قبل. وقوله: وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ يقول تعالى ذكره: ولو أن هؤلاء الذين ينادونك يا محمد من وراء الحجرات صبروا فلم ينادوك حتى تخرج إليهم إذا خرجت, لكان خيرا لهم عند الله, لأن الله قد أمرهم بتوقيرك وتعظيمك, فهم بتركهم نداءك تاركون ما قد نهاهم الله عنه, والله عَفُورٌ رَحِيمٌ يقول تعالى ذكره: الله ذو عفو عن ناداك من وراء الحجاب, إن هو تاب من معصية الله بندائك كذلك, وراجع أمر الله في ذلك وفي غيره رحيم به أن يعاقبه على ذنبه ذلك من بعد توبته منه.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ تَادِمِينَ} . يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ عن قوم فتبينوا.

واختلفت القراء في قراءة قوله: فَتَبَيَّنُوا فقراء ذلك عامة قراء أهل المدينة «فَتَبَيَّنُوا» بالثاء, وذكر أنها في مصحف عبد الله منقوطة بالثاء. وقرأ ذلك بعض القراء فتبينوا بالياء, بمعنى: أمهلوا حتى تعرفوا صحته, لا تعجلوا بقبوله, وكذلك معنى «فَتَبَيَّنُوا».

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى, فبأيهما قرأ القاريء فمصيب. وذكر أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عتبة بن أبي مَعْبُط. ذكر السبب الذي من أجله قيل ذلك:

24528_ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جعفر بن عون, عن موسى بن عبيدة, عن ثابت مؤلى أم سلمة, عن أم سلمة, قالت: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً في صدقات بني المصطلق بعد الواقعة, فسمع بذلك القوم, فتلقوه يعظمون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله, قالت: فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم, فغضب رسول

الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال: فبلغ القوم رجوعه قال: فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت إلينا رجلاً مصدقاً، فسررنا بذلك، وقررت به أعيننا، ثم إنه رجع من بعض الطريق، فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله ومن رسوله، فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال، وأذن بصلاة العصر قال: ونزلت يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بتيها فتيبوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصيخوا على ما فعلتم ناديين.

24529_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بتيها... الآية، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ثم أحد بني عمرو بن أمية، ثم أحد بني أبي معيط إلى بني المصطلق، ليأخذ منهم الصدقات، وإنه لما أتاهم الخبر فرحوا، وخرجوا ليتلقوا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه، رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا، فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم، إذ أتاه الوفد، فقالوا: يا رسول الله، إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق، وإنا خشينا أن يكون إنمارده كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فأنزل الله عذرهم في الكتاب، فقال يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بتيها فتيبوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصيخوا على ما فعلتم ناديين.

24530_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: إن جاءكم فاسق بتيها قال: الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق، ليصدقهم، فتلقوه بالهدية فرجع إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: إن بني المصطلق جمعت لتقاتلك.

24531_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بتيها... حتى بلغ بجهالة وهو ابن أبي معيط الوليد بن عقبة، بعثه نبي الله صلى الله عليه وسلم مصدقا إلى بني المصطلق، فلما أبصروه أقبلوا نحوه، فهابهم، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام، فبعث نبي الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد، وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلاً، فبعث عيونه فلما جاؤوا أخبروا خالد أنهما مستمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد، فرأى الذي يعجبه، فرجع إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره الخبر، فأنزل الله عز وجل ما تسمعون، فكان نبي الله يقول: «التبئ من الله، والعجلة من الشيطان».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بتيها فذكر نحوه.

24532_ حدثنا محمد بن بشر، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن هلال الوزان، عن ابن أبي ليلى، في قوله: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بتيها فتيبوا قال: نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفیان، عن حُمَيد، عن هلال الأنصاري، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى إن جاءكم فاسقٌ يتبأ قال: نزلت في الوليد بن عقبة حين أرسل إلى بني المصطلق.

24533- قال: ثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بني المصطلق بعد إسلامهم، الوليد بن أبي معيط فلما سمعوا به ركبوا إليه فلما سمع بهم خافهم فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره أن القوم قد همّوا بقتله، ومنعوا ما قبلهم من صدقاتهم، فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى همّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم، فبينما هم في ذلك قَدِمَ وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا، فخرجنا إليه لنكرمه، ولنؤدّي إليه ما قبلنا من الصدقة، فاستمرّ راجعا، فبلغنا أنه يزعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لنقاتله، ووالله ما خرجنا لذلك فأنزل الله في الوليد بن عقبة وفيهم: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ يتبأ... الآية.

24534- قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من أصحابه إلى قوم يصدقهم، فأتاهم الرجل، وكان بينه وبينهم إحنة في الجاهلية فلما أتاهم رحبوا به، وأقروا بالزكاة، وأعطوا ما عليهم من الحق، فرجع الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، منع بنو فلان الصدقة، ورجعوا عن الإسلام، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث إليهم فأتوه فقال: «أمتعنتم الزكاة، وطردتم رسولي؟» فقالوا: والله ما فعلنا، وإنا لنعلم أنك رسول الله، ولا بد لنا، ولا منعنا حق الله في أموالنا، فلم يصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله هذه الآية، فعذرهم.

وقوله: أن تُصيَّبوا قوماً بجهالةٍ يقول تعالى ذكره: فتبينوا لئلا تصيبوا قوما براء مما قُذِّفوا به بجنابة بجهالة منكم فتُضَيِّحُوا على ما فعلتم نادمين يقول: فتندموا على إصابتكم إياهم بالجنابة التي تصيبونهم بها.

الآية : 7-8

القول في تأويل قوله تعالى: { وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَانَ وَرَيْبَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَتْ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضَلًّا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: لأصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم: واعلموا أيها المؤمنون بالله ورسوله، أن فيكم رسول الله فاتقوا الله أن تقولوا الباطل، وتفتروا الكذب، فإن الله يخبره أخباركم، ويعرفه أنباءكم، ويقومه على الصواب في أموره.

وقوله: لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ يقول تعالى ذكره: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في الأمور بأرائكم ويقبل منكم ما تقولون له فيطيعكم لعنتم يقول: لناكم عنت، يعني الشدة والمشقة في كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم لأنه كان يخطيء في أفعاله كما لو قبل من الوليد بن عقبة قوله في بني المصطلق: إنهم قد ارتدوا، ومنعوا الصدقة، وجمعوا الجموع لغزو المسلمين، فغزاهم فقتل منهم، وأصاب من دمائهم وأموالهم كان قد قتل، وقتلت من لا يحل له ولا لكم قتله، وأخذ

وأخذتم من المال ما لا يحلُّ له ولكم أخذه من أموال قوم مسلمين، فنالكم من الله بذلك عنت وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَأَتَمَّ تَطِيعُونَ رَسُولَ اللَّهِ، وَتَأْتَمُونَ بِهِ فَيُطِيعُكُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ مِنَ الْعَنْتِ مَا لَوْ لَمْ تَطِيعُوهُ وَتَتَّبِعُوهُ، وَكَانَ يُطِيعُكُمْ لِنَالِكُمْ وَأَصَابِكُمْ.

وقوله: وَرَبَّيْتُهُ فِي قُلُوبِكُمْ يَقول: وحسن الإيمان في قلوبكم فأمنتكم وكرهه إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ بِاللَّهِ وَالْفُسُوقَ يَعني الكذب، والعصيان يعني ركوب ما نهى الله عنه في خلاف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتضييع ما أمر الله به أولئك هُمُ الرَّاشِدُونَ يَقول: هؤلاء الذين حبب الله إليهم الإيمان، وزينه في قلوبهم، وكرهه إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون السالكون طريق الحق.

وقوله: فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً يَقول: ولكن الله حبب إليكم الإيمان، وأنعم عليكم هذه النعمة التي عدّها فضلاً منه، وإحساناً ونعمة منه أنعمها عليكم وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ يَقول: والله ذو علم بالمحسن منكم من المسيء، ومن هو لنعم الله وفضله أهل، ومن هو لذلك غير أهل، وحكمة في تدبيره خلقه، وصرفه إياهم فيما شاء من قضائه. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: وَعَلَّمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذكر من قال ذلك:

24535_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَعَلَّمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ... حتى بلغ لعنتهم هؤلاء أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم، لو أطاعهم نبي الله في كثير من الأمر لعنتهم، فأنتم والله أسخف رأياً، وأطيش عقولاً، اتهم رجل رأيه، وانتصح كتاب الله، فإن كتاب الله ثقة لمن أخذ به، وانتهى إليه، وإن ما سوى كتاب الله تغرير. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، قال: قال معمر، تلا قتادة لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ قَالَ: فأنتم أسخف رأياً وأطيش أحلاماً، فاتهم رجل رأيه، وانتصح كتاب الله وكذلك كما قلنا أيضاً في تأويل قوله: وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ قَالُوا. ذكر من قال ذلك:

24536_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَرَبَّيْتُهُ فِي قُلُوبِكُمْ قَالَ: حبه إليهم وحسنه في قلوبهم. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعَصِيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً قَالُوا أيضاً. ذكر من قال ذلك:

24537_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ قَالَ: الكذب والعصيان قال: عصيان النبي صلى الله عليه وسلم أولئك هم الراشدون من أين كان هذا؟ قال: فضل من الله ونعمة قال: والمنافقون سماهم الله أجمعين في القرآن الكاذبين قال: والفاسق: الكاذب في كتاب الله كله.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ قَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل فإن بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى يَقُولُ: فَإِنِ ابْتَدَأَ أَحَدُ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ الْإِجَابَةَ إِلَى حُكْمِ كِتَابِ اللَّهِ لَهُ، وَعَلَيْهِ وَتَعَدَّتْ مَا جَعَلَ اللَّهُ عَدْلًا بَيْنَ خَلْقِهِ، وَأَجَابَتْ الْأُخْرَى مِنْهُمَا فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي يَقُولُ: فَقَاتِلُوا الَّتِي تَعْتَدِي، وَتَأْتِي الْإِجَابَةَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ يَقُولُ: حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي حُكِمَ فِي كِتَابِهِ بَيْنَ خَلْقِهِ فَإِنِ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ يَقُولُ: فَإِنِ رَجَعْتَ الْبَاغِيَةَ بَعْدَ قِتَالِكُمْ إِيَّاهُمْ إِلَى الرِّضَا بِحُكْمِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الطَّائِفَةِ الْأُخْرَى الَّتِي قَاتَلْتَهَا بِالْعَدْلِ: يَعْنِي بِالْإِنْصَافِ بَيْنَهُمَا، وَذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ عَدْلًا بَيْنَ خَلْقِهِ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

24538- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَإِنَّ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأْصَلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنِ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَمَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ إِذَا اقْتَتَلَتْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوهُمَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَيَنْصِفَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِنِ أَجَابُوا حُكْمَ فِيهِمْ بَكِتَابِ اللَّهِ، حَتَّى يَنْصِفَ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ، فَمَنْ أَبَى مِنْهُمْ أَنْ يَجِيبَ فَهُوَ بَاغٍ، فَحَقُّ عَلَى إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجَاهِدَهُمْ وَيَقَاتِلَهُمْ، حَتَّى يَفِيئُوا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، وَيَقْرُوا بِحُكْمِ اللَّهِ.

24539- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وَإِنَّ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ: هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ أَمَرَ بِهِ الْوَلَاةُ كَهَيْئَةِ مَا تَكُونُ الْعَصَبَةُ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنِ ابْوَا قَاتِلَ الْفِتْنَةَ الْبَاغِيَةَ، حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، فَإِذَا رَجَعْتَ أَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا، وَأَخْبِرُوهُمْ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةٌ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ قَالَ: وَلَا يِقَاتِلُ الْفِتْنَةَ الْبَاغِيَةَ إِلَّا الْإِمَامُ.

وَذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ اقْتَتَلتا فِي بَعْضِ مَا تَنَازَعَتَا فِيهِ، مِمَّا سَأَذَكَرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. ذَكَرَ الرَّوَايَةَ بِذَلِكَ:

24540- حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أنس، قال: قيل للنبيّ صلى الله عليه وسلم: لو أتيت عبد الله بن أبيّ، قال: فانطلق إليه وركب حماراً، وانطلق المسلمون، وهي أرض سبخة فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إليك عني، فوالله لقد أذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لنتن حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحاً منك، قال: فغضب لعبد الله بن أبيّ رجل من قومه قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنه نزلت فيهم وَإِنَّ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأْصَلِحُوا بَيْنَهُمَا.

24541- حدثني أبو حُصَيْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِثْرٌ، قَالَ: ثَنِي حَصِينٌ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ فِي قَوْلِهِ: وَإِنَّ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأْصَلِحُوا بَيْنَهُمَا قَالَ: رَجُلَانِ اقْتَتَلَا فغضب لهما قومه، ولذا قومه، فاجتمعوا حتى اضربوا بالنعال حتى كاد يكون بينهم قتال، فانزل الله هذه الآية.

حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشِيمٌ، عَنْ حَصِينٍ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، فِي قَوْلِهِ: وَإِنَّ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا قَالَ: كَانَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ بغير سلاح.

24542_ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن أبي مالك, في قوله: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا قَالَ: كَانَا حيين من أحياء الأنصار, كان بينهما تنازع بغير سلاح.

24543_ حدثنا ابن حميد, قال: أخبرنا جرير, عن منصور, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, في قوله: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا قَالَ: كان قتالهم بالنعال والعصي, فأمرهم أن يصلحوا بينهم.

24544_ قال: ثنا مهران, قال: حدثنا المبارك بن فضالة, عن الحسن وإن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا قَالَ: كانت تكون الخصومة بين الحيين, فيدعوهم إلى الحكم, فيأبون أن يجيبوا فأنزل الله: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَقَاتِلَا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ يَقُول: ادفعوهم إلى الحكم, فكان قتالهم الدفع.

24545_ قال: ثنا مهران, قال: حدثنا سفيان, عن السدي وإن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا قَالَ: كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد, تحت رجل, فكان بينها وبين زوجها شيء, فرقاها إلى عليه, فقال لهم: احفظوا, فبلغ ذلك قومها, فجاؤوا وجاء قومه, فاقتتلوا بالأيدي والنعال فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم, فجاء ليصلح بينهم, فنزل القرآن وإن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى قَالَ: تبغي: لا ترضى بصلح رسول الله صلى الله عليه وسلم, أو بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

24546_ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا قَالَ: الأوس والخزرج اقتتلوا بالعصي بينهم.

24547_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وإن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا... الآية, الآية, ذكر لنا أنها نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما, فقال أحدهما للآخر: لآخذنه عنوة لكثرة عشيرته, وأن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبي صلى الله عليه وسلم, فأبى أن يتبعه, فلم يزل الأمر حتى تدافعوا, وحتى تناول بعضهم بعضا بالأيدي والنعال, ولم يكن قتال بالسيوف, فأمر الله أن تُقاتل حتى تفيء إلى أمر الله, كتاب الله, وإلى حكم نبيه صلى الله عليه وسلم وليست كما تأولها أهل الشبهات, وأهل البدع, وأهل الفراء على الله وعلى كتابه, أنه المؤمن يحل لك قتله, فوالله لقد عظم الله حُرمة المؤمن حتى نهاك أن تظن بأخيك إلا خيرا, فقال: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ... الآية.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن, أن قوما من المسلمين كان بينهم تنازع حتى اضطربوا بالنعال والأيدي, فأنزل الله فيهم وإن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا قَالَ قتادة: كان رجلان بينهما حق, فتدارا فيه, فقال أحدهما: لآخذنه عنوة, لكثرة عشيرته وقال الآخر: بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وسلم, فتنازعا حتى كان بينهما ضرب بالنعال والأيدي.

24548_ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, قال: ثني عبد الله بن عباس, قال: قال زيد, في قول الله تعالى: وَإِنْ طَائِفَتَانِ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا، وذلك الرجلان يقتتلان من أهل الإسلام، أو النفر والنفر، أو القبيل والقبيلة فأمر الله أئمة المسلمين أن يقضوا بينهم بالحق الذي أنزله في كتابه: إما بالقصاص والقود، وإما العقل والغير، وإما العفو، فإن بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى بعد ذلك كان المسلمون مع المظلوم على الظالم، حتى يفيء إلى أمر الله، ويرضى به.

24549- حدثنا ابن البرقي، قال: حدثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا نافع بن يزيد، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: ثني ابن شهاب وغيره: يزيد في الحديث بعضهم على بعض، قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فيه عبد الله بن رواحة، وعبد الله بن أبي بن سلول: فلما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن أبي بن سلول: لقد أذانا بول حماره، وسد علينا الروح، وكان بينه وبين ابن رواحة شيء حتى خرجوا بالسلاح، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاهم، فحجز بينهم، فلذلك يقول عبد الله بن أبي:

مَتَى مَا يَكُنْ مَوْلَاكَ حَصَمَكَ جَاهِدًا تَطَلَّمَ وَيَصْرَعَكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ
قال: فأنزلت فيهم هذه الآية وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا.

وقوله: وأفسطوا يقول تعالى ذكره: وأعدلوا أيها المؤمنون في حكمكم بين من حكمتم بينهم بأن لا تتجاوزوا في أحكامكم حكم الله وحكم رسوله إن الله يحب المفسطين يقول: إن الله يحب العادلين في أحكامهم، القاضين بين خلقه بالقسط.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.

يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به إنما المؤمنون إخوة في الدين فأصلحوا بين أخويكم إذا اقتتلا بأن تحملوهما على حكم الله وحكم رسوله. ومعنى الأخوين في هذا الموضع: كل مقتتلين من أهل الإيمان، وبالتثنية قرأ ذلك قرأ الأمصار. وذكر عن ابن سيرين أنه قرأ «بين إخوانكم» بالنون على مذهب الجمع، وذلك من جهة العربية صحيح، غير أنه خلاف لما عليه قرأ الأمصار، فلا أحب القراءة بها واتقوا الله لعلكم ترحمون يقول تعالى ذكره: وخافوا الله أيها الناس بأداء فرائضه عليكم في الإصلاح بين المقتتلين من أهل الإيمان بالعدل، وفي غير ذلك من فرائضه، واجتناب معاصيه، ليرحمكم ربكم، فيصفح لكم عن سالف إجرامكم إذا أنتم أطعتموه، واتبعتم أمره ونهيه، واتبعتموه بطاعته.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ بِنَسِ الْأَسْمِ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا يهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين عسى أن يكونوا خيرا منهم يقول: المهزوء منهم خيرا من الهازئين ولا نساء من نساء مؤمنات من نساء مؤمنات، عسى المهزوء منهن أن يكن خيرا من الهازئات.

واختلف أهل التأويل في السخرية التي نهى الله عنها المؤمنين في هذه الآية، فقال بعضهم: هي سخرية الغني من الفقير، نُهي أن يُسخر من الفقير لفقره. ذكر من قال ذلك:

24550- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد لا يَسْحَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ قَالَ: لا يهزأ قوم بقوم أن يسأل رجل فقير غنيا، أو فقيرا، وإن تفضل رجل عليه بشيء فلا يستهزئ به. وقال آخرون: بل ذلك نهى من الله من ستر عليه من أهل الإيمان أن يسخر ممن كشف في الدنيا ستره منهم ذكر من قال ذلك:

24551- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: يا أيها الذين آمنوا لا يَسْحَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ قَالَ: ربما عثر على المرء عند خطبته عسى أن يكونوا خيرا منهم، وإن كان ظهر على عثرته هذه، وسترت أنت على عثرتك، لعل هذه التي ظهرت خيرا له في الآخرة عند الله، وهذه التي سترت أنت عليها شر لك، ما يدريك لعله ما يغفر لك قال: فُهي الرجل عن ذلك، فقال: لا يَسْحَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وقال في النساء مثل ذلك.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله عمّ بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السخرية، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره، ولا لذنب ركب، ولا لغير ذلك.

وقوله: وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ يقول تعالى ذكره: ولا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيهَا الْمُؤْمِنُونَ، ولا يطعن بعضكم على بعض وقال: لَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ فجعل اللامز أخاه لامزا نفسه، لأن المؤمنين كرجل واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره، وطلب صلاحه، ومحبته الخير. ولذلك روي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الْمُؤْمِنُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَايَاهُ لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ». وهذا نظير قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بِمَعْنَى: ولا يقتل بعضكم بعضا. وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24552- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ قَالَ: لا تطعنوا.

24553- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ يقول: ولا يطعن بعضكم على بعض.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله. 24554- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ يقول: لا يطعن بعضكم على بعض.

قوله: وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ يقول: ولا تداعوا بالألقاب والنبز واللقب بمعنى واحد، يُجمع النبز: أنبازا، واللقب: ألقابا.

واختلف أهل التأويل في الألقاب التي نهى الله عن التنابز بها في هذه الآية، فقال بعضهم: عنى بها الألقاب التي يكره النبز بها الملقب، وقالوا: إنما

نزلت هذه الآية في قوم كانت لهم أسماء في الجاهلية، فلما أسلموا نهوا أن يدعوا بعضهم بعضاً بما يكره من أسمائه التي كان يدعى بها في الجاهلية. ذكر من قال ذلك:

24555_ حدثنا حميد بن مسعدة، قال: حدثنا بشر بن المفضل، قال: حدثنا داود، عن عامر، قال: قال أبو جبيرة بن الضحاك: فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة، قديم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعا الرجل بالإسم، قلنا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فنزلت هذه الآية وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ... الآية كلها.

حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: حدثنا داود، عن عامر، عن أبي جبيرة بن الضحاك، قال: كان أهل الجاهلية يسمون الرجل بالأسماء، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً باسم من تلك الأسماء، فقالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فأنزل الله وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْقُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا داود، عن عامر، قال: ثنا أبو جبيرة بن الضحاك، فذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم، نحوه.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عُليّة، قال: أخبرنا داود عن الشعبي، قال: ثنا أبو جبيرة بن الضحاك، قال: نزلت في بني سلمة وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ قَالَ: قديم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان يدعو الرجل، فتقول أمه: إنه يغضب من هذا، قال: فنزلت وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ. وقال مرة: كان إذا دعا باسم من هذا، قيل: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فنزلت الآية.

وقال آخرون: بل ذلك قول الرجل المسلم للرجل المسلم: يا فاسق، يا زاني. ذكر من قال ذلك:

24556_ حدثنا هناد بن السري، قال: حدثنا أبو الأحوص، عن حصين، قال: سألت عكرمة، عن قول الله وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ قال: هو قول الرجل للرجل: يا منافق، يا كافر.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عكرمة، في قوله وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ قال: هو قول الرجل للرجل: يا فاسق، يا منافق.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن حصين، عن عكرمة وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ قال: يا فاسق، يا كافر.

24557_ قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد أو عكرمة وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ قال: يقول الرجل للرجل: يا فاسق، يا كافر.

24558_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ قال: دُعي رجل بالكفر وهو مسلم.

24559_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ يقول للرجل: لا تقل لأخيك المسلم: ذاك فاسق، ذاك منافق، نهى الله المسلم عن ذلك وقدم فيه.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة ولا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ يَقُولُ: لَا يَقُولَنَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: يَا فَاسِقُ, يَا مَنَافِقُ.
24560_ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ قَالَ: تَسْمِيَتُهُ بِالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ زَانَ فَاسِقًا.

وقال آخرون: بل ذلك تسمية الرجل الرجل بالكفر بعد الإسلام, وبالفسوق والأعمال القبيحة بعد التوبة ذكر من قال ذلك:

24561_ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ يَنْسَى الْإِسْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ... الآية, قال: التنايز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها, وراجع الحق, فنهى الله أن يُعَيَّرَ بما سلف من عمله.

24562_ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: قال الحسن: كان اليهودي والنصراني يسلم, فيلقب, فيقال له: يا يهودي, يا نصراني, فنهوا عن ذلك.

والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين أن يتنايزوا بالألقاب والتنايز بالألقاب: هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة, وعمّ الله بنهيه ذلك, ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض, فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه, أو صفة يكرهها. وإذا كان ذلك كذلك صحّت الأقوال التي قالها أهل التأويل في ذلك التي ذكرناها كلها, ولم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض, لأن كل ذلك مما نهى الله المسلمين أن ينبز بعضهم بعضا.

وقوله: يَنْسَى الْإِسْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ يَقُولُ تعالى ذكره: ومن فعل ما نهينا عنه, وتقدّم على معصيتنا بعد إيمانه, فسخر من المؤمنين, ولمز أخاه المؤمن, ونبزه بالألقاب, فهو فاسق يَنْسَى الْإِسْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ يَقُولُ: فلا تفعلوا فتستحقوا إن فعلتموه أن تسموا فساقا, يَنْسَى الْإِسْمَ الْفُسُوقُ, وترك ذكر ما وصفنا من الكلام, اكتفاء بدلالة قوله: يَنْسَى الْإِسْمَ الْفُسُوقُ عَلَيْهِ.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

24563_ حدثنا به يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, وقرأ يَنْسَى الْإِسْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ قَالَ: يَنْسَى الْإِسْمَ الْفُسُوقُ حين تسميه بالفسق بعد الإسلام, وهو على الإسلام. قال: وأهل هذا الرأي هم المعتزلة, قالوا: لا نكفره كما كفره أهل الأهواء, ولا نقول له مؤمن, كما قالت الجماعة, ولكننا نسميه باسمه إن كان سارقا فهو سارق, وإن كان خائنا سموه خائنا وإن كان زانيا سموه زانيا قال: فاعتزلوا الفريقين أهل الأهواء وأهل الجماعة, فلا بقول هؤلاء قالوا, ولا بقول هؤلاء, فسموا بذلك المعتزلة.

فوجه ابن زيد تأويل قوله: يَنْسَى الْإِسْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ إِلَى من دعي فاسقا, وهو تائب من فسقه, فبئس الاسم ذلك له من أسمائه.. وغير ذلك من التأويل أولى بالكلام, وذلك أن الله تقدّم بالنهي عما تقدّم بالنهي عنه في أول هذه الآية, فالذي هو أولى أن يختتمها بالوعيد لمن تقدّم على بغيه, أو بقيح ركوبه ما ركب مما نهى عنه, لا أن يخبر عن فُجِح ما كان التائب أتاه

قبل توبته، إذ كانت الآية لم تفتح بالخبر عن ركوبه ما كان ركب قبل التوبة من القبيح، فيختم آخرها بالوعيد عليه أو بالقبيح.
وقوله: وَمَنْ لَمْ يَنْبُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يقول تعالى ذكره: ومن لم يتب من نزه أخاه بما نهى الله عن نزهه به من الألقاب، أو لمزه إياه، أو سخرته منه، فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم، فأكسبوها عقاب الله بركوبهم ما نهاهم عنه.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

24564_ حدثني هونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله وَمَنْ لَمْ يَنْبُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قال: ومن لم يتب من ذلك الفسوق فأولئك هم الظالمون.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَتُحِبُّونَ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا تقربوا كثيرا من الظنِّ بالمؤمنين، وذلك أن تظنوا سوءا، فإن الظانَّ غير محقِّ، وقال جل ثناؤه: اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ولم يقل: الظنُّ كله، إذ كان قد أذن للمؤمنين أن يظنَّ بعضهم ببعض الخير، فقال: لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ فأذن الله جل ثناؤه للمؤمنين أن يظنَّ بعضهم ببعض الخير وأن يقولوه، وإن لم يكونوا من قبله فيهم على يقين. وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24565_ حدثني عليٌّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس، قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ يقول: نهى الله المؤمن أن يظنَّ بالمؤمن شرًّا.

وقوله: إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ يقول: إن ظنَّ المؤمن بالمؤمن الشرَّ لا الخير إثم، لأن الله قد نهاه عنه، ففعل ما نهى الله عنه إثم.

وقوله: وَلَا تَجَسَّسُوا يقول: ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، بيتغي بذلك الظهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدوا أو ذموا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24566_ حدثني عليٌّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس، قوله: وَلَا تَجَسَّسُوا يقول: نهى الله المؤمن أن يتتبع عورات المؤمن.

24567_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: وَلَا تَجَسَّسُوا قال: خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله.

24568_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا هل تدرون ما التجسس أو التجسس؟ هو أن تتبع، أو تتبغى عيب أخيك لتطلع على سره.

24569- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان ولا تَجَسَّسُوا
قال: البحث.

24570- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في
قوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا
تَجَسَّسُوا قال: حتى أنظر في ذلك وأسأل عنه، حتى أعرف حقَّ هو، أم
باطل؟ قال: فسماه الله تجسسًا، قال: يتجسس كما يتجسس الكلاب،
وقرأ قول الله: وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا وقوله: ولا يغترب
بعضكم بعضًا يقول: ولا يقل بعضكم في بعض بظهر الغيب ما يكره المقول
فيه ذلك أن يقال له في وجهه. وينحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك، والأثر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم:

24571- حدثني يزيد بن مخلد الواسطي، قال: حدثنا خالد بن عبد الله
الطحان، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه،
عن أبي هريرة، قال: سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة،
فقال: «هُوَ أَنْ تَقُولَ لِأَخِيكَ مَا فِيهِ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَقَدْ اعْتَبْتَهُ، وَإِنْ كُنْتَ
كَاذِبًا فَقَدْ بَهْتَهُ».

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: حدثنا بشر بن المفضل، قال: حدثنا
عبد الرحمن بن إسحاق، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي
هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بنحوه.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، قال:
سمعت العلاء يحدث، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» قال: قالوا الله ورسوله أعلم قال:
«ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ»، قال: رأيت إن كان في أخي ما أقول له قال:
«إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اعْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ».

24572- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا سعيد بن الربيع، قال: حدثنا شعبة،
عن العباس، عن رجل سمع ابن عمر يقول: إذا ذكرت الرجل بما فيه، فقد
اغتبه، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته. وقال شعبة مرّة أخرى: وإذا ذكرته
بما ليس فيه، فهي فيزيه قال أبو موسى: هو عباس الجريزي.

24573- حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن
سليمان، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق قال: إذا ذكرت الرجل بأسوأ ما
فيه فقد اغتبه، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن
الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: إذا قلت في الرجل أسوأ ما
فيه فقد اغتبه، وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهته.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عمر بن عبيد، عن الأعمش، عن أبي الضحى،
عن مسروق، قال الغيبة: أن يقول للرجل أسوأ ما يعلم فيه، والبهتان: أن
يقول ما ليس فيه.

24574- حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني
معاوية بن صالح، عن كثير بن الحارث، عن القاسم، مولى معاوية، قال:
سمعت ابن أمّ عبد يقول: ما التقم أحد لقمة أشرّ من اغتياب المؤمن، إن
قال فيه ما يعلم فقد اغتابه، وإن قال فيه ما لا يعلم فقد بهته.

حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن مسلم, عن مسروق, قال: إذا ذكرت الرجل بما فيه فقد اغتبتة, وإذا ذكرته بما ليس فيه فذلك البهتان.

24575- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت يونس, عن الحسن أنه قال في الغيبة: أن تذكر من أخيك ما تعلم فيه من مساوئ أعماله, فإذا ذكرته بما ليس فيه فذلك البهتان.

24576- حدثنا ابن أبي الشوارب, قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد, قال: حدثنا سليمان الشيباني, قال: حدثنا حسان بن المخارق أن امرأة دخلت على عائشة فلما قامت لتخرج أشارت عائشة بيدها إلى النبي صلى الله عليه وسلم, أي أنها قصيرة, فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اغْتَبْتِيهَا».

24577- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, قال: لو مرّ بك أقطع, فقلت: ذاك الأقطع, كانت منك غيبة قال: وسمعت معاوية بن قرة يقول ذلك.

24578- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: سمعت معاوية بن قرة يقول: لو مرّ بك رجل أقطع, فقلت له: إنه أقطع كنت قد اغتبتة, قال: فذكرت ذلك لأبي إسحاق الهمداني فقال: صدق.

24579- حدثني جابر بن الكردبي, قال: حدثنا ابن أبي أويس, قال: ثني أخي أبو بكر, عن حماد بن أبي حميد, عن موسى بن وردان, عن أبي هريرة أن رجلاً قام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأرأوا في قيامه عجزاً, فقالوا: يا رسول الله ما أعجز فلانا, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَكَلْتُمْ أَخَاكُمْ وَأَغْتَبْتُمُوهُ».

24580- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا حبان بن علي العنزي عن مثنى بن صباح, عن عمرو بن شعيب, عن معاذ بن جبل, قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, فذكر القوم رجلاً, فقالوا: ما يأكل إلا ما أطعم, وما يرحل إلا ما رحل له, وما أضعفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اغْتَبْتُمْ أَخَاكُمْ», فقالوا يا رسول الله وغيبتة أن نحدّث بما فيه؟ قال: «بَحْسِيكُمْ أَنْ تُحَدِّثُوا عَنْ أَخِيكُمْ مَا فِيهِ».

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا خالد بن محمد, عن محمد بن جعفر, عن العلاء, عن أبيه, عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا ذَكَرْتَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ فَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ, وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ».

24581- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كنا نحدّث أن الغيبة أن تذكر أخاك بما يشينه, وتعيبه بما فيه, وإن كذبت عليه فذلك البهتان.

وقوله أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ يقول تعالى ذكره للمؤمنين أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ مَيْتًا, فَإِنْ لَمْ تَحِبُّوا ذَلِكَ وَكَرِهْتُمُوهُ, لِأَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ, فَكَذَلِكَ لَا تَحِبُّوا أَنْ تَغَابُوهُ فِي حَيَاتِهِ, فَابْكُرُوهُ غَيْبَتَهُ حَيًّا, كَمَا كَرِهْتُمْ لَحْمَهُ مَيْتًا, فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ غَيْبَتَهُ حَيًّا, كَمَا حَرَّمَ أَكْلَ لَحْمِهِ مَيْتًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24582_ حدثني عليٌّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس، قوله: وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا قال: حرّم الله على المؤمن أن يغتاب المؤمن بشيء، كما حرّم الميئة.

24583_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا قالوا: نكره ذلك، قال: فكذلك فاتقوا الله.

24584_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ يقول: كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدوّدة أن تأكل منها، فكذلك فاكره غيبته وهو حيٌّ. وقوله: وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ يقول تعالى ذكره: فاتقوا الله أيها الناس، فخافوا عقوبته بانتهاكم عما نهاكم عنه من ظنّ أحدكم بأخيه المؤمن ظنّ السوء، وتتبع عوراته، والتجسس عما ستر عنه من أمره، واغتيابه بما يكرهه، تريدون به شينه وعيبه، وغير ذلك من الأمور التي نهاكم عنها ربكم إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ يقول: إن الله راجع لعبده إلى ما يحبه إذا رجع العبد لربه إلى ما يحبه منه، رحيم به بأن يعاقبه على ذنب أذنبه بعد توبته منه.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فقرأته عامة قرّاء المدينة بالثقل «مَيْتًا»، وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة مَيْتًا بالتخفيف، وهما قراءتان عندنا معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيهما قرأ القارىء فمصيب.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس إنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال، وماء أنثى من النساء ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24585_ حدثنا أبو هشام، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قال: خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة، وقد قال تبارك وتعالى يا أيها الناس إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ.

حدثنا ابن حمّيد، قال: حدثنا مهرا، قال: حدثنا عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قوله: إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ قال: ما خلق الله الولد إلا من نطفة الرجل والمرأة جميعا، لأن الله يقول خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ.

وقوله: وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا يقول: وجعلناكم متناسبين، فبعضكم يناسب بعضا نسبا بعيدا، وبعضكم يناسب بعضا نسبا قريبا فالمناسب النسب البعيد من لم ينسبه أهل الشعوب، وذلك إذا قيل للرجل من العرب: من أيّ شعب أنت؟ قال: أنا من مضر، أو من ربيعة. وأما أهل المناسبة القريبة أهل القبائل، وهم كتميم من مضر، وبكر من ربيعة، وأقرب القبائل الأفخاذ وهما كشييان من بكر ودارم من تميم، ونحو ذلك، ومن الشّعْب قول ابن أحمَر الباهلي:

مِنْ شَعْبِ هَمْدَانَ أَوْ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ أَوْ حَوْلَانَ أَوْ مَدَجِّجِ هَاجُوا لَهُ طَرَبَا

وينحو الذي قلنا في معنى قوله: وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.
ذكر من قال ذلك:

24586- حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: حدثنا بكر بن عياش، قال: حدثنا أبو
حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ قَالَ:
الشعوب: الْجُمَاعُ، والقبائل: البطون.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن
سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ قَالَ:
الشعوب: الْجُمَاعُ. قال خلاد، قال أبو بكر: القبائل العظام، مثل بني تميم،
والقبائل: الأفخاذ.

24587- حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: حدثنا ابن عطية، قال: حدثنا إسرائيل، عن
أبي حصين، عن سعيد بن جبير وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ قَالَ: الشعوب:
الجمهور، والقبائل: الأفخاذ.

24588- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى
وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي
نجيح، عن مجاهد، قوله: شُعُوبًا قَالَ: النسب البعيد. وَقَبَائِلَ دُونَ ذَلِكَ.

24589- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ قَالَ: الشعوب: النسب البعيد، والقبائل كقوله:
فلان من بني فلان، وفلان من بني فلان.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا قَالَ: هو النسب البعيد. قال: والقبائل: كما تسمعه يقال:
فلان من بني فلان.

24590- حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرْنَا عَيْدٍ،
قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا قَالَ: أَمَا الشُّعُوبُ:
فَالنَّسَبُ الْبَعِيدُ.

وقال بعضهم: الشعوب: الأفخاذ. ذكر من قال ذلك:

24591- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن
أبي حصين، عن سعيد بن جبير وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ قَالَ: الشعوب:
الأفخاذ، والقبائل: القبائل.

وقال آخرون: الشعوب: البطون، والقبائل: الأفخاذ. ذكر من قال ذلك:
24592- حدثني يحيى بن طلحة، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي
حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ قَالَ:
الشعوب: البطون، والقبائل: الأفخاذ الكبار.

وقال آخرون: الشعوب: الأنساب. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن
أبيه، عن ابن عباس: وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ قَالَ: الشعوب: الأنساب.

وقوله: لَتَعَارَفُوا يَقُولُ: ليعرف بعضكم بعضاً في النسب، يقول تعالى
ذكره: إِنَّمَا جَعَلْنَا هَذِهِ الشُّعُوبَ وَالْقَبَائِلَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، ليعرف بعضكم
بعضاً في قرب القرابة منه وبعده، لا لفضيلة لكم في ذلك، وقربة تقرِّبكم
إلَى اللَّهِ، بل أكرمكم عند الله أتقاكم. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل
التأويل. ذكر من قال ذلك:

24593- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى
وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي

نجيح, عن مجاهد وَقَبَائِلَ لَتَعَارَفُوا قَالَ: جعلنا هذا لتعارفوا, فلان بن فلان من كذا وكذا.

وقوله: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ يقول تعالى ذكره: إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم, أشدكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه, لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة.

24594- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني ابن لهيعة, عن الحارث بن يزيد, عن علي بن رباح, عن عقبة بن عامر, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «النَّاسُ لَادَمَ وَحَوَاءَ كَطَفِّ الصَّاعِ لِمَ يَمْلَأُوهُ, إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْأَلُكُمْ عَنْ أَحْسَائِكُمْ وَلَا عَنْ أَنْسَائِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ, إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ».

24595- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني ابن لهيعة, عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح, عن عقبة بن عامر, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَنْسَائِكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِمَسَابِّ عَلِيٍّ أَحَدٍ, وَإِنَّمَا أَنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ طَفَّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَأُوهُ, لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلِيٍّ أَحَدٌ فَضْلٌ إِلَّا يَدَيْنِ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ حَسَبُ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشًا بَدِيًّا بَخِيلًا جَبَانًا».

24596- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عليه, عن ابن جريج, قال: سمعت عطاء يقول: قال ابن عباس: ثلاث آيات جدهنَّ الناس: الإذن كله, وقال: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ وقال الناس أكرمكم: أعظمكم بيتا وقال عطاء: نسيت الثالثة.

وقوله: إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الناس ذو علم بأتقاكم عند الله وأكرمكم عنده, ذو خبرة بكم وبمصالحكم, وغير ذلك من أموركم, لا تخفى عليه خافية.

الآية : 14

الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لِمَ تُؤْمِنُونَ وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَنفِكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: قالت الأعراب: صدقنا بالله ورسوله, فنحن مؤمنون, قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهم لم تؤمنوا ولسنتم مؤمنين ولكن قولوا أسلمنا. وذكر أن هذه الآية نزلت في أعراب من بني أسد. ذكر من قال ذلك:

24597- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحديثي الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قَالَ: أعراب بني أسد بن خزيمة.

واختلفت أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء الأعراب: قولوا أسلمنا, ولا تقولوا آمنا, فقال بعضهم: إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك, لأن القوم كانوا صدقوا بألسنتهم, ولم يصدقوا قولهم بفعلهم, فقيل لهم: قولوا أسلمنا, لأن الإسلام قول, والإيمان قول وعمل ذكر من قال ذلك:

24598- حدثنا ابن عبيد الأعلی, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهري قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا قال: إن الإسلام: الكلمة, والإيمان: العمل.

24599_ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، وأخبرني الزهري، عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: أعطى النبي صلى الله عليه وسلم رجالاً، ولم يعط رجلاً منهم شيئاً، فقال سعد: يا رسول الله أعطيت فلانا وفلانا، ولم تُعط فلانا شيئاً، وهو مؤمن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَوْ مُسْلِمٌ؟» حتى أعادها سعد ثلاثاً، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أَوْ مُسْلِمٌ»، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم «إِنِّي أُعْطِي رَجَالًا وَأَدْعُ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ، لَا أُعْطِيهِ شَيْئًا مَخَافَةَ أَنْ يُكَبِّوا فِي النَّارِ عَلَيَّ وَجُوهَهُمْ».

24600_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا قَالَ: لم يصدقوا إيمانهم بأعمالهم، فردَّ الله ذلك عليهم قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا، وأخبرهم أن المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون، صدَّقوا إيمانهم بأعمالهم فمن قال منهم: أنا مؤمن فقد صدق قال: وأما من انتحل الإيمان بالكلام ولم يعمل فقد كذب، وليس بصادق.

24601_ حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن مُغيرة، عن إبراهيم وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا قال: هو الإسلام.

وقال آخرون: إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقليل ذلك لهم، لأنهم أرادوا أن يتسموا بأسماء المهاجرين قبل أن يهاجروا، فأعلمهم الله أن لهم أسماء الأعراب، لا أسماء المهاجرين. ذكر من قال ذلك:

24602_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا... الآية، وذلك أنهم أرادوا أن يتسموا باسم الهجرة، ولا يتسموا بأسمائهم التي سماهم الله، وكان ذلك في أول الهجرة قبل أن تنزل المواريث لهم.

وقال آخرون: قيل لهم ذلك لأنهم منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهم لم تؤمنوا، ولكن استسلمتم خوف السباء والقتل. ذكر من قال ذلك:

24603_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَعَمْرِي مَا عَمَتِ هَذِهِ الْآيَةُ الْأَعْرَابَ، إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، ولكن إنما أنزلت في حيٍّ من أحياء الأعراب امتنوا بإسلامهم على نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أسلمنا، ولم نقاتلك، كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، فقال الله: لا تقولوا آمنا، ولكن قولوا أسلمنا حتى بلغ في قلوبكم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا قال: لم تعم هذه الآية الأعراب، إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويتخذ ما ينفق قربات عند الله، ولكنها في طوائف من الأعراب.

24604_ حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن رباح، عن أبي معروف، عن سعيد بن جبير، قال: استسلمنا لخوف السباء والقتل.

24605_ حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن رجل، عن مجاهد قُولُوا أَسْلَمْنَا قال: استسلمنا.

24606- حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وقرأ قول الله قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا استسلمنا: دخلنا في السلم، وتركنا المحاربة والقتال بقولهم: لا إله إلا الله، وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَمِزْتُ أَنْ أَقَاتَلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن الزهري وهو أن الله تقدّم إلى هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في الملة إقراراً منهم بالقول، ولم يحققوا قولهم بعملهم أن يقولوا بالإطلاق أمانة دون تقييد قولهم بذلك بأن يقولوا أمانة بالله ورسوله، ولكن أمرهم أن يقولوا القول الذي لا يشكل على سامعيه والذي قائله فيه محقّ، وهو أن يقولوا أسلمنا، بمعنى: دخلنا في الملة والأموال، والشهادة الحقّ.

قوله: وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ يقول تعالى ذكره: ولما يدخل العلم بشرائع الإيمان، وحقائق معانيه في قلوبكم.

وقوله: وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً يقول تعالى ذكره: لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء الأعراب القائلين أمانة ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، إن تطيعوا الله ورسوله أيها القوم، فتأتمروا لأمره وأمر رسوله، وتعملوا بما فرض عليكم، وتنتهوا عما نهاكم عنه، لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً يقول: لا يظلمكم من أجور أعمالكم شيئاً ولا ينقصكم من ثوابها شيئاً. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24607- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: لَا يَلِتْكُمْ لَا يَنْقُصُكُمْ.

24608- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً يقول: لن يظلمكم من أعمالكم شيئاً.

24609- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ: إن تصدقوا إيمانكم بأعمالكم يقبل ذلك منكم. وقرأت قرآء الأمصار لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ بِغَيْرِ هَمْزٍ وَلَا أَلْفٍ، سوى أبي عمرو، فإنه قرأ ذلك «لَا يَالِتْكُمْ» بألف اعتباراً منه في ذلك بقوله: وَمَا أَلْتَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَنْ قَالَ: أَلْت، قَالَ: يَأَلْت. وأما الآخرون فإنهم جعلوا ذلك من لات يليت، كما قال رُوْبَةُ بن العجاج:

وَلَيْلَةَ دَاتِ نَدَى سَرَيْتُوْلَمْ يَلْتِنِي عَنْ سُرَاهَا لَيْتُ

والصواب من القراءة عندنا في ذلك، ما عليه قرآء المدينة والكوفة لَا يَلِتْكُمْ بِغَيْرِ أَلْفٍ وَلَا هَمْزٍ، على لغة من قال: لات يليت، لعلتين: إحداهما: إجماع الحجة من القرآء عليها. والثانية أنها في المصحف بغير ألف، ولا تسقط الهمزة في مثل هذا الموضع، لأنها ساكنة، والهمزة إذا سكنت ثبتت، كما يقال: تأمرون وتأكلون، وإنما تسقط إذا سكن ما قبلها، ولا يحمل حرف في القرآن إذا أتى بلغة على آخر جاء بلغة خلافها إذا كانت اللغتان معروفتين في كلام العرب. وقد ذكرنا أن ألت ولات لغتان معروفتان من كلامهم.

وقوله: إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ يقول تعالى ذكره: إن الله ذو عفوٍ أيها الأعراب لمن أطاعه، وتاب إليه من سالف ذنوبه، فأطيعوه، وانتهوا إلى أمره ونهيه،

يغفر لكم ذنوبكم, رحيم بخلقه التائبين إليه أن يعاقبهم بعد توبتهم من ذنوبهم على ما تابوا منه, فتوبوا إليه يرحمكم. كما:
24610- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إن الله عَفُورٌ رَحِيمٌ غفور للذنوب الكثيرة أو الكبيرة, شكَّ يزيد, رحيم بعباده.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}.

يقول تعالى ذكره للأعراب الذين قالوا آمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم: إنما المؤمنون أيها القوم الذين صدقوا الله ورسوله, ثم لم يرتابوا, يقول: ثم لم يشكوا في وحدانية الله, ولا في نبوة نبيه صلى الله عليه وسلم, وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله, والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شك منه في وجوب ذلك عليه وجهادوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله يقول: جاهدوا المشركين بإنفاق أموالهم, وبذل مهجهم في جهادهم, على ما أمرهم الله به من جهادهم, وذلك سبيله لتكون كلمة الله العليا, وكلمة الذين كفروا السفلى.

وقوله: أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ يقول: هؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الصادقون في قولهم: إنا مؤمنون, لا من دخل في الملة خوف السيف ليحقن دمه وماله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24611- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ قال: صدقوا إيمانهم بأعمالهم.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء الأعراب القائلين آمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم: أتعلّمون الله أيها القوم بدينكم, يعني بطاعتكم ربكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض يقول: والله الذي تعلمونه أنكم مؤمنون, غلام جميع ما في السموات السبع والأرضين السبع, لا يخفى عليه منه شيء, فكيف تعلمونه بدينكم, والذي أنتم عليه من الإيمان, وهو لا يخفى عليه خافية, في سماء ولا أرض, فيخفى عليه ما أنتم عليه من الدين والله بكلّ شيءٍ عليمٌ يقول: والله بكلّ ما كان, وما هو كائن, وبما يكون ذو علم. وإنما هذا تقدّم من الله إلى هؤلاء الأعراب بالنهي, عن أن يكذبوا ويقولوا غير الذي هم عليه في دينهم. يقول: الله محيط بكلّ شيء عالم به, فاحذروا أن تقولوا خلاف ما يعلم من ضمائر صدوركم, فينالكم عقوبته, فإنه لا يخفى عليه شيء.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {يَمُتُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُتُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يمينٌ عليك هؤلاء الأعراب يا محمد أن أسلموا قُلْ لَا تَمُتُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ يقول: بل الله يمين عليكم أيها القوم أن وفقكم للإيمان به

وبرسوله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يقول: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قَوْلِكُمْ آمَنَّا، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي مَنَّ عَلَيْكُمْ بِأَنْ هَدَاكُمْ لَهُ، فَلَا تَمْنُوا عَلَيَّ بِإِسْلَامِكُمْ.

وَذَكَرَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، آمَنُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: آمَنَّا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، وَلَمْ نَقَاتِلْكَ كَمَا قَاتَلْتَ غَيْرَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَاتِ: ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24612_ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبيرة في هذه الآية يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا أَهْمَ بَنُو أَسَدٍ؟ قَالَ: قَدْ قِيلَ ذَلِكَ.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا سهل بن يوسف، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، قال: قلت لسعيد بن جبيرة يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا أَهْمَ بَنُو أَسَدٍ؟ قَالَ: يَزْعَمُونَ ذَلِكَ.

24613_ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن حبيب بن أبي عمرة، قال: كان بشر بن غالب وليد بن عطار، أو بشر بن عطار، وليد بن غالب عند الحجاج جالسين، فقال بشر بن غالب للبيد بن عطار: نزلت في قومك بني تميم إِنْ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ فَذَكَرْتَ ذَلِكَ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَوْ عَلِمَ بِأَخْرِ الْآيَةِ أَجَابَهُ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَالُوا أَسْلَمْنَا وَلَمْ نَقَاتِلْكَ بَنُو أَسَدٍ.

24614_ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة لا تَمُنُّوا أَنَا أَسْلَمْنَا بِغَيْرِ قِتَالٍ لَمْ نَقَاتِلْكَ كَمَا قَاتَلْتَ بَنُو فُلَانٍ وَبَنُو فُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ لَهُمْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ.

24615_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ قَالَ: فَهَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي الْأَعْرَابِ.

الآية : 18

الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

يقول تعالى ذكره: إِنْ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَعْرَابِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ الصَّادِقُ مِنْكُمْ مِنَ الْكَاذِبِ، وَمَنْ الدَّخِلُ مِنْكُمْ فِي مِلَّةِ الْإِسْلَامِ رَغْبَةً فِيهِ، وَمَنْ الدَّخِلُ فِيهِ رَهْبَةً مِنْ رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَنْدِهِ، فَلَا تَعْلَمُونَا دِينَكُمْ وَضَمَائِرَ صُدُورِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَكْنَهُ ضَمَائِرَ صُدُورِكُمْ، وَتَحَدِّثُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ، وَيَعْلَمُ مَا غَابَ عَنْكُمْ، فَاسْتَسِرُّ فِي خُبَايَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ يَقُولُ: وَاللَّهُ ذُو بَصَرٍ بِأَعْمَالِكُمُ الَّتِي تَعْمَلُونَهَا، أَجْهَرًا تَعْمَلُونَ أَمْ سِرًّا، طَاعَةً تَعْمَلُونَ أَوْ مَعْصِيَةً؟ وَهُوَ مَجَازِيكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ وَكُفُؤُهُ.

وَإِنْ فِي قَوْلِهِ: يَمُنُّوا عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ بِوَقُوعِ يَمْنُونَ عَلَيْهَا، وَذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ إِسْلَامَهُمْ»، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَا، وَلَوْ قِيلَ: هِيَ نَصَبٌ بِمَعْنَى: يَمْنُونَ عَلَيْكَ لِأَنَّ أَسْلَمُوا، لَكَانَ وَجْهًا يَتَّجِهُ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ: هِيَ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ. بِمَعْنَى: لِأَنَّ أَسْلَمُوا.

وَأَمَّا أَنْ تَتَى فِي قَوْلِهِ: بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ فَإِنَّهَا فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ بِسُقُوطِ الصَّلَةِ لِأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ بِأَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ.

سورة ق

سورة ق مكية
وآياتها خمس وأربعون

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآية : 1-2

القول في تأويل قوله تعالى: { ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ }.

اختلف أهل التأويل في قوله: ق, فقال بعضهم: هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم به ذكر من قال ذلك:

24616- حدثني علي بن داود, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس في قوله: ق ون وأشباه هذا, فإنه قسم أقسمه الله, وهو اسم من أسماء الله.

وقال آخرون: هو اسم من أسماء القرآن. ذكر من قال ذلك:

24617- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله ق قال: اسم من أسماء القرآن.

وقال آخرون: ق اسم الجبل المحيط بالأرض, وقد تقدّم بياننا في تأويل حروف المعجم التي في أوائل سور القرآن بما فيه الكفاية عن إعادته في هذا الموضوع.

وقوله: وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ يقول: والقرآن الكريم. كما:

24618- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن أشعث بن إسحاق, عن جعفر بن أبي المغيرة, عن سعيد بن جبير ق والقرآن المجيد قال: الكريم.

واختلف أهل العربية في موضع جواب هذا القسم, فقال بعض نحويي البصرة ق والقرآن المجيد قسم على قوله: قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وقال بعض نحويي أهل الكوفة: فيها المعنى الذي أقسم به, وقال: ذكر أنها قضى والله, وقال: يقال: إن قاف جبل محيط بالأرض, فإن يكن كذلك فكأنه في موضع رفع: أي هو قاف والله قال: وكان ينبغي لرفعه أن يظهر لأنه اسم وليس بهجاء قال: ولعلّ القاف وحدها ذكرت من اسمه, كما قال الشناعر:

(قُلْتُ لَهَا قِفِي لَنَا قَالَتْ قَافُ)

دُكِرَتِ الْقَافُ إِرَادَةَ الْقَافِ مِنَ الْوَقْفِ: أَي إِنِّي وَاقِفَةٌ.

وهذا القول الثاني عندنا أولى القولين بالصواب, لأنه لا يعرف في أجوبة الإيمان قد, وإنما تجاب الإيمان إذا أُجِيبَتْ بِأَحَدِ الْحُرُوفِ الْأَرْبَعَةِ: اللام, وإن, وما, ولا, أو بترك جوابها فيكون ساقطاً.

وقوله: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ يقول تعالى ذكره لنيبه محمد صلى الله عليه وسلم ما كذّبتك يا محمد مشركو قومك أن لا يكونوا عالمين بأنك صادق محق, ولكنهم كذبوا تعجباً من أن جاءهم منذر ينذرهم عقاب الله منهم, يعني بشرا منهم من بني آدم, ولم يأتهم ملك برسالة من عند الله وقوله: فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ يقول تعالى ذكره: فقال المكذبون

بالله ورسوله من قريش إذ جاءهم منذر منهم هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ: أي مجيء رجل منا من بني آدم برسالة الله إلينا، هَلَّا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ تَذِيرًا.

الآية : 3-4

القول في تأويل قوله تعالى: {أَيُّدًا مِّنَّا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ * قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضَ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ }.

يقول القائل: لم يجر للبعث ذكر، فيخبر عن هؤلاء القوم بكفرهم ما دعوا إليه من ذلك، فما وجه الخبر عنهم بإنكارهم ما لم يدعوا إليه، وجوابهم عما لم يُسألوا عنه. قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك، فنذكر ما قالوا في ذلك، ثم نتبعه البيان إن شاء الله تعالى، فقال في ذلك بعض نحويي البصرة قال: أئدًا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ، لم يذكر أنه راجع، وذلك والله أعلم لأنه كان على جواب، كأنه قيل لهم: إنكم ترجعون، فقالوا: أئدًا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ وقال بعض نحويي الكوفة قوله: أئدًا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا كلام لم يظهر قبله، ما يكون هذا جوابا له، ولكن معناه مضمرة، إنما كان والله أعلم: ق والقرآن المجيد لَتُبْعَثُنَّ بعد الموت، فقالوا: أئدًا كنا ترابا بُعِثْنَا؟ جحدوا البعث، ثم قالوا: ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ جحدوه أصلاً، قوله: بَعِيدٌ كما تقول للرجل يخطيء في المسألة، لقد ذهبت مذهبا بعيدا من الصواب: أي أخطأت. والصواب من القول في ذلك عندنا، أن في هذا الكلام متروكا استغني بدلالة ما ذكر عليه من ذكره، وذلك أن الله دل بخبره عن تكذيب هؤلاء المشركين الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عن تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ عَلَى وَعِيدِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكانه قال لهم: إذ قالوا منكروين رسالة الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ستعلمون أيها القوم إذا أنتم بُعِثْتُمْ يوم القيامة ما يكون حالكم في تكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم، وإنكاركم نبوته، فقالوا مجيبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أئدًا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا نعلم ذلك، ونرى ما تعدنا على تكذيبك ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ: أي أن ذلك غير كائن، ولسنا راجعين أحياء بعد مماتنا، فاستغني بدلالة قوله: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فقال الكافرون هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ من ذكر ما ذكرت من الخبر عن وعيدهم. وفيما:

24619_ حُدِثَتْ عَنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: حَدَّثَنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ قِي قَوْلَهُ: أئدًا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ قالوا: كيف يحيينا الله، وقد صرنا عظاما ورفاتا، وضللنا في الأرض، دلالة على صحة ما قلنا من أنهم أنكروا البعث إذا توعدوا به.

وقوله: قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما تأكل الأرض من أجسامهم بعد مماتهم، وعندنا كتاب بما تأكل الأرض وتفني من أجسامهم، ولهم كتاب مكتوب مع علمنا بذلك، حافظ لذلك كله، وسماه الله تعالى حفيظا، لأنه لا يدرس ما كتب فيه، ولا يتغير ولا يتبدل. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24620_ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثَنِي أَبِي، قَالَ: ثَنِي عَمِي، قَالَ: ثَنِي أَبِي، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ يَقُولُ: ما تأكل الأرض من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم.

24621_ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى
وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي
نجيح, عن مجاهد, قوله: ما تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ قال: من عظامهم.

24622_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في
قوله: قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ يقول: ما تأكل الأرض منهم.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة قَدْ عَلِمْنَا
مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ قال: يعني الموت, يقول: من يموت منهم, أو قال: ما
تأكل الأرض منهم إذا ماتوا.

24623_ حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد,
قال: سمعت الضحاك يقول, قال الله قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ يقول:
ما أكلت الأرض منهم ونحن عالمون به, وهم عندي مع علمي فيهم في كتاب
حفيظ.

الآية : 5-6

القول في تأويل قوله تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ
مَّرِيحٍ * أَقَلَّمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ
فُرُوجٍ}.

يقول تعالى ذكره: ما أصاب هؤلاء المشركون القائلون أَيْدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا
ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ فِي قِيلِهِمْ هَذَا بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ, وهو القرآن لَمَّا جَاءَهُمْ مِنْ
اللَّهِ. كالذي:

24624_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة بَلْ
كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ أَي كَذَّبُوا بِالْقُرْآنِ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ يقول: فهم في
أمر مختلط عليهم ملتبس, لا يعرفون حقه من باطله, (يقال) قد مرج أمر
الناس إذا اختلط وأهمل.

وقد اختلفت عبارات أهل التأويل في تأويلها, وإن كانت متقاربات المعاني,
فقال بعضهم: معناها: فهم في أمر منكر وقال: المريح: هو الشيء المنكر.
ذكر من قال ذلك:

24625_ حدثني محمد بن خالد بن خدّاش, قال: ثني سلم بن قتيبة, عن
وهب بن حبيب الأمدي, عن أبي حمزة, عن ابن عباس أنه سُئِلَ عن قوله:
أَمْرٍ مَّرِيحٍ قال: المريح: الشيء المنكر أما سمعت قول الشاعر:

فَجَالَتْ وَالْتَمَسَتْ بِهِ حَشَاهَا قَحْرَ كَأَنَّهُ حُوطٌ مَرِيحٍ

وقال آخرون: بل معنى ذلك: في أمر مختلف. ذكر من قال ذلك:

24626_ حدثني علي, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي,
عن ابن عباس, قوله في أَمْرٍ مَّرِيحٍ يقول: مختلف.
وقال آخرون: بل معناه: في أمر ضلالة.

ذكر من قال ذلك:

24627_ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني
أبي, عن أبيه, عن ابن عباس فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ قال: هم في أمر ضلالة.
وقال آخرون: بل معناه: في أمر مُلتبس. ذكر من قال ذلك:

24628_ حدثنا أبو كُريب, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن أشعث بن
إسحاق, عن جعفر بن أبي المغيرة, عن سعيد بن جُبَيْر, في قوله: فَهُمْ فِي
أَمْرٍ مَّرِيحٍ قال: مُلتبس.

24629_ حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **أَمْرٌ مَرِيحٌ** قال: ملتبس.

24630_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ** ملتبس عليهم أمره.

24631_ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، قال: والتبس عليه دينه.

وقال آخرون: بل هو المختلط. ذكر من قال ذلك:

24632_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ** قال: المريح: المختلط.

وإنما قلت: هذه العبارات وإن اختلفت ألفاظها فهي في المعنى متقاربات، لأن الشيء مختلف ملتبس، معناه مشكل. وإذا كان كذلك كان منكراً، لأن المعروف واضح بين، وإذا كان غير معروف كان لا شك ضلالة، لأن الهدى بين لا لبس فيه.

وقوله: **أَقْلَمَ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّاها** يقول تعالى ذكره: أفلم ينظر هؤلاء المكذِّبون بالبعث بعد الموت المنكرون قُدرتنا على إحيائهم بعد بلائهم إلى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّاها فسويناها سقفا محفوظا، وزيناها بالنجوم وما لها مِنْ فُرُوجٍ يعني: وما لها من صدوع وفُتُوق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24633_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **مِنْ فُرُوجٍ** قال: سَّقٍ.

24634_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ** قلت له، يعني ابن زيد: الفروج: الشيء المتبريء بعضه من بعض، قال: نعم.

الآية : 7-8

القول في تأويل قوله تعالى: { **وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَبَاتٍ * وَذَكَرْنَا لِكُلِّ عِبْدٍ مُنِيبٍ** }.
وقوله: **وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا** يقول: والأرض بسطناها وألقينا فيها رَوَاسِيَ يقول: وجعلنا فيها جبالاً ثوابت، رست في الأرض، وأنبتنا فيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَبَاتٍ يقول تعالى ذكره: وأنبتنا في الأرض من كل نوع من نبات حسن، وهو البهيج. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24635_ حدثنا علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن علي، عن ابن عباس، قوله: **بِهَيْجٍ** يقول: حسن.

24636_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ** والرواسي الجبال وأنبتنا فيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَبَاتٍ أي من كل زوج حسن.

24637_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قلت لابن زيد البهيج: هو الحسن المنظر؟ قال نعم: وقوله **تَبَصَّرَةٌ** يقول: فعلنا ذلك تبصرة لكم أيها الناس بنصركم بها قدرة ربكم على ما يشاء، **وَذَكَرْنَا لِكُلِّ عِبْدٍ مُنِيبٍ** يقول: وتذكيراً من الله عظمته وسلطانه، وتنبهها على وحدانيته **لِكُلِّ عِبْدٍ**

مُنِيبٍ يَقُولُ: لِكُلِّ عَبْدٍ رَجَعَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

24638- حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ: تَبْصِرَةٌ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ يَبْصُرُهَا الْعِبَادُ وَذِكْرِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ: أَيُّ مَقْبَلٍ بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: تَبْصِرَةٌ وَذِكْرِي قَالَ: تَبْصِرَةٌ مِنَ اللَّهِ.

24639- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ، قَوْلَهُ: تَبْصِرَةٌ قَالَ: بِصِيرَةٍ.

24640- حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مَهْرَانٌ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عَطَاءٍ وَمَجَاهِدٍ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ قَالَا مُجِيبًا.

الآية: 9-11

القول في تأويل قوله تعالى: { وَتَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبْتًا وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالتَّخْلَ بِاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مِثْنًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ }.

يقول تعالى ذكره: وَتَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا، فَأَنْبَتْنَا بِهِ بَسَاتِينَ أَشْجَارًا، وَحَبَّ الزَّرْعِ الْمَحْصُودِ مِنَ الْبَرِّ وَالشَّعِيرِ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْحَبُوبِ. كَمَا: 24641- حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ وَحَبَّ الْحَصِيدِ هَذَا الْبَرُّ وَالشَّعِيرُ.

حَدَّثَنِي ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ وَحَبَّ الْحَصِيدِ قَالَ: هُوَ الْبَرُّ وَالشَّعِيرُ.

24642- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ قَالَ: الْجِنِطَةُ.

وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: وَحَبَّ الْحَصِيدِ الْحَبُّ هُوَ الْحَصِيدُ، وَهُوَ مِمَّا أُضِيفَ إِلَى نَفْسِهِ مِثْلُ قَوْلِهِ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ. وَقَوْلُهُ: وَالتَّخْلَ بِاسِقَاتٍ يَقُولُ: وَأَنْبَتْنَا بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ النَّخْلَ طَوَالًا، وَالْبَاسِقُ: هُوَ الطَّوِيلُ يُقَالُ لِلْجَبَلِ الطَّوِيلُ: جَبَلٌ بَاسِقٌ، كَمَا قَالَ أَبُو نُوفَلٍ لِابْنِ هُبَيْرَةَ:

يَا بَنَ الَّذِينَ يَفْضُلُهُمْ سَقَتْ عَلَيَّ قَيْسٍ قَرَارَهُ

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

24643- حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي سَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَالِحٍ قَالَ: ثَنِي مَعَاوِيَةَ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: بِاسِقَاتٍ يَقُولُ: طَوَالًا.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثَنِي أَبِي، قَالَ: ثَنِي عَمِّي، قَالَ: ثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ وَالتَّخْلَ بِاسِقَاتٍ قَالَ: النَّخْلُ الطَّوَالُ.

24644- حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَشِيمٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ فِي قَوْلِهِ: وَالتَّخْلَ بِاسِقَاتٍ قَالَ: بُسُوقُهَا: طَوْلُهَا فِي إِقَامَةٍ.

24645- حَدَّثَنَا هِنَادٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ سَمَّاكٍ، عَنْ عَكْرِمَةَ، فِي قَوْلِهِ: وَالتَّخْلَ بِاسِقَاتٍ الْبَاسِقَاتُ: الطَّوَالُ.

24646- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: **بِاسْبِقَاتٍ** قال: الطوال.

24647- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة والنخل **بِاسْبِقَاتٍ** قال: بسوقها طولها.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة والنخل **بِاسْبِقَاتٍ** قال: يعني طولها.

24648- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله والنخل **بِاسْبِقَاتٍ** قال: البسوق: الطول.

وقوله: **لَهَا طَلْعٌ تَضِيدٌ** يقول: لهذا النخل الباسقات طلع وهو الكُفْرِيُّ, نضيد: يقول: منضود بعضه على بعض مترابك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24649- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي عن أبيه, عن ابن عباس **لَهَا طَلْعٌ تَضِيدٌ** قال: يقول بعضه على بعض.

24650- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: **تَضِيدٌ** قال: المنضد.

24651- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة **لَهَا طَلْعٌ تَضِيدٌ** يقول: بعضه على بعض.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة **لَهَا طَلْعٌ تَضِيدٌ** ينضد بعضه على بعض.

وقوله: **رَزَقًا لِلْعِبَادِ** يقول: أنبتنا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء هذه الجنات, **وَالْحَبِّ وَالنَّخْلِ** قوتا للعباد, بعضها غذاء, وبعضها فاكهة ومتاعا.

وقوله: **وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً بَلَدَةً** مَبْتَأًا يقول تعالى ذكره وأحيينا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء بلدة مبيتا قد أجدبت وقحطت, فلا زرع فيها ولا نبت.

وقوله: **كَذَلِكَ الْخُرُوجُ** يقول تعالى ذكره: كما أنبتنا بهذا الماء هذه الأرض الميتة, فأحييناها به, فأخرجنا نباتها وزرعها, كذلك نخرجكم يوم القيامة أحياء من قبوركم من بعد بلائكم فيها بما ينزل عليها من الماء.

الآية : 12-14

القول في تأويل قوله تعالى: **{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَتَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ ثَبَعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرِّسْلَ فَحَقَّ وَعِيدُ }**.

يقول تعالى ذكره كذبت قبل هؤلاء المشركين الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم من قومه قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وقد مضى ذكرنا قبل أمر أصحاب الرس, وأنهم قوم رسوا نبيهم في بئر.

24652- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهرا, عن سفيان, عن أبي بكر, عن عكرمة بذلك.

24653- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **أَصْحَابُ الرَّسِّ** والرس: بئر قتل فيها صاحب يس.

24654- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: أَصْحَابُ الرَّسِّ قال: بئر.

24655- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن عمرو بن عبد الله، عن قتادة أنه قال: إن أصحاب الأيكة، والأيكة: الشجر الملتف، وأصحاب الرِّسِّ كانتا أمتين، فبعث الله إليهم نبياً واحداً شعيباً، وعدَّبهما الله بعدايين وتَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وهم قوم شعيب، وقد مضى خبرهم قبل وَقَوْمُ تَبَعٍ.

وكان قوم تَبَعٍ أهل أوثان يعبدونها، فيما:

24656- حدثنا به ابن حُمَيد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق.

وكان من خبره وخبر قومه ما:

24657- حدثنا به مجاهد بن موسى، قال: حدثنا يزيد، قال: أخبرنا عمران بن حُدَير، عن أبي مجلز، عن ابن عباس، أنه سأل عبد الله بن سلام، عن تَبَعٍ ما كان؟ فقال: إن تبعاً كان رجلاً من العرب، وإنه ظهر على الناس، فاختار فتية من الأخيار فاستبطنهم واستدخلهم، حتى أخذ منهم وبايعهم، وإن قومه استكبروا ذلك وقالوا: قد ترك دينكم، وبايع الفتية فلما فشا ذلك، قال للفتية، فقال الفتية: بيننا وبينهم النار تُحْرِقُ الكاذب، وينجو منها الصادق، ففعلوا، فعلق الفتية مصاحفهم في أعناقهم، ثم غدوا إلى النار، فلما ذهبوا أن يدخلوها، سفعت النار في وجوههم، فنكصوا عنها، فقال لهم تَبَعٍ: لتدخلنها فلما دخلوها أفرجت عنهم حتى قطعوها، وأنه قال لقومه ادخلوها فلما ذهبوا يدخلونها سفعت النار وجوههم، فنكصوا عنها، فقال لهم تَبَعٍ: لتدخلنها، فلما دخلوها أفرجت عنهم، حتى إذا توسطوا أحاطت بهم، فأحرقتهم، فأسلم تَبَعٍ، وكان تَبَعٍ رجلاً صالحاً.

24658- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن أبي

مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي، قال: سمعت إبراهيم بن محمد القرظي، قال: سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبد الله يحدث أن تبعاً لما دنا من اليمن ليدخلها، حالت جَمَيْرُ بينه وبين ذلك، وقالوا لا تدخلها علينا، وقد فارقت ديننا فدعاهم إلى دينه، وقال: إنه دين خير من دينكم، قالوا: فحاكمنا إلى النار، قال نعم، قال: وكانت في اليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم فيما بينهم فيما يختلفون فيه، تأكل الظالم ولا تضُرُّ المظلوم فلما قالوا ذلك لتَبَعٍ، قال: أنصفتم، فخرج قومه بأوثانهم، وما يتقربون به في دينهم قال: خرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديهما، حتى قعدوا للنار عند مخرجها التي تخرج منه، فخرجت النار إليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها، فرمواهم من حضرهم من الناس، وأمروهم بالصبر لها، فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قَرَّبوا معها، ومن حمل ذلك من رجال جَمَيْرٍ وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما، تعرق جباههما لم تضُرَّهما، فأطبقت جَمَيْرُ، عند ذلك على دينه، فمن هنالك وغير ذلك كان أصل اليهودية باليمن.

24659- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق عن بعض

أصحابه أن الحبرين، ومن خرج معهما من جَمَيْرٍ، إنما اتبعوا النار ليردَّوها، وقالوا: من ردَّها فهو أولى بالحق فدنا منهم رجال من حمير بأوثانهم

ليردوها، فذنت منهم لتأكلهم، فحادوا فلم يستطيعوا ردّها، ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة، وتنكص حتى ردّاها إلى مخرجها الذي خرجت منه، فأطبقت عند ذلك على دينهما، وكان رثام بيتا لهم يعظمونه، وينحرون عنده، ويكلمون منه، إذ كانوا على شركهم، فقال الحبران لتبع إنما هو شيطان يعينهم ويلعب بهم، فخلّ بيننا وبينه، قال: فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا أسود، فذبحاه، ثم هدمنا ذلك البيت، فبقاياها اليوم باليمن كما ذكر لي.

24660- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن لهيعة، عن عمرو بن جابر الحضرمي، حدثه قال: سمعت سهيل بن سعد الساعدي، يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تلعنوا نبعاً فإنه كان قد أسلم».

24661- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد أن شعيب بن زرعة المعافري، حدثه، قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وقال له رجل: إن جَمِير تزعم أن تبعنا منهم، فقال: نعم والذي نفسي بيده، وإنه في العرب كالأنف بين العينين، وقد كان منهم سبعون ملكاً.

وقوله: كُلُّ كَذَّبِ الرَّسُلِ فَحَقٌّ وَعَيْدٌ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: كُلُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ كَذَّبُوا رَسُلَ اللَّهِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ فَحَقٌّ وَعَيْدٌ يَقُولُ: فَوَجِبَ لَهُمُ الْوَعِيدُ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ، وَحَلَّ بِهِمُ الْعَذَابُ وَالنَّقْمَةُ. وَإِنَّمَا وَصَفَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَا وَصَفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ إِحْلَالِهِ عَقُوبَتَهُ بِهِؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ الرَّسُلِ تَرْهِيباً مِنْهُ بِذَلِكَ مُشْرِكِي قَرِيشٍ وَإِعْلَاماً مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْبِئُوا مِنْ تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ مَحَلٌّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، مِثْلَ الَّذِي أَحَلَّ بِهِمْ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24662- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: فَحَقٌّ وَعَيْدٌ قَالَ: مَا أَهْلَكُوا بِهِ تَخْوِيفاً لَهُؤُلَاءِ.

الآية : 15-16

القول في تأويل قوله تعالى: { أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمْ مَا تَوْسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ }.

وهذا تقرير من الله لمشركي قريش الذين قالوا: أئذا متنا وكُنَّا تراباً ذلك رَجْعٌ بَعِيدٌ يَقُولُ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَفَعَيَّبْنَا بِإِبْتِدَاعِ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ الَّذِي خَلَقْنَاهُ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْئاً فَنَعِيَا بِإِعَادَتِهِمْ خَلْقاً جَدِيداً بَعْدَ بِلَائِهِمْ فِي التُّرَابِ، وَبَعْدَ فَنَائِهِمْ يَقُولُ: لَيْسَ يَعَيَّبُنَا ذَلِكَ، بَلْ نَحْنُ عَلَيْهِ قَادِرُونَ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24663- حدثني علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ يَقُولُ: لَمْ يَعَيَّبْنَا الْخَلْقَ الْأَوَّلَ.

24664- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ يَقُولُ: أَفَعَيَّبْنَا عَلَيْنَا حِينَ أَنْشَأْنَاكُمْ خَلْقاً جَدِيداً، فَتَمَتُّرُوا بِالْبَعْثِ.

24665_ حدثنا ابن حُمَيدٍ، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبي ميسرة أفعيينا بالخلق الأول قال: إنا خلقناكم. وقوله: بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ يقول تعالى ذكره: ما يشكُّ هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث أنا لم نعي بالخلق الأول، ولكنهم في شكٍّ من فُدرتنا على أن نخلقهم خلقاً جديداً بعد فنائهم، وبلائهم في قبورهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24666_ حدثني عليٌّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس، قوله: بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ؟ يقول: في شكٍّ من البعث.

24667_ حدثنا ابن حُمَيدٍ، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبي ميسرة بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ قال: الكفار من خلقٍ جَدِيدٍ قال: أن يخلقوا من بعد الموت.

24668_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ قال: أي شكٍّ والخلق الجديد: البعث بعد الموت، فصار الناس فيه رجلين: مكذِّبٍ، ومصدِّقٍ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ قال: البعث من بعد الموت. وقوله: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّوسُ بِهِ نَفْسُهُ يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تحذث به نفسه، فلا يخفى علينا سرائره وضماير قلبه وتَحَنُّنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ يقول: ونحن أقرب للإنسان من حبل العاتق والوريد: عرق بين الحلقوم والعلباوين، والحبل: هو الوريد، فأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظ اسميه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24669_ حدثني عليٌّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس، قوله: وَتَحَنُّنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ يقول: عرق العنق.

24670_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد حَبْلِ الْوَرِيدِ قال: الذي يكون في الحلق.

وقد اختلف أهل العربية في معنى قوله: وَتَحَنُّنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ فقال بعضهم: معناه: نحن أملك به، وأقرب إليه في المقدره عليه. وقال آخرون: بل معنى ذلك: وَتَحَنُّنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ بالعلم بما تُوسَّوسُ به نفسه.

الآية: 17-18

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}.

يقول تعالى ذكره: ونحن أقرب إلى الإنسان من وريد حلقه، حين يتلقى الملكان، وهما المتلقيان عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ وقيل: عنى بالقعيد: الرصد. ذكر من قال ذلك:

24671_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: قَعِيدٌ قال: رَصَدٌ.

واختلف أهل العربية في وجه توحيد قعيد، وقد ذكر من قبل متلقيان، فقال بعض نحويي البصرة: قيل: عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ ولم يقل: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، أي أحدهما، ثم استغنى، كما قال: نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثم استغنى بالواحد عن الجمع، كما قال: فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنُ شَيْءٍ مِنْهُ تَفْسًا. وقال بعض نحويي الكوفة قَعِيدٌ يريد: قعوداً عن اليمين وعن الشمال، فجعل فعيل جمعاً، كما يجعل الرسول للقوم وللأثنين، قال الله عز وجل: إنا رسول رب العالمين لموسى وأخيه، وقال الشاعر:

أَلِكَيْبِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُولِ أَعْلَمُهُمْ بِتَوَاحِي الْخَبْرِ
فجعل الرسول للجمع، فهذا وجه وإن شئت جعلت القعيد واحداً اكتفاءً به من صاحبه، كما قال الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ
ومنه قول الفَرَزْدَقِ:

إِنِّي صَمِئْتُ لِمَنْ أَتَانِي مَا جَنُوبًا بِي فَكَيْفَ وَكُنْتُ عَيْرَ عَدُوْرٍ
ولم يقل: عَدُوْرَيْنِ. وقوله: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ يقول تعالى ذكره: ما يلفظ الإنسان من من قول فيتكلم به، إلا عندما يلفظ به من قول رقيب عتيد، يعني حافظ يحفظه، عتيد مُعَدٌّ. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24672- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد عن اليمين وعن الشمال قَعِيدٌ قال: عن اليمين الذي يكتب الحسنات، وعن الشمال الذي يكتب السيئات.

24673- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، في قوله: إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ قال: صاحب اليمين أمير أو أمين على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: أمسك لعله يتوب.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا حكام، قال: حدثنا عمرو، عن منصور، عن مجاهد إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ قال ملك عن يمينه، وآخر عن يساره، فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشر.

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، قال: مع كل إنسان ملكان: ملك عن يمينه، وملك عن يساره قال: فأما الذي عن يمينه، فيكتب الخير، وأما الذي عن يساره فيكتب الشر.

24674- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا نُوسِوسُ بِهِ نَفْسُهُ... إلى عَتِيدٌ قال: جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل، وحافظين في النهار، يحفظان عليه عمله، ويكتبان أثره.

24675- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ، حتى بلغ عَتِيدٌ قال الحسن وقتادة ما يلفظ من قولٍ أي ما يتكلم به من شيء إلا كتب عليه. وكان عكرمة يقول: إنما ذلك في الخير والشر يكتبان عليه.

24676- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: تلا الحسن عن اليمين وعن الشمال قَعِيدٌ قال: فقال: يا ابن آدم بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر

عن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل بما شئت أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك، فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول: **وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَانَهُ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ...** حتى بلغ حسيبا عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك.

حدثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد عن اليميني وعن الشمال قعيد قال: كاتب الحسنات عن يمينه، وكاتب السيئات عن شماله.

24677- قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: بلغني أن كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا أذنب قال له: لا تعجل لعله يستغفر.

24678- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** قال: جعل معه من يكتب كل ما لفظ به، وهو معه رقيب.

24679- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن هشام الحمصي، أنه بلغه أن الرجل إذا عمل سيئة قال كاتب اليمين لصاحب الشمال: اكتب، فيقول: لا بل أنت اكتب، فيمتنعان، فينادي مناد: يا صاحب الشمال اكتب ما ترك صاحب اليمين.

الآية : 19-20

القول في تأويل قوله تعالى: **{ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ }**.

وفي قوله: **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ** وجهان من التأويل، أحدهما: وجاءت سكرة الموت وهي شدته وغلبته على فهم الإنسان، كالسكرة من النوم أو الشراب بالحق من أمر الآخرة، فتبينه الإنسان حتى تثبته وعرفه. والثاني: وجاءت سكرة الموت بحقيقة الموت.

وقد ذكر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقرأ **«وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ»**. ذكر الرواية بذلك:

24680- حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن واصل، عن أبي وائل، قال: لما كان أبو بكر رضي الله عنه يقضي، قالت عائشة رضي الله عنها هذا، كما قال الشاعر:

إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَصَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

فقال أبو بكر رضي الله عنه: لا تقولي ذلك، ولكنه كما قال الله عز وجل: **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**. وقد ذكر أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود. ولقراءة من قرأ ذلك من التأويل وجهان::

أحدهما: وجاءت سكرة الله بالموت، فيكون الحق هو الله تعالى ذكره. والثاني: أن تكون السكرة هي الموت أضيفت إلى نفسها، كما قيل: **إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ**. ويكون تأويل الكلام: وجاءت السكرة الحق بالموت.

وقوله: **ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ** يقول: هذه السكرة التي جاءتك أيها الإنسان بالحق هو الشيء الذي كنت تهرب منه، وعنه تروغ.

وقوله: **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ** قد تقدّم بياننا عن معنى الصور، وكيف النّفخ فيه بذكر اختلاف المختلفين. والذي هو أولى الأقوال عندنا فيه بالصواب، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ يقول: هذا اليوم الذي ينفخ فيه هو يوم الوعيد الذي وعده الله الكفار أن يعدّ بهم فيه.

الآية : 21-22

القول في تأويل قوله تعالى: { وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي عُقْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ }.

يقول تعالى ذكره: وجاءت يوم ينفخ في الصور كل نفس ربها، معها سائق يسوقها إلى الله، وشهيد يشهد عليها بما في الدنيا من خير أو شر. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24681- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهرا، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن يحيى بن رافع مولى لثقيف، قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب، فقرأ هذه الآية سائقٌ وشهيدٌ قال: سائق يسوقها إلى الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت.

24682- قال: ثنا حكام، عن إسماعيل، عن أبي عيسى، قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب، فقرأ هذه الآية وجاءت كل نفس معها سائقٌ وشهيدٌ قال: السائق يسوقها إلى أمر الله، والشهيد يشهد عليها بما عملت.

24683- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وجاءت كل نفس معها سائقٌ وشهيدٌ قال: السائق من الملائكة، والشهيد: شاهد عليه من نفسه.

24684- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا سفيان، عن مهرا، عن خصيف، عن مجاهد سائقٌ وشهيدٌ سائق يسوقها إلى أمر الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد سائقٌ وشهيدٌ سائق يسوقها إلى أمر الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت.

24685- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن نجيح، عن مجاهد في قول الله سائقٌ وشهيدٌ قال: الملكان: كاتب، وشهيد.

24686- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وجاءت كل نفس معها سائقٌ وشهيدٌ قال: سائق يسوقها إلى ربها، وشاهد يشهد عليها بعملها.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا أبو هلال، قال: حدثنا قتادة، في قوله: وجاءت كل نفس معها سائقٌ وشهيدٌ قال: سائق يسوقها إلى حسابها، وشاهد يشهد عليها بما عملت.

24687- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ قال: سائق يسوقها، وشاهد يشهد عليها بعملها.

24688- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهرا، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس سائقٌ وشهيدٌ قال: سائق يسوقها، وشاهد يشهد عليها بعملها.

24689- وحدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وجاءت كل نفس معها سائقٌ وشهيدٌ

السائق من الملائكة، والشاهد من أنفسهم: الأيدي، والأرجل، والملائكة أيضا شهداء عليهم.

24690_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله سَائِقٌ وَشَهِيدٌ قال: مَلَكٌ وَكُلُّ بِهِ يَحْصِي عَلَيْهِ عَمَلَهُ، وَمَلَكٌ يَسُوقُهُ إِلَى مُحْشَرِهِ حَتَّى يُوَافِيَ مُحْشَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

واختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآيات فقال بعضهم: عنى بها النبي صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: عنى أهل الشرك، وقال بعضهم: عنى بها كل أحد. ذكر من قال ذلك:

24691_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: ثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، قال: سألت زيد بن أسلم، عن قوله الله: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ... الآية، إلى قوله: سَائِقٌ وَشَهِيدٌ، فقلت له: من يُراد بهذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت له رسول الله؟ فقال: ما تنكر؟ قال الله عز وجل: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى قال: ثم سألت صالح بن كيسان عنها، فقال لي: هل سألت أحدا؟ فقلت: نعم، قد سألت عنها زيد بن أسلم، فقال: ما قال لك؟ فقلت: بل تخبرني ما تقول، فقال: لأخبرتك برأيي الذي عليه رأيي، فأخبرني ما قال لك؟ قلت: قال: يُراد بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: وما علم زيد؟ والله ما سن عالية، ولا لسان فصيح، ولا معرفة بكلام العرب، إنما يُراد بهذا الكافر. ثم قال: اقرأ ما بعدها يدلك على ذلك، قال: ثم سألت حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، فقال لي مثل ما قال صالح: هل سألت أحدا فأخبرني به؟ قلت: إنني قد سألت زيد بن أسلم وصالح بن كيسان، فقال لي: ما قال لك؟ قلت: بل تخبرني بقولك، قال: لأخبرتك بقولي، فأخبرته بالذي قال لي، قال: أخالفهما جميعا، يريد بها البر والفاجر، قال الله: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ فَكَنَسْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ قال: فانكشف الغطاء عن البر والفاجر، فرأى كل ما يصير إليه.

24692_ حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ يعني المشركين.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى بها البر والفاجر، لأن الله أتبع هذه الآيات قوله: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا نُوسِوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَالْإِنْسَانُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَى: النَّاسِ كُلِّهِمْ، غير مخصوص منهم بعض دون بعض. فمعلوم إذا كان ذلك كذلك أن معنى قوله: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ وجاءتك أيها الإنسان سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيدٌ وإذا كان ذلك كذلك كانت بينه صحة ما قلنا.

وقوله: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: يقال له: لقد كنت في غفلة من هذا الذي عاينت اليوم أيها الإنسان من الأهوال والشدائد فَكَنَسْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ يقول: فجلبنا ذلك لك، وأظهرناه لعينيك، حتى رأته وعائنته، فزال الغفلة عنك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفوا في المقول ذلك له، فقال بعضهم: المقول ذلك له الكافر. وقال آخرون: هو نبي الله صلى الله عليه وسلم. وقال آخرون: هو جميع الخلق من الجن والإنس. ذكر من قال: هو الكافر.

24693- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ وَالذِّكْرِ الْكَافِرِ.

24694- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ قَالَ: للكافر يوم القيامة.

24695- حدثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حدثنا مهران، عن سفيان فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ قَالَ: في الكافر. ذكر من قال: هو نبيّ الله صلى الله عليه وسلم.

24696- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا قَالَ: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لقد كنت في غفلة من هذا الأمر يا محمد، كنت مع القوم في جاهليتهم فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ قَبَضْرُكُ الْيَوْمَ حَدِيدٌ.

وعلى هذا التأويل الذي قاله ابن زيد يجب أن يكون هذا الكلام خطاباً من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه كان في غفلة في الجاهلية من هذا الدين الذي بعثه به، فكشف عنه غطاءه الذي كان عليه في الجاهلية، فنفذ بصره بالإيمان وتبينه حتى تقرر ذلك عنده، فصار حادّ البصر به. ذكر من قال: هو جميع الخلق من الجنّ والإنس.

24697- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهريّ، قال: سألت عن ذلك الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، فقال: يريد به البرّ والفاجر، فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ قَبَضْرُكُ الْيَوْمَ حَدِيدٌ قَالَ: وكشيف الغطاء عن البرّ والفاجر، فرأى كلّ ما يصير إليه. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ قَالَ أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24698- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ قَالَ: الحياة بعد الموت.

24699- حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ قَالَ: عاين الآخرة. وقوله: قَبَضْرُكُ الْيَوْمَ حَدِيدٌ يقول: فأنت اليوم نافذ البصر، عالم بما كنت عنه في الدنيا في غفلة، وهو من قولهم: فلان بصير بهذا الأمر: إذا كان ذا علم به، وله بهذا الأمر بصر: أي علم.

وقد روي عن الضحاك إنه قال: معنى ذلك قَبَضْرُكُ الْيَوْمَ حَدِيدٌ لسان الميزان، وأحسبه أراد بذلك أن معرفته وعلمه بما أسلف في الدنيا شاهد عدل عليه، فشبهه بصره بذلك بلسان الميزان الذي يعدل به الحق في الوزن، ويعرف مبلغه الواجب لأهله عما زاد على ذلك أو نقص، فكذلك علم من وافى القيامة بما اكتسب في الدنيا شاهد عليه كلسان الميزان.

الآية : 23-25

القول في تأويل قوله تعالى: { وَوَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مَرِيْبٍ }.

يقول تعالى ذكره: وقال قرين هذا الإنسان الذي جاء به يوم القيامة معه سائق وشهيد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24700_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وقال قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدُ الْمَلِكِ.

24701_ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدُ... إلى آخر الآية, قال: هذا سائقه الذي وُكِّلَ بِهِ, وَقَرَأَ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ.

وقوله: هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدُ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَخْبِرًا عَنِ قِيلِ قَرِينِ هَذَا الْإِنْسَانِ عِنْدَ مَوَافَاتِهِ رَبَّهُ بِهِ, رَبُّ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدُ يَقُولُ: هَذَا الَّذِي هُوَ عِنْدِي مَعَدٌّ مَحْفُوظٌ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدُ قَالَ: والعَتِيدُ: الَّذِي قَدْ أَخَذَهُ, وَجَاءَ بِهِ السَائِقُ وَالْحَافِظُ مَعَهُ جَمِيعًا.

وقوله: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ فِيهِ مَتْرُوكٌ اسْتِغْنَى بِدَلَالَةِ الظَّاهِرِ عَلَيْهِ مِنْهُ, وَهُوَ: يُقَالُ أَلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ, أَوْ قَالَ تَعَالَى: أَلْقِيَا, فَأَخْرَجَ الْأَمْرَ لِلْقَرِينِ, وَهُوَ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ مَخْرَجَ خُطَابِ الْاِثْنَيْنِ. وَفِي ذَلِكَ وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ الْقَرِينُ بِمَعْنَى الْاِثْنَيْنِ, كَالرَّسُولِ, وَالْاِسْمُ الَّذِي يَكُونُ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ فِي الْوَاحِدِ, وَالتَّثْنِيَةُ وَالْجَمْعُ, فَرَدُّ قَوْلِهِ: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ إِلَى الْمَعْنَى. وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ كَمَا كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ, وَهُوَ أَنَّ الْعَرَبَ تَأْمُرُ الْوَاحِدَ وَالْجَمَاعَةَ بِمَا تَأْمُرُ بِهِ الْاِثْنَيْنِ, فَتَقُولُ لِلرَّجُلِ وَيَلِكُ أَرْحَلَاهَا وَازْجِرَاهَا, وَذَكَرَ أَنَّهُ سَمِعَهَا مِنَ الْعَرَبِ قَالَ: وَأَنْشَدَنِي بَعْضُهُمْ:

فَقُلْتُ لَصَاحِبِي لَا تَحْبَسَانَا بِنَزْعِ أَصُولِهِ وَاجْتَرَّ شَيْحًا

وقال: وَأَنْشَدَنِي أَبُو ثَرْوَانَ:

فَإِنْ تَرْجُرَانِي يَا بَنَّ عَقَّانَ أَتَرْجُرُونَ تَدْعَانِي أَحْمَ عِرْضًا مُمْتَعًا

قال: فيروي أن ذلك منهم أن الرجل أدنى أعوانه في إبله وغنمه اثنان, وكذلك الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة, فجرى كلام الواحد على صاحبيه, وقال:

أَلَا تَرَى الشُّعْرَاءَ أَكْثَرَ قِيلًا يَا صَاحِبِي يَا خَلِيلِي, وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

خَلِيلِي مُرَّا يِي عَلَى أُمَّ جُنْدَيْنُقُصْ لَبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَدَّبِ

ثم قال:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جُنْتُ طَارَ فَاوَجَدْتُ بِهَا طَيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

فرجع إلى الواحد, وَأَوَّلُ الْكَلَامِ اِثْنَانِ قَالَ: وَأَنْشَدَنِي بَعْضُهُمْ:

خَلِيلِي قُومًا فِي عَطَالَةٍ فَاَنْظُرَا: أَنَا تُرَى مِنْ ذِي أَبَاتَيْنِ أُمَّ بَرَقَا

وبعضهم يروي: أَنَا نَارَا نَرَى.

كُلُّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ يَعْنِي: كُلُّ جَاحِدٍ وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ عَنِيدٍ, وَهُوَ الْعَانِدُ عَنِ الْحَقِّ وَسَبِيلِ الْهُدَى.

وقوله: مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ كَانَ قِتَادَةً يَقُولُ فِي الْخَيْرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: هُوَ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ.

24702_ حدثنا بذلك بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة.

والصواب من القول في ذلك عندي أنه كلُّ حقٍّ وجب لله, أو لادمي في ماله, والخير في هذا الموضع هو المال.

وإنما قلنا ذلك هو الصواب من القول, لأن الله تعالى ذكره عمَّ بقوله مناع للخير عنه أنه يمنع الخير ولم يخص منه شيئاً دون شيء, فذلك على كلِّ خير يمكن منعه طالبه.

وقوله: مُعْتَدٍ يَقُولُ: مُعْتَدٍ عَلَى النَّاسِ بِلِسَانِهِ بِالْبِذَاءِ وَالْفَحْشِ فِي الْمَنْطِقِ, وَبِيَدِهِ بِالسُّطُورَةِ وَالْبَطْشِ ظَلْمًا. كَمَا:

24703_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: معتد في منطقته وسيرته وأمره. وقوله: مُرِيبٌ يعني: شاكٌ في وحدانية الله وقدرته على ما يشاء. كما:
24704_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: مُرِيبٌ: أي شاكٌ.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ}. يقول تعالى ذكره: الذي أشرك بالله فعبد معه معبوداً آخر من خلقه فألقىاه في العذاب الشديد يقول: فألقىاه في عذاب جهنم الشديد.

الآية : 27-28

القول في تأويل قوله تعالى: { قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِنْ كَانِ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَحْتَصِمُوا لَدَيْي وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ}. يقول تعالى ذكره: قال قرين هذا الإنسان الكفار المتاع للخير, وهو شيطانه الذي كان موكلاً به في الدنيا. كما:

24705_ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن ابن عباس قوله: قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ قال: قرينه شيطانه.

24706_ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحديثي الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: قَالَ قَرِينُهُ قال: الشيطان قُيِّضَ له.

24707_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ هو المشرك قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ قال: قرينه الشيطان.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ قال: قرينه: الشيطان.

24708_ حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ قال: قرينه: شيطانه.

24709_ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ قال: قرينه من الجن: ربنا ما أطعته, تبرأ منه.

وقوله: رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ يقول: ما أنا جعلته طاغياً متعدياً إلى ما ليس له, وإنما يعني بذلك الكفر بالله وَلَكِنْ كَانِ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ يقول: ولكن كان في طريق جائر عن سبيل الهدى جوراً بعيداً. وإنما أخبر تعالى ذكره هذا الخبر, عن قول قرين الكافر له يوم القيامة, إعلاماً منه عباده, تبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة. كما:

24710_ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ قال: تبرأ منه.

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24711- حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: حدثنا عبد الله بن أبي بكر، قال: حدثنا جعفر، قال: سمعت أبا عمران يقول في قوله: رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ تَبْرًا مِنْهُ.

وقوله: لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: قَالَ اللَّهُ لَهُؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ، وَصَفَةَ قَرْنَائِهِمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ الْيَوْمَ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ اخْتِصَامِكُمْ هَذَا، بِالْوَعِيدِ لِمَنْ كَفَرَ بِي، وَعَصَانِي، وَخَالَفَ أَمْرِي وَنَهَى فِي كِتَابِي، وَعَلَى أَلْسِنِ رُسُلِي. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ:

24712- حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: حدثنا عبد الله بن أبي بكر، قال: حدثنا جعفر، قال: سمعت أبا عمران يقول في قوله: وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ قَالَ: بِالْقُرْآنِ.

24713- حدثني علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ قَالَ: إِنَّهُمْ اعْتَذَرُوا بِغَيْرِ عَذْرٍ فَأَبْطَلَ اللَّهُ حُجَّتَهُمْ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ.

24714- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ قَالَ: يَقُولُ: قَدْ أَمَرْتُمْ وَنَهَيْتُمْ، قَالَ: هَذَا ابْنُ آدَمَ وَقَرِينُهُ مِنَ الْجَنِّ.

حدثنا ابن حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَهْرَانٌ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةِ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ: أَحْسِبُهُ قَالَ: هُمْ أَهْلُ الشَّرْكِ، وَقَالَ فِي آيَةِ أُخْرَى ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ فَهَمَّ أَهْلُ الْقِبْلَةِ.

الآية : 29-30

القول في تأويل قوله تعالى: { مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ * يَوْمَ تَقُولُ لِحَبَّئِهِمْ هَلْ أُمَّتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ }.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيله للمشركين وقرنائهم من الجن يوم القيامة، إذ تبرأ بعضهم من بعض: ما يغير القول الذي قلته لكم في الدنيا، وهو قوله لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، ولا قضائي الذي قضيته فيهم فيها. كما:

24715- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ قَدْ قَضَيْتُ مَا أَنَا قَاضٍ.

حدثنا ابن حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُكَّامٌ، عَنْ عَنبَسَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَرَّةَ، عَنْ مَجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ قَالَ: قَدْ قَضَيْتُ مَا أَنَا قَاضٍ.

وقوله: وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ يَقُولُ: وَلَا أَنَا بِمُعَاقِبِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِي بِجَرْمِ غَيْرِهِ، وَلَا حَامِلِ عَلَيَّ أَحَدٍ مِنْهُمْ ذَنْبَ غَيْرِهِ فَمُعَذِّبُهُ بِهِ.

وقوله: يَوْمَ تَقُولُ لِحَبَّئِهِمْ يَقُولُ: وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ فِي يَوْمِ تَقُولُ لِحَبَّئِهِمْ هَلْ أُمَّتَلَأْتِ وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَوْمَ نَقُولُ مِنْ صِلَةِ ظُلَامٍ. وَقَالَ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِحَبَّئِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَلْ أُمَّتَلَأْتِ؟ لِمَا سَبَقَ مِنْ وَعْدِهِ إِيَّاهَا بِأَنَّهُ يَمْلَأُهَا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: مَا مِنْ مَزِيدٍ. قَالُوا: وَإِنَّمَا يَقُولُ اللَّهُ لَهَا: هَلْ أُمَّتَلَأْتِ بَعْدَ أَنْ يَضَعَ قَدَمَهُ

فيها، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قَطِ قَطٍ، من تضايقها فإذا قال لها وقد صارت كذلك: هل امتلأت؟ قالت حينئذ: هل من مزيد: أي ما من مزيد، لشدة امتلائها، وتضايق بعضها إلى بعض. ذكر من قال ذلك:

24716_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: يَوْمَ تَقُولُ لِحَبَّاتِهِمْ هَلْ أَمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ فلما بعث الناس وأحضروا، وسبق أعداء الله إلى النار زمرا، جعلوا يقتحمون في جهنم فوجا فوجا، لا يلقى في جهنم شيء إلا ذهب فيها، ولا يملأها شيء، قالت: ألسنت قد أقسمت لتملأني من الجنة والناس أجمعين؟ فوضع قدمه، فقالت حين وضع قدمه فيها: قد قد، فأني قد امتلأت، فليس لي مزيد، ولم يكن يملأها شيء، حتى وجدته مسًّا ما وضع عليها، فتضايقت حين جعل عليها ما جعل، فامتلت فما فيها موضع إبرة.

24717_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ قال: وعدّها الله ليملائها، فقال: هلا وفيتك؟ قالت: وهل من مسلك.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: يَوْمَ تَقُولُ لِحَبَّاتِهِمْ هَلْ أَمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ كان ابن عباس يقول: إن الله الملك، قد سبقت منه كلمة لأملأن جهنم لا يلقى فيها شيء إلا ذهب فيها، لا يملأها شيء، حتى إذا لم يبق من أهلها أحد إلا دخلها، وهي لا يملأها شيء، أتاه الرب فوضع قدمه عليها، ثم قال لها: هل امتلأت يا جهنم؟ فتقول: قَطِ قَطٍ قد امتلأت، ملأنتي من الجن والإنس فليس في مزيد قال ابن عباس: ولم يكن يملأها شيء حتى وجدت مسًّا قدم الله تعالى ذكره، فتضايقت، فما فيها موضع إبرة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: زدني، إنما هو هل من مزيد، بمعنى الاستزادة. ذكر من قال ذلك:

24718_ حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين بن ثابت، عن أنس، قال: يلقى في جهنم وتقول: هل من مزيد ثلاثا، حتى يضع قدمه فيها، فينزوي بعضها إلى بعض، فتقول: قَطِ قَطٍ، ثلاثا.

24719_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: يَوْمَ تَقُولُ لِحَبَّاتِهِمْ هَلْ أَمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ لأنها قد امتلأت، وهل من مزيد: هل بقي أحد؟ قال: هذان الوجهان في هذا، والله أعلم، قال: قالوا هذا وهذا.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو بمعنى الاستزادة، هل من شيء أزداده؟

وإنما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما:

24720_ حدثني أحمد بن المقدم العجلي، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي، قال: حدثنا أيوب، عن محمد، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، لَمْ يَطْلِمِ اللَّهُ أَحَدًا

مِنْ خَلْقِهِ نَبِيْنَا، وَبُلْقِي فِي النَّارِ، تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَصَعَ عَلَيْهَا قَدَمَهُ، فَهَذَاكَ يَمْلَأُهَا، وَيُرْوِي بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطَّ قَطَّ».

24721_ حدثنا أحمد بن المقدم، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي يحدث عن قتادة، عن أنس، قال: ما تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الله عليها قدمه، فتقول: قد قد، وما يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقا، فيسكنه فضول الجنة.

24722_ حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عليه، قال: أخبرنا أيوب وهشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، قال: اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة: ما لي إنما يدخلني فقراء الناس وسقطهم وقالت النار: ما لي إنما يدخلني الجبارون والمتكبرون، فقال: أنت رحمتي أصيب بك من أشياء، وأنت عذابي أصيب بك من أشياء، ولكل واحد منكما ملؤها. فأما الجنة فإن الله ينشئ لها من خلقه ما شاء. وأما النار فيلقون فيها وتقول: هل من مزيد؟ ويلقون فيها وتقول هل من مزيد، حتى يضع فيها قدمه، فهناك تملأ، ويزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط، قط.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن ثور، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اِحْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا فَقَرَاءُ النَّاسِ؟ وَقَالَتِ النَّارُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ؟ فَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكَ مِنْ أَشْيَاءٍ وَقَالَ لِلجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أُصِيبُ بِكَ مِنْ أَشْيَاءٍ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُؤُهَا فَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا مَا شَاءَ وَأَمَّا النَّارُ فَيُلْقُونَ فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَصَعَ قَدَمَهُ فِيهَا، هَذَاكَ تَمْتَلِيءُ، وَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطَّ، قَطَّ».

24723_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَصَعَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَدْ، قَدْ، يَعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ».

حدثنا ابن المثني، قال: حدثنا عبد الصمد، قال: حدثنا أبان العطار، قال: حدثنا قتادة، عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَصَعَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: يَعِزَّتِكَ قَطَّ، قَطَّ وَمَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ خَلْقًا فَيُسْكِنَهُ فِي فَضْلِ الْجَنَّةِ».

قال: ثنا عمرو بن عاصم الكلابي، قال: حدثنا المعتمر، عن أبيه، قال: حدثنا قتادة، عن أنس، قال: ما تزال جهنم تقول: هل من مزيد، فذكر نحوه غير أنه قال: أو كما قال.

حدثنا زياد بن أيوب، قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «اِحْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: يَدْخُلُنِي الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أُصِيبُ بِكَ مِنْ أَشْيَاءٍ وَأَوْحَى إِلَى النَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكَ مِنْ أَشْيَاءٍ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُؤُهَا فَأَمَّا النَّارُ فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَصَعَ قَدَمَهُ فِيهَا، فَتَقُولُ: قَطَّ قَطَّ». ففي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ

مِنْ مَزِيدٍ» دليل واضح على أن ذلك بمعنى الاستزادة لا بمعنى النفي، لأن قوله: «لا تزال» دليل على اتصال قول بعد قول.

الآية : 31-33

القول في تأويل قوله تعالى: { وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مِّنْ حَشِي الرِّحْمَنِ بِالْعِيبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مِّنِيِبٍ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ وَأَدْنَيْتِ الْجَنَّةَ وَقَرَّبَتْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ، فَخَافُوا عَقُوبَتَهُ بِأَدَاءِ فِرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

24724- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ يَقُولُ: وَأَدْنَيْتِ غَيْرَ بَعِيدٍ.

وقوله: هَذَا مَا تُوعَدُونَ يَقُولُ: قَالَ لَهُمْ: هَذَا الَّذِي تُوعَدُونَ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ، أَنْ تَدْخُلُوهَا وَتَسْكُنُوهَا وَقَوْلُهُ: لِكُلِّ أَوَّابٍ يَعْنِي: لِكُلِّ رَاجِعٍ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى طَاعَتِهِ، تَائِبٍ مِنْ ذُنُوبِهِ.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: هو المسيح، وقال بعضهم: هو التائب، وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته، غير أنا نذكر في هذا الموضع ما لم نذكره هنالك.

24725- حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: حدثنا محمد بن الصلت، قال: حدثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس لِكُلِّ أَوَّابٍ قَالَ: لِكُلِّ مَسْبُوحٍ.

24726- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن مسلم الأعور، عن مجاهد، قال: الأواب: المسيح.

24727- حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية، قال: ثنا أبي، عن الحكم بن عتيبة في قول الله: لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ قَالَ: هُوَ الذَّاكِرُ اللَّهِ فِي الْخَلَاءِ.

24728- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن يونس بن خباب، عن مجاهد لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ قَالَ: الَّذِي يَذْكُرُ ذُنُوبَهُ فَيَسْتَغْفِرُ مِنْهَا.

24729- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ.

24730- قال: ثنا مهران، عن خارجة، عن عيسى الحناط، عن الشعبي، قال: هو الذي يذكر ذنوبه في خلاء فيستغفر منها حَفِيظٍ: أَي مَطِيعٌ لِلَّهِ كَثِيرُ الصَّلَاةِ.

24731- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ قَالَ: الأواب: التَّوَّابُ الَّذِي يُؤَوِّبُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَيَرْجِعُ إِلَيْهَا.

24732- حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن يونس بن خباب في قوله: لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ قَالَ: الرَّجُلُ يَذْكُرُ ذُنُوبَهُ، فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهُ لَهَا.

وقوله: حَفِيظٍ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: حفظ ذنوبه حتى تاب منها. ذكر من قال ذلك:

24733_ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن أبي سنان, عن أبي إسحاق, عن التميمي, قال: سألت ابن عباس, عن الأواب الحفيظ, قال: حفظ ذنوبه حتى رجع عنها.

وقال آخرون: معناه: أنه حفيظ على فرائض الله وما أئتمنه عليه. ذكر من قال ذلك:

24734_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة حَفِيزٍ قال: حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمته.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره وصف هذا التائب الأواب بأنه حفيظ, ولم يخص به على حفظ نوع من أنواع الطاعات دون نوع, فالواجب أن يعم كما عمَّ جل ثناؤه, فيقال: هو حفيظ لكل ما قرَّ به إلى ربه من الفرائض والطاعات والذنوب التي سلَّفت منه للتوبة منها والاستغفار.

وقوله: مَنْ حَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ يقول: من خاف الله في الدنيا من قبل أن يلقاه, فأطاعه, واتبع أمره.

وفي مَنْ فِي قَوْلِهِ: مَنْ حَشِيَ وَجْهَانَ مِنَ الْإِعْرَابِ: الخفض على إتباعه كل في قوله: لِكُلِّ أَوَّابٍ وَالرَّفْعَ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ, وهو مراد به الجزاء من خشي الرحمن بالغيب, قيل له ادخل الجنة فيكون حينئذ قوله: ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ جواباً للجزاء أضمر قبله القول, وجعل فعلاً للجميع, لأن مَنْ قَدْ تَكُونُ فِي مَذْهَبِ الْجَمِيعِ.

وقوله: وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ يقول: وجاء الله بقلب تائب من ذنوبه, راجع مما يكرهه الله إلى ما يرضيه. كما:

24735_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ: أي منيب إلى ربه مُقْبِلٌ.

الآية: 34-36

القول في تأويل قوله تعالى: { ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلُ مِنْ مُّجِيسٍ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ادخلوا هذه الجنة بأمان من الهَمِّ والغضب والعذاب, وما كنتم تلقونه في الدنيا من المكاره. كما:

24736_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ قال: سَلِمُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ, وَسَلِمَ عَلَيْهِمْ.

وقوله: ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ يقول: هذا الذي وصفت لكم أيها الناس صفته من إدخالها الجنة من أدخله, هو يوم دخول الناس الجنة, ما كثر فيها إلى غير نهاية. كما:

24737_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ذلك يَوْمُ الْخُلُودِ خلدوا والله, فلا يموتون, وأقاموا فلا يظعنون, وتعموا فلا يباسون.

وقوله: لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا يقول: لهؤلاء المتقين ما يريدون في هذه الجنة التي أزلفت لهم من كل ما تشتهي نفوسهم, وتلذذ عيونهم.

وقوله: وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ يقول: وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التي وصف جل ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم إياه. وقيل: إن ذلك المزيد: النظر إلى الله جل ثناؤه. ذكر من قال ذلك:

24738_ حدثني أحمد بن سُهَيْل الواسطي، قال: حدثنا قُرَّةُ بن عيسى، قال: حدثنا النضر بن عربيّ جده، عن أنس، إن الله عزَّ وجلَّ إذا أسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، هبط إلى مَرَجٍ من الجنة أفيح، فمدَّ بينه وبين خلقه حُجْبًا من لؤلؤٍ وحُجْبًا من نور ثم وُضعت منابر النور وسُرُرُ النور وكراسيُّ النور، ثم أذن لرجل على الله عزَّ وجلَّ بين يديه أمثال الجبال من النور يُسْمَعُ دَوِيٌّ تسبيح الملائكة معه، وصَفَّقَ أجنحتهم فمدَّ أهل الجنة أعناقهم، فقيل: من هذا الذي قد أذن له على الله؟ فقيل: هذا المَجْعول بيده، والمُعَلَّمُ الأسماء، والذي أمرت الملائكة فسجدت له، والذي له أبيضت الجنة، آدم عليه السلام، قد أذن له على الله تعالى قال: يؤذَنُ لرجل آخر بين يديه أمثال الجبال من النور، يُسْمَعُ دَوِيٌّ تسبيح الملائكة معه، وصَفَّقَ أجنحتهم فمدَّ أهل الجنة أعناقهم، فقيل: من هذا الذي قد أذن له على الله؟ فقيل: هذا الذي اتخذهُ اللهُ خليلاً، وجعل عليه النار بَرْدًا وسلاماً، إبراهيم قد أذن له على الله. قال: ثم أذن لرجل آخر على الله، بين يديه أمثال الجبال من النور يُسْمَعُ دَوِيٌّ تسبيح الملائكة معه، وصَفَّقَ أجنحتهم فمدَّ أهل الجنة أعناقهم، فقيل: من هذا الذي قد أذن له على الله؟ فقيل: هذا الذي إصطفاه الله برسالته وقربه نجياً، وكلمه (كلاماً) موسى عليه السلام، قد أذن له على الله. قال: ثم يؤذَنُ لرجل آخر معه مثلُ جميع مواكب النبيين قبله، بين يديه أمثال الجبال، (من النور) يسمع دَوِيٌّ تسبيح الملائكة معه، وصَفَّقَ أجنحتهم فمدَّ أهل الجنة أعناقهم، فقيل: من هذا الذي قد أذن له على الله؟ فقيل: هذا أول شافعٍ، وأوّل مشفّعٍ، وأكثر الناس وارداً، وسيد ولد آدم وأوّل من تنشقَّ عن دُؤَابِتيه الأرض، وصاحب لواء الحمد، أحمد صلى الله عليه وسلم، قد أذن له على الله. قال: فجلس النبيون على منابر النور، (والصدّيقون على سُرُرِ النور والشهداء على كراسيِّ النور) وجلس سائر الناس على كُتبان المسك الأذفر الأبيض، ثم ناداهم الربُّ تعالى من وراء الحُجْب: مَرَحِباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي. يا ملائكتي، انهضوا إلى عبادي، فأطعموهم. قال: فقَرَّبت إليهم من لحوم طير، كأنها البُخْت لا ريش لها ولا عظم، فأكلوا، قال: ثم ناداهم الربُّ من وراء الحُجَاب: مرحباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي، أكلوا اسقوهم. قال: فنهض إليهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المكنون بأباريق الذهب والفضة بأشربة مختلفة لذيذة، لذة آخرها كلذة أولها، لا يُصدِّعون عنها ولا يُترَفون ثم ناداهم الربُّ من وراء الحُجْب: مرحباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا، فكهوههم. قال: فيقرَّب إليهم على أطباق مكلّلة بالياقوت والمرجان ومن الرُّطْب الذي سمّى الله، أشدَّ بياضاً من اللبن، وأطيب عذوبة من العسل. قال: فأكلوا ثم ناداهم الربُّ من وراء الحُجْب: مرحباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا، فكهوا اكسوهم قال ففتحت لهم ثمار الجنة بحلل مصقولة بنور الرحمن فألبسوها. قال: ثم ناداهم الربُّ تبارك وتعالى من وراء الحُجْب: مرحباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا، فكهوا وكسوا وطيبوهم. قال: فهاجت عليهم ريح يقال لها المُثيرة، بأباريق المسك (الأبيض) الأذفر، فنفتحت على وجوههم من غير غبار ولا قَتام. قال: ثم ناداهم الربُّ عزَّ وجلَّ من وراء الحُجْب: مرحباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا وفكهوا، وكسوا وطيبوا، وعزّرتي لأتجلينَّ لهم حتى ينظروا إليّ قال: فذلك انتهاء العطاء وفضل المزيد قال: فتجلى لهم الربُّ

عز وجل، ثم قال: السلام عليكم عبادي، انظروا إلي فقد رضيت عنكم. قال: فتداعت قصور الجنة وشجرها، سبحانك أربع مرّات، وخرّ القوم سجدا قال: فناداهم الربّ تبارك وتعالى: عبادي ارفعوا رؤوسكم فإنها ليست بدار عمل، ولا دار تصب إنما هي دار جزاء وثواب، وعزّتي وجلالي ما خلقتها إلا من أجلكم، وما من ساعة ذكرتموني فيها في دار الدنيا، إلا ذكرتكم فوق عرشِي.

24739_ حدثنا عليّ بن الحسين بن أبحر، قال: حدثنا عمر بن يونس اليمامي، قال: حدثنا جهضم بن عبد الله بن أبي الطفيل قال: ثني أبو طيبة، عن معاوية العبسي، عن عثمان بن عمير، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريلُ عليه السلامُ وفي كفه مِرْأَةٌ بَيْضَاءُ، فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيْلُ مَا هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ، قُلْتُ: فَمَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ فِيهَا؟ قَالَ: هِيَ السَّاعَةُ تَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْأَيَّامِ عِنْدَنَا، وَتَحْنُ تَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْمَزِيْدِ قُلْتُ: وَلِمَ تَدْعُونَ يَوْمَ الْمَزِيْدِ قَالَ: إِنَّ رَبَّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أُفِيحَ مِنْ مِسْكِ أَبْيَضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَرَلَّ مِنْ عَلِيِّ بْنِ كَرْسِيٍّ، ثُمَّ حَفَّ الْكَرْسِيُّ بِمَنَائِرٍ مِنْ نُورٍ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّونَ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا ثُمَّ تَجِيءُ أَهْلُ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَى الْكُتُبِ فَيَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا الَّذِي صَدَّقْتُمْ عِدَّتِي، وَأَنْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، فَهَذَا مَجَلُّ كَرَامَتِي، فَسَلُونِي، فَيَسْأَلُوهُ الرِّضَا، فَيَقُولُ: رَضَائِي أَحَلَّكُمْ دَارِي وَأَنَا لَكُمْ كَرَامَتِي، سَلُونِي، فَيَسْأَلُوهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ رَغِيْبَتُهُمْ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ، وَلَا أَدُنُّ سَمِعَتْ، وَلَا حَاطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، إِلَى مِقْدَارِ مُنْصَرَفِ النَّاسِ مِنَ الْجُمُعَةِ حَتَّى يَضَعَهُ عَلَى كَرْسِيِّهِ فَيَضَعُهُ مَعَهُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ، وَتَرْجِعُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى عُرْفِهِمْ دُرَّةً بَيْضَاءَ، لَا تَطْمَ فِيهَا وَلَا قَصَمَ، أَوْ يَأْقُوْتَهُ حَمْرَاءُ، أَوْ رَبَزَجَدَةٌ حَضْرَاءُ، مِنْهَا عُرْفُهَا وَأَبْوَابُهَا، فَلْيَسُوا إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ، لِيُرْدَادُوا مِنْهُ كَرَامَةً، وَلِيُرْدَادُوا نَظْرًا إِلَى وَجْهِهِ، وَلِذَلِكَ دُعِيَ يَوْمَ الْمَزِيْدِ».

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن ليث بن أبي سليم، عن عثمان بن عمير، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم، نحو حديث عليّ بن الحسين.

حدثنا الربيع بن سليمان، قال: حدثنا أسد بن موسى، قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، عن صالح بن حيان عن أبي بريدة، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه.

24740_ حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، قال: أخبرنا ابن عون، عن محمد، قال: حدثنا، أو قال: قالوا: إن أدنى أهل الجنة منزلة، الذي يقال له تمن، ويذكره أصحابه فيتمنى، ويذكره أصحابه فيقال له ذلك ومثله معه. قال: قال ابن عمر: ذلك لك وعشرة أمثاله، وعند الله مزيد.

24741_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السَّمْحِ، حدثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخُدري، أنه قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الرَّجُلَ فِي الْجَنَّةِ لَيَتَّكِيءُ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ ثُمَّ تَأْتِيهِ امْرَأَتُهُ فَتَضْرِبُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ فِي حَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ، وَإِنَّ أَدْنَى لَوْلُوقَةٍ عَلَيْهَا لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَتَسَلَّمُ عَلَيْهِ، فَيُرَدُّ السَّلَامَ، وَيَسْأَلُهَا مَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ:

أنا مِنَ الْمَزِيدِ وَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ تَوْبًا أَذْنَاهَا مِثْلُ النَّعْمَانِ مِنَ طُوبَى
فَيَبْفُذُهَا بَصْرُهُ حَتَّى يَرَى مِحَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، وَإِنَّ عَلَيْهَا مِنَ التَّيْجَانِ،
وَإِنَّ أَدْنَى لَوْلُؤَةٍ فِيهَا لَتَضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

وقوله: وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وكثيرا أهلكتنا قبل
هؤلاء المشركين من قريش من القرون، هُمْ أَشَدُّ مِنْ قَرِيْشِ الَّذِينَ كَذَّبُوا
محمدا بطشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ يقول: فَحَرَقُوا الْبِلَادَ فَسَارُوا فِيهَا، فَطَافُوا
وتوغَّلوا إلى الأفاصي منها قال امرؤ القيس:

لَقَدْ تَقَبُّتُ فِي الْأَفَاقِ حَسْرَ ضَيْتٍ مِنَ الْعَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24742- حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، ثني معاوية، عن عليّ، عن
ابن عباس فَتَقَبُّوا فِي الْبِلَادِ قال: أثروا.

24743- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى
وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي
نجيح، عن مجاهد، في قوله: فَتَقَبُّوا فِي الْبِلَادِ قال: يقول: عملوا في البلاد
ذاك النقب. ذكر من قال ذلك:

وقوله: هَلْ مِنْ مَحِيصٍ يقول جُلُّ ثنائه: فهل كان لهم بتنقيبهم في البلاد من
معدل عن الموت وَمَنْجِيٍّ مِنَ الْهَلَاكِ إِذْ جَاءَهُمْ أَمْرُنَا. وأضمرت كان في هذا
الموضع، كما أضمرت في قوله وكأينُ مِنْ قَرِيْبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيْبِكَ
التي أْحْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ بِمَعْنَى: فلم يكن لهم ناصر عند
إهلاكهم. وقرأت القراء قوله فَتَقَبُّوا بِالتشديد وفتح القاف على وجه الخبر
عنهم. وُذِّكِرَ عَنِ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ذَلِكَ «فَتَقَبُّوا» بِكسْرِ الْقَافِ
عَلَى وَجْهِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ: أَي طَوَّفُوا فِي الْبِلَادِ، وَتَرَدَّدُوا فِيهَا، فَإِنَّكُمْ لَنْ
تَفُوتُونَا بِأَنْفُسِكُمْ. وينحو الذي قلنا في تأويل قوله مِنْ مَحِيصٍ قال أهل
التأويل. ذكر من قال ذلك:

24744- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَكَمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ... حَتَّى بَلَغَ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ قَدْ حَاصَ الْفَجْرَةَ فوجدوا
أمر الله مُتَّبِعًا.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله:
فَتَقَبُّوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ قال: حاص أعداء الله، فوجدوا أمر الله لهم
مُذْرَكًا.

24745- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في
قوله: هَلْ مِنْ مَحِيصٍ قال: هل من منجي.

الآية : 37

إِقُولُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ
أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}.

يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا القرون التي أهلكتنا من قبل قريش
لَذِكْرًا يُنذِرُ بِهَا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ يَعْنِي: لمن كان له عقل من هذه الأمة،
فينتهي عن الفعل الذي كانوا يفعلونه من كفرهم بربهم، خوفاً من أن يحلَّ
بهم مثل الذي حلَّ بهم من العذاب. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل
التأويل. ذكر من قال ذلك: 24746- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال:
حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ: أي من
هذه الأمة، يعني بذلك القلب: القلب الحي.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ قَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

24747_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ قَالَ: قلب يعقل ما قد سمع من الأحاديث التي ضرب الله بها من عصاه من الأمم. والقلب في هذا الموضع: العقل. وهو من قولهم: ما لفلان قلب، وما قلبه معه: أي ما عقله معه. وأين ذهب قلبك؟ يعني أين ذهب عقلك.

وقوله: أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ يقول: أو أصغى لإخبارنا إياه عن هذه القرون التي أهلكتها بسمعه، فيسمع الخبر عنهم، كيف فعلنا بهم حين كفروا بربهم، وعصوا رسله وَهُوَ شَهِيدٌ يقول: وهو متفهم لما يخبر به عنهم شاهد له بقلبه، غير غافل عنه ولا ساه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظهم فيه. ذكر من قال ذلك:

24748_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ يقول: إن استمع الذكر وشهد أمره، قال في ذلك: يجزيه إن عقله.

24749_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ قَالَ: وهو لا يحدث نفسه، شاهد القلب.

24750_ حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ قَالَ: العرب تقول: ألقى فلان سمعه: أي استمع بأذنيه، وهو شاهد، يقول: غير غائب.

24751_ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان إن في ذلك لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ قَالَ: يسمع ما يقول، وقلبه في غير ما يسمع.

وقال آخرون: عن بالشهيد في هذا الموضع: الشهادة. ذكر من قال ذلك:

24752_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ يعني بذلك أهل الكتاب، وهو شهيد على ما يقرأ في كتاب الله من بعث محمد صلى الله عليه وسلم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ على ما في يده من كتاب الله أنه يجد النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا.

24753_ قال: ثنا ابن ثور، قال: قال معمر، وقال الحسن: هو منافق استمع القول ولم ينتفع.

24754_ حدثنا أحمد بن هشام، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن السدي، عن أبي صالح في قوله: أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ قَالَ: المؤمن يسمع القرآن، وهو شهيد على ذلك.

24755_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ قَالَ: ألقى السمع يسمع ما قد كان مما لم

يعاين من الأحاديث عن الأمم التي قد مضت، كيف عذبهم الله وصنع بهم حين عصوا رسله.

الآية : 38

القول في تأويل قوله تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا السموات السبع والأرض وما بينهما من الخلائق في ستة أيام، وما مسنا من إغواء. كما:

24756- حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن أبي سنان، عن أبي بكر، قال: جاءت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد أخبرنا ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة؟ فقال: «خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَالْإِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ يَوْمَ الثَّلَاثِ، وَخَلَقَ الْمَدَائِنَ وَالْأَقْوَاتِ وَالْأَنْهَارَ وَعُمُرَانَهَا وَخَرَابَهَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْمَلَائِكَةَ يَوْمَ الْخَمِيسِ إِلَى ثَلَاثِ سَاعَاتٍ، يَعْنِي مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَخَلَقَ فِي أَوَّلِ الثَّلَاثِ السَّاعَاتِ الْأَجَالَ، وَفِي الثَّانِيَةِ الْأَقَةَ، وَفِي الثَّلَاثَةِ آدَمَ، قَالُوا: صَدَقْتَ إِنْ أَتَمَمْتَ، فَعَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَرِيدُونَ، فَغَضِبَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ فَاصْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ».

24757- قال: ثنا مهران، عن سفيانٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ قَالَ: مِنْ سَامَةَ.

24758- حدثني عليٌّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس، قوله: وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ يَقُولُ: مِنْ إِزْحَافٍ.

24759- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه عن ابن عباس: وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ يَقُولُ: وَمَا مَسَّنَا مِنْ تَصَبٍ.

24760- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ قَالَ: نَصَبٍ.

24761- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ... } الآية، أكذب الله اليهود والنصارى وأهل الفري على الله، وذلك أنهم قالوا: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح يوم السابع، وذلك عندهم يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: مِنْ لُغُوبٍ قَالَتْ الْيَهُودُ: إِنْ اللَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، فَفَرَّغَ مِنَ الْخَلْقِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَاسْتَرَحَ يَوْمَ السَّبْتِ، فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ، وَقَالَ: مَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ.

24762- حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرْنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ } كَانَ مِقْدَارُ كُلِّ أَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعْدُونَ.

24763- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ قَالَ: لَمْ يَمَسَّنَا فِي ذَلِكَ عَنَاءٌ، ذَلِكَ اللَّغُوبُ.

الآية : 39-40

القول في تأويل قوله تعالى: { فَاصْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء اليهود، وما يفترون على الله، ويكذبون عليه، فإن الله لهم بالمرصاد وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ يَقُولُ: وصلِّ بحمد ربك صلاة الصبح قبل طلوع الشمس وصلاة العصر قبل الغروب. كما:

24764_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ لصلاة الفجر، وقبل غروبها: العصر.

24765_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ قبل طلوع الشمس: الصبح، وقبل الغروب: العصر.

وقوله: وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ اختلف أهل التأويل في التسيح الذي أمر به من الليل، فقال بعضهم: عنى به صلاة العتمة. ذكر من قال ذلك:

24766_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَمِنَ اللَّيْلِ قال: العتمة.

وقال آخرون: هي الصلاة بالليل في أي وقت صلى. ذكر من قال ذلك:

24767_ حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ قال: من الليل كله.

والقول الذي قاله مجاهد في ذلك أقرب إلى الصواب، وذلك أن الله جل ثناؤه قال: وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ فلم يحدِّ وقتاً من الليل دون وقت. وإذا كان ذلك كذلك كان على جميع ساعات الليل. وإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا، فهو بأن يكون أمراً بصلاة المغرب والعشاء، أشبه منه بأن يكون أمراً بصلاة العتمة، لأنهما يصليان ليلاً.

وقوله: وَأُدْبَارَ السُّجُودِ يقول: يقول: سبح بحمد ربك أدبار السجود من صلاتك.

واختلف أهل التأويل في معنى التسيح الذي أمر الله نبيه أن يسبحه أدبار السجود، فقال بعضهم: عنى به الصلاة، قالوا: وهما الركعتان اللتان يصليان بعد صلاة المغرب. ذكر من قال ذلك:

24768_ حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا حكام، قال: حدثنا عنبسة، عن أبي إسحاق، عن الحارث، قال: سألت علياً، عن أدبار السجود، فقال: الركعتان بعد المغرب.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عُليّة، قال: حدثنا ابن جُرَيج، عن مجاهد، قال: قال عليّ رضي الله عنه: أدْبَارَ السُّجُودِ: الركعتان بعد المغرب.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا مصعب بن سلام، عن الأجلح، عن أبي إسحاق، عن الحارث، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: أدْبَارَ السُّجُودِ: الركعتان بعد المغرب.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن عليّ رضي الله عنه، في قوله: وَأُدْبَارَ السُّجُودِ قال: الركعتان بعد المغرب.

24769_ قال: حدثنا ثنا يحيى، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن عاصم بن ضمرة، عن الحسن بن عليّ رضي الله عنهما، قال: أدْبَارَ السُّجُودِ: الركعتان بعد المغرب.

24770- حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا حماد, قال: حدثنا عليّ بن زيد, عن أوس بن خالد, عن أبي هريرة, قال: أدبار السجود: ركعتان بعد صلاة المغرب.

24771- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن علوان بن أبي مالك, عن الشعبي, قال: أدبار السجود الركعتان بعد المغرب.

24772- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهرا, عن سفيان, عن جابر, عن عكرمة, عن ابن عباس وإبراهيم بن مهاجر, عن مجاهد أدبار السجود: الركعتان بعد المغرب.

24773- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن إبراهيم بن مهاجر, عن إبراهيم, مثله.

24774- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن إبراهيم بن مهاجر, عن إبراهيم في هذه الآية وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحُهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ قال: الركعتان قبل الصبح, والركعتان بعد المغرب, قال شعبة: لا أدري أيتهما أدبار السجود, ولا أدري أيتهما إدبار النجوم.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وأدبار السجود قال: كان مجاهد يقول: ركعتان بعد المغرب.

24775- حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وأدبار السجود قال: هما السجودتان بعد صلاة المغرب.

24776- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو فضيل, عن رشدين بن كريب, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ابنَ عَبَّاسٍ رَكَعَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ أَدْبَارُ السُّجُودِ».

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: أخبرنا أبو زرعة, وهبة الله بن راشد, قال: أخبرنا حيوة بن شريح, قال: أخبرنا أبو صخر, أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصهباء البكري يقول: سألت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن أدبار السجود قال: هما ركعتان بعد المغرب.

24777- حدثني سعيد بن عمرو السكوني, قال: حدثنا بقية, قال: حدثنا جرير, قال: حدثنا حمير بن يزيد الرحبي, عن كريب بن يزيد الرحبي قال: وكان جبير بن نفيير يمشي إليه, قال: كان إذا صلى الركعتين قبل الفجر, والركعتين بعد المغرب أخفّ, وفسر إدبار النجوم, وأدبار السجود.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهرا, عن عيسى بن يزيد, عن أبي إسحاق الهمداني, عن الحسن وأدبار السجود: الركعتان بعد المغرب.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عنيسة, عن المعيرة, عن إبراهيم, قال: كان يقال: أدبار السجود: الركعتان بعد المغرب.

قال: ثنا عنيسة, عن إبراهيم بن مهاجر, عن مجاهد وأدبار السجود: الركعتان بعد المغرب.

قال: ثنا جرير, عن عطاء, قال: قال عليّ: أدبار السجود: الركعتان بعد المغرب.

24778- حدثنا ابن البرّ، قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: سُئِلَ الأوزاعيُّ عن الركعتين بعد المغرب، قال: هما في كتاب الله قَسَبْحُهُ وأدْبَارَ السُّجُودِ.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عديّ، عن حُمَيد، عن الحسن، عن عليّ رضي الله عنه، في قوله: وأدْبَارَ السُّجُودِ قال: الركعتان بعد المغرب. 24779- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة وأدْبَارَ السُّجُودِ قال: ركعتان بعد المغرب.

وقال آخرون: عنى بقوله وأدْبَارَ السُّجُودِ: التسبيح في أدبار الصلوات المكتوبات، دون الصلاة بعدها. ذكر من قال ذلك:

24780- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عليه، قال: حدثنا ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قال: قال ابن عباس في قَسَبْحُهُ وأدْبَارَ السُّجُودِ قال: هو التسبيح بعد الصلاة.

24781- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، في قوله: وأدْبَارَ السُّجُودِ قال: كان ابن عباس يقول: التسبيح. قال ابن عمرو: في حديثه في إثر الصلوات كلها. وقال الحارث في حديثه في دُبر الصلاة كلها.

وقال آخرون: هي النوافل في أدبار المكتوبات. ذكر من قال ذلك: 24782- حدثنا بشر، قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وأدْبَارَ السُّجُودِ: النوافل.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: هما الركعتان بعد المغرب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك، ولولا ما ذكرت من إجماعها عليه، لرأيت أن القول في ذلك ما قاله ابن زيد، لأن الله جلّ ثناؤه لم يخصص بذلك صلاة دون صلاة، بل عمّ أدبار الصلوات كلها، فقال: وأدبار السجود، ولم تقم بأنه معنيّ به: دبر صلاة دون صلاة، حجة يجب التسليم لها من خبر ولا عقل.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وأدْبَارَ السُّجُودِ فقرأته عامة قرّاء الحجاز والكوفة، سوى عاصم والكسائيّ «وإدْبَارَ السُّجُودِ» بكسر الألف، على أنه مصدر أدبر يُدبر إدباراً. وقرأه عاصم والكسائيّ وأبو عمرو وأدْبَارَ بفتح الألف على مذهب جمع دبر وأدبار. والصواب عندي الفتح على جمع دبر.

الآية : 41-42

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واستمع يا محمد صيحة يوم القيامة، يوم ينادي بها منادينا من موضع قريب. وذكّر أنه ينادي بها من صخرة بيت المقدس. ذكر من قال ذلك:

24783- حدثني عليّ بن سهل، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن سعيد بن بشر، عن قتادة، عن كعب، قال: واسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ قال ملك قائم على صخرة بيت المقدس ينادي: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

24784- حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة وَاسْتَمِعَ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ قال: كنا نحدِّث أنه ينادي من بيت المقدس من الصخرة، وهي أوسط الأرض.
24785- وَحَدَّثَنَا أَنْ كَعْبًا قَالَ: هِيَ أَقْرَبُ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ بِثَمَانِيَةِ عَشَرَ مِيلًا.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ قال: بلغني أنه ينادي من الصخرة التي في بيت المقدس.

24786- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَاسْتَمِعَ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ قال: هي الصيحة.

24787- حدثني علي بن سهل، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: ثني بعض أصحابنا، عن الأغر، عن مسلم بن حيان، عن ابن بريدة، عن أبيه بريدة، قال: مَلِكٌ قَائِمٌ عَلَى صَخْرَةٍ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَاضِعٌ أَصْبَعِيهِ فِي أُذُنَيْهِ ينادي، قال: قلت: بماذا ينادي؟ قال: يقول يا أيها الناس هلموا إلى الحساب قال: فيقبلون كما قال الله كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ.
وقوله: يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ يقول تعالى ذكره: يوم يسمع الخلائق صيحة البعث من القبور بالحق، يعني بالأمر بالإجابة لله إلى موقف الحساب.

وقوله: ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ يقول تعالى ذكره: يوم خروج أهل القبور من قبورهم.

الآية : 43-44

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ* يَوْمَ تَشْقُقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ}.
يقول تعالى ذكره: إنا نحن نُحْيِي الموتى ونميت الأحياء، وإلينا مصير جميعهم يوم القيامة يَوْمَ تَشْقُقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا يقول جل ثناؤه وإلينا مصيرهم يوم تشقق الأرض، فاليوم من صلة مصير.
وقوله: تَشْقُقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ يقول: تصدع الأرض عنهم. وقوله سِرَاعًا ونُصِبَتْ سِرَاعًا على الحال من الهاء والميم في قوله عنهم. والمعنى: يوم تشقق الأرض عنهم فيخرجون منها سرعًا، فاكتفى بدلالة قوله: يَوْمَ تَشْقُقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ على ذلك من ذكره.
وقوله: ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ يقول: جمعهم ذلك جمع في موقف الحساب، علينا يسير سهل.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {تَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِدِ}.
يقول تعالى ذكره: نحن يا محمد أعلم بما يقول هؤلاء المشركون بالله من فريتهم على الله، وتكذيبهم بآياته، وإنكارهم قدرة الله على البعث بعد الموت وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ يقول: وما أنت عليهم بمسلط. كما:
24788- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعًا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ قال: لا تتجبر عليهم.

24789_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِهَ الْجَبْرِيَّةَ، ونهى عنها، وقدم فيها. وقال الفراء: وضع الجبار في موضع السلطان من الجبرية وقال: أنشدني المفضل:

وَيَوْمَ الْحَزْنِ إِذْ حَسَدَتْ مَعَدُّوكَانَ النَّاسِ إِلَّا تَحْنُ دِينَا
عَصَيْنَا عَزْمَةَ الْجَبَّارِ حَتَّى صَبَحْنَا الْجَوْفَ أَلْفَا مُعَلِّمِينَا

ويروى: «الجوف» وقال: أراد بالجبار: المنذر لولايته.

قال: وقيل: إن معني قوله: وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ لم تُبعث لتجبرهم على الإسلام، إنما بعثت مذكرا، فذكر. وقال: العرب لا تقول فعال من أفعلت، لا يقولون: هذا خراج، يريدون: مُخْرَج، ولا يقولون: دَخَال، يريدون: مُدْخِل، إنما يقولون: فعال، من فعلت ويقولون: خراج، من خرجت ودخال: من دخلت وقاتل، من قتلت. قال: وقد قالت العرب في حرف واحد: دَرَاك، من أدركت، وهو شاذ.

قال: فإن قلت الجبار علي هذا المعنى، فهو وجه. قال: وقد سمعت بعض العرب يقول: جبره على الأمر، يريد: أجبره، فالجبار من هذه اللغة صحيح، يراد به: يقهرهم ويجبرهم.

وقوله: فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَيْدٍ يقول تعالى ذكره: فذكر يا محمد بهذا القرآن الذي أنزلته إليه من يخاف الوعيد الذي أوعده من عصاني وخالف أمري.

24790_ حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي، قال: حدثنا حكام الرازي، عن أيوب، عن عمرو الملائي، عن ابن عباس، قال: قالوا يا رسول الله لو خوِّفتنا؟ فنزلت فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَيْدٍ.

24791_ حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا حكام، عن أيوب بن سيار أبي عبد الرحمن، عن عمرو بن قيس، قال: قالوا: يا رسول الله، لو ذكرتنا، فذكر مثله.

سورة الذاريات

سورة الذاريات مكية
وآياتها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1-6

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * قَالَحَامِلَاتٍ وُقُرَاءً *
قَالجَارِيَاتِ يُسْرًا * قَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ
لَوَاقِعٌ}.

يقول تعالى ذكره وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا يقول: والرياح التي تذر التراب ذروا، يقال: ذرت الريح التراب وأذرت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24792_ حدثنا هناد بن السري، قال: حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن خالد بن عرعر، قال: قام رجل إلى علي رضي الله عنه، فقال: ما الذاريات ذروا، فقال: هي الريح.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن سِماك، قال: سمعت خالد بن عرعر، قال: سمعت علياً رضي الله عنه وقد خرج إلى الرخبة، وعليه بُردان، فقالوا: لو أن رجلاً سأل وسمع القوم، قال: فقام ابن الكوّاء، فقال: ما الذاريات ذرّوا؟ فقال: هي الرياح.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبيد الهلالي ومحمد بن بشار، قالوا: حدثنا محمد بن خالد بن عثمة، قال: حدثنا موسى بن يعقوب الزمعي، قال: حدثنا أبو الحويرث، عن محمد بن جُبَيْر بن مطعم، أخبره، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يخطب الناس، فقام عبد الله بن الكوّاء، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا قَالَ: هي الرياح.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، قال: سُئِلَ عَلِيٌّ بن أَبِي طالب، رضي الله عنه، عن الذاريات ذرّوا، فقال: الريح.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن عليٍّ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا قَالَ: الريح.

قال: مهران، حَدَّثَنَا عَنْ سَمَّاك، عَنْ خَالِدِ بْنِ عَرَعْرَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَقَالَ: الريح.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن القاسم بن أبي بزة، قال: سمعت أبا الطفيل، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: لا تسألوني عن كتاب ناطق، ولا سنة ماضية، إلا حدّثتكم، فسأله ابن الكوّاء عن الذاريات، فقال: هي الرياح.

حدثنا أبو كَرِيب، قال: حدثنا طلق، عن زائدة، عن عاصم، عن عليٍّ بن ربيعة، قال: سأل ابن الكوّاء علياً رضي الله عنه، فقال: وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا قَالَ: هي الرياح.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا جرير، عن عبد الله بن ربيع، عن أبي الطفيل، قال: قال ابن الكوّاء لعلي رضي الله عنه: ما الذاريات ذرّوا؟ قال: الريح.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني يحيى بن أيوب، عن أبي صخرة، عن أبي معاوية البجلي، عن أبي الصهباء البكري، عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: وهو على المنبر لا يسألني أحد عن آية من كتاب الله إلا أخبرته، فقام ابن الكوّاء، وأراد أن يسأله عما سأل عنه صبيغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: ما الذاريات ذرّوا؟ قال عليٌّ: الريح.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، أن رجلاً سأل علياً عن الذاريات، فقال: هي الرياح.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن وهب بن عبد الله، عن أبي الطفيل، قال سأل ابن الكوّاء علياً، فقال: ما الذاريات ذرّوا؟ قال: الريح.

24793_ حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا قَالَ: كان ابن عباس يقول: هي الرياح.

24794_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: وَالذَّارِيَاتِ قَالَ: الريح.

وقوله: فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا يَقُول: فَالسَّحَابِ الَّتِي تَحْمِلُ وِقْرَهَا مِنَ الْمَاءِ.

وقوله: فالجاريات يُسرا يقول: فالسفن التي تجري في البحار سهلاً يسيرا فالمُقَسَّماتِ أمراً يقول: فالملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24795_ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن خالد بن عرعة, قال: قام رجل إلى علي رضي الله عنه, فقال: ما الجاريات يسرا؟ قال: هي السفن قال: فما الحاملات وقرا؟ قال: هي السحاب قال: فما المقسمات أمرا؟ قال: هم الملائكة.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن سماك, قال: سمعت خالد بن عرعة, قال: سمعت عليا رضي الله عنه. وقيل له: ما الحاملات وقرا؟ قال: هي السحاب قال: فما الجاريات يسرا؟ قال: هي السفن قال: فما المقسمات أمرا؟ قال: هي الملائكة.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن سماك, عن خالد بن عرعة, عن علي بنحوه.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبيد الله الهلالي ومحمد بن بشار, قالوا: حدثنا محمد بن خالد بن عثمة, قال: حدثنا موسى الزمعي, قال: ثني أبو الحُوَيْرث, عن محمد بن جُبَيْر بن مطعم أخبره, قال: سمعت عليا يخطب الناس, فقام عبد الله بن الكوّاء فقال: يا أمير المؤمنين, أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: فالحاملات وقرا قال: هي السحاب فالجاريات يسرا قال: هي السفن فالمُقَسَّماتِ أمراً قال: الملائكة.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن القاسم بن أبي بزة, قال: سمعت أبا الطفيل, قال: سمعت عليا رضي الله عنه, فذكر نحوه.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا جرير, عن عبد العزيز بن رفيع, عن أبي الطفيل, قال: قال ابن الكوّاء لعلي, فذكر نحوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن وهب بن عبد الله, عن أبي الطفيل, قال: شهدت عليا رضي الله عنه, وقام إليه ابن الكوّاء, فذكر نحوه.

حدثنا أبو كُرَيْب, قال: حدثنا طَلْق بن غنام, عن زائدة, عن عاصم, عن علي بن ربيعة, قال: سأل ابن الكوّاء عليا, فذكر نحوه.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني يحيى بن أيوب, عن أبي صخر, عن أبي معاوية البجلي, عن أبي الصهباء البكري, عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه, نحوه.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, أن رجلاً سأل عليا, فذكر نحوه.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت, عن أبي الطفيل, عن علي بن مثله.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت, عن أبي الطفيل, قال: سئل فذكر مثله.

24796_ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فالحاملات وقرا قال: السحاب, قوله: فالمُقَسَّماتِ أمراً قال: الملائكة.

24797- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى
وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي
نجيح, عن مجاهد فالحاملاتِ وَقُرَا قال: السحاب تحمل المطر, فالجارياتِ
يُسْرَا قال: السفن فالمُقَسَّمَاتِ أَمْرَا قال: الملائكة ينزلها بأمره على من
يشاء.

قوله: أَيْمًا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ يقول تعالى ذكره: إن الذي توعدون أيها الناس
من قيام الساعة, وبعث الموتى من قبورهم لصادق, يقول: لكائن حق
يقين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24798- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى
وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي
نجيح, عن مجاهد, قوله: أَيْمًا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ والمعنى: لصدق, فوضع
الاسم مكان المصدر وَإِنَّ الدَّيْنَ لَوَاقِعٌ يقول: وإن الحساب والثواب والعقاب
لواجب, والله مجاز عباده بأعمالهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني
الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح,
عن مجاهد, قوله: وَإِنَّ الدَّيْنَ لَوَاقِعٌ قال: الحساب.

24799- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله:
أَيْمًا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ وَإِنَّ الدَّيْنَ لَوَاقِعٌ وذلك يوم القيامة, يوم يُدان الناس فيه
بأعمالهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَإِنَّ
الدَّيْنَ لَوَاقِعٌ قال: يوم يدين الله العباد بأعمالهم.

24800- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في
قوله: وَإِنَّ الدَّيْنَ لَوَاقِعٌ قال: لكائن.

الآية : 7-9

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ * إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ
مُخْتَلِفٍ * يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أْفِكًا }.

يقول تعالى ذكره: والسماء ذات الخلق الحسن. وعنى بقوله: ذَاتِ الْحُبُكِ:
ذات الطرائق, وتكسير كل شيء: حُبُكُه, وهو جمع جِبَاكِ وَحَبِيكَة يقال
لتكسير الشعرة الجعدة: حُبِكُ وللرملة إذا مرّت بها الريح الساكنة, والماء
القائم, والدرع من الحديد لها: حُبُكُ ومنه قول الراجز:
كَأَيْمًا جَلَلَهَا الْحَوَاكِطُفَيْسَةَ فِي وَشِيهَا جِبَاكُ
(أَذْهَبَهَا الْحُقُوقُ وَالذَّرَاكُ)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, وإن اختلفت ألفاظ قائله فيه.
ذكر من قال ذلك:

24801- حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس, قال: حدثنا عَبَّسُ,
قال: حدثنا حصين, عن عكرمة, عن ابن عباس, قوله: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ
قال: ذات الخلق الحسن.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عطاء
بن السائب, عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ قال:
حُسْنُهَا وَاسْتَوَاؤُهَا.

24802_ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن عطاء, عن سعيد بن جبير والسَّمَاءِ ذَاتِ الْخُبُكِ قال: حبكها: حسنها واستواؤها.

24803_ قال: ثنا حكام, قال: حدثنا عمرو, عن عمر بن سعيد بن مسروق أخي سفيان, عن خصيف, عن سعيد بن جبير والسَّمَاءِ ذَاتِ الْخُبُكِ قال: ذات الزينة.

24804_ حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا بشر بن المفضل, عن عوف, عن الحسن, قوله: والسَّمَاءِ ذَاتِ الْخُبُكِ قال: حبكت بالخلق الحسن, حبكت بالنجوم.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوزة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: والسَّمَاءِ ذَاتِ الْخُبُكِ قال: حبكت بالخلق الحسن, حبكت بالنجوم.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عثمان بن الهيثم, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: والسَّمَاءِ ذَاتِ الْخُبُكِ قال: ذات الخلق الحسن, حُبِكَتْ بالنجوم.

24805_ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عليّ, قال: حدثنا عمران بن حدير, قال: سُئِلَ عكرمة, عن قوله: والسَّمَاءِ ذَاتِ الْخُبُكِ قال: ذات الخلق الحسن, ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب قال: ما أحسن ما حبكه.

24806_ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُليّة, قال: حدثنا أيوب, عن أبي قلابة, عن رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ الْكِدَابَ الْمُضِلَّ، وَإِنَّ رَأْسَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُبُّكَ حُبُّكَ» يعني بالحبك: الجعودة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس والسَّمَاءِ ذَاتِ الْخُبُكِ قال: استواؤها: حسنها.

24807_ قال: ثنا مهران, عن عليّ بن جعفر, عن الربيع بن أنس والسَّمَاءِ ذَاتِ الْخُبُكِ قال: ذات الخلق الحسن.

24808_ قال: ثنا مهران, عن سعيد, عن قتادة, قال: حُبُّكها نجومها. وكان ابن عباس يقول: الْخُبُكِ ذات الخلق الحسن.

24809_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: والسَّمَاءِ ذَاتِ الْخُبُكِ: أي ذات الخلق الحسن. وكان الحسن يقول: حبكها: نجومها.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ذَاتِ الْخُبُكِ قال: ذات الخلق الحسن.

24810_ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: والسَّمَاءِ ذَاتِ الْخُبُكِ قال: المتقن البنيان.

24811_ حُدِّثَتْ عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: والسَّمَاءِ ذَاتِ الْخُبُكِ يقول: ذات الزينة, ويقال أيضا: حبكها مثل حبك الرمل, ومثل حبك الدرع, ومثل حبك الماء إذا ضربته الريح, فنسجته طرائق.

24812_ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ذَاتِ الْخُبُكِ قال: الشدة حُبِكَتْ شُدَّتْ. وقرأ قول الله تبارك وتعالى: وَبَيَّنَّا قَوْمَكُمْ سَبْعًا سَبْعًا.

حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ** قال: **ذات الخلق الحسن** ويقال: **ذات الزينة**.

وقيل: **عنى بذلك السماء السابعة**. ذكر من قال ذلك:

24813- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي وأبو داود، قالوا: حدثنا عمران القطان، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن عمرو البكاليّ، عن عبد الله بن عمرو والسماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ قال: **السماء السابعة**.

حدثني القاسم بن بشير بن معروف، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا عمران القطان، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان، عن عمرو البكاليّ، هكذا قال القاسم، عن عبد الله بن عمرو نحوه.

وقوله: **إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ** يقول: **إنكم أيها الناس لفي قول مختلف في هذا القرآن، فمن صدّق به ومكذّب. كما:**

24814- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة **إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ** قال: **مصدّق بهذا القرآن ومكذّب**.

24815- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ** قال: **يتخَرّصون يقولون: هذا سحر، ويقولون: هذا أساطير، فبأيّ قولهم يؤخذ، قتل الخَرّاصون هذا الرجل، لا بدّ له من أن يكون فيه أحد هؤلاء، فما لكم لا تأخذون أحد هؤلاء، وقد رميتموه بأقويل شتى، فبأيّ هذا القول تأخذون، هذا الرجل الآن فهو قول مختلف. قال: فذكر أنه تخرّص منهم ليس لهم بذلك علم قالوا: فما منع هذا القرآن أن ينزل باللسان الذي نزلت به الكتب من قبلك، فقال الله: **أعجميّ وعربيّ؟** لو جعلنا هذا القرآن أعجمياً لقلتم نحن عرب وهذا القرآن أعجميّ، فكيف يجتمعان.**

وقوله: **يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنَ أْفِكًا** يقول: **يصرف عن الإيمان بهذا القرآن من صرف، ويدفع عنه من يُدفع، فيُخَرّمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:**

24816- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنَ أْفِكًا** قال ابن عمرو في حديثه: **يوفى، أو يُؤفّق، أو كلمة تشبهها. وقال الحارث: يُؤفّقن، بغير شك.**

24817- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن الحسن **يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنَ أْفِكًا** قال: **يُصرف عنه من صرف.**

24818- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة **يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنَ أْفِكًا** فالمأفوك عنه اليوم، يعني كتاب الله.

24819- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنَ أْفِكًا** قال: **يُؤفّق عنه المشركون.**

الآية : 10-13

القول في تأويل قوله تعالى: **{ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ * يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ }**. يقول تعالى ذكره: **لعن المتكهنون الذين يتخَرّصون الكذب والباطل فيتظنونونه.**

واختلف أهل التأويل في الذين عُتُوا بقوله قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ فقال بعضهم: عُنِيَ به المرتابون. ذكر من قال ذلك:

24820_ حدثني عليٌّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس، قوله: قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ يقول: لعن المرتابون. وقال آخرون في ذلك بالذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

24821_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ قال: الكهنة.

24822_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ قال: الذين يتخرصون الكذب كقوله في عبس قُتِلَ الْإِنْسَانُ، وقد حدثني كل واحد منهما بالإسناد الذي ذكرت عنه، عن مجاهد، قوله: قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ قال: الذين يقولون: لا تُبْعَثْ ولا يُوقِنُونَ.

24823_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ: أهل الظنون.

24824_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ قال: القوم الذين كانوا يتخرصون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت طائفة: إنما هو ساحر، والذي جاء به سحر. وقالت طائفة: إنما هو شاعر، والذي جاء به شعر وقالت طائفة: إنما هو كاهن، والذي جاء به كهانة وقالت طائفة أساطير الأولين اكتتبتا قهي تملى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا يتخرصون على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: وَالَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ يقول تعالى ذكره: الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ وَغَلَبَتْهَا عَلَيْهِمْ مَتَمَادُونَ، وعن الحق الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ساهون، قد لهُوا عنه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم في البيان عنه. ذكر من قال ذلك:

24825_ حدثني عليٌّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس، قوله: الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ يقول: في ضلاتهم يتمادون.

24826_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ قال: في غفلة لاهون.

24827_ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ يقول: في غمرة وشبهة.

24828_ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهرا، عن سفيان عَمْرَةٍ سَاهُونَ قال: في غفلة.

24829_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ قال: ساهون عما أتاهم، وعما نزل عليهم، وعما أمرهم الله تبارك وتعالى، وقرأ قول الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَلَّ قُلُوبُهُمْ فِي عَمْرَةٍ مِنْ هَذَا... الآية، وقال: ألا ترى الشيء إذا أخذته ثم غمرته في الماء.

24830_ حدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ: قلبه في كنانة.

وقوله: يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ؟ يقول تعالى ذكره: يسأل هؤلاء الخِزَّاصون الذين وصف صفتهم متى يوم المجازاة والحساب، ويوم يُدِينُ الله العباد بأعمالهم. كما:

24831_ حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ قال: الذين كانوا يجحدون أنهم يُدانون، أو يُبعثون.

24832_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ قال: يقولون: متى يوم الدين، أو يكون يوم الدين.

وقوله: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ يقول تعالى ذكره: يوم هم على نار جهنم يفتنون.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله يُفْتَنُونَ في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى به أنهم يعدَّبون بالإحراق بالنار. ذكر من قال ذلك:

24833_ حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ يقول: يعدَّبون.

24834_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ قال: ففنتهم أنهم سألوا عن يوم الدين وهم موقوفون على النار دُوقُوا ففنتكم هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ فقالوا حين وقفوا: يَا وَبِلْنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ، وقال الله تبارك وتعالى هَذَا يَوْمَ الْقِصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكذِّبُونَ.

24835_ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: يُفْتَنُونَ قال: كما يفتن الذهب في النار.

24836_ حدثني يعقوب، قال: ثني هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عكرمة، في قوله: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ قال: يعدَّبون في النار يحرقون فيها، ألم تر أن الذهب إذا ألقى في النار قيل فتن.

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: حدثنا محمد بن الصلت، قال: حدثنا أبو كدينة، عن حصين، عن عكرمة يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ قال: يعدَّبون.

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: حدثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن مجاهد يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ يقول: يُنصَّجون بالنار.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن الحصين، عن عكرمة يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ قال: يحرقون.

24837_ حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ يقول: يحرقون.

24838_ حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ قال: يطبخون، كما يفتن الذهب بالنار.

24839_ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ قال: يحرقون بالنار.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ قال: يحرقون.

وقال آخرون: بل عنى بذلك أنهم يكذبون. ذكر من قال ذلك:

24840_ حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد,
قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ يقول:
يطبخون, ويقال أيضا يُفْتَنُونَ يكذبون كل هذا يقال.
واختلف أهل العربية في وجه نصب اليوم في قوله: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ
يُفْتَنُونَ فقال بعض نحويي البصرة: نصبت على الوقت والمعنى في أَيَّانَ يَوْمَ
الَّذِينَ: أي متى يوم الدين, ف قيل لهم: في يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ, لأن
ذلك اليوم يوم طويل فيه الحساب, وفيه فتنهم على النار.
وقال بعض نحويي الكوفة: إنما نصبت يَوْمَ هُمْ لأنك أضفته إلى شيئين, وإذا
أضيف اليوم واللييلة إلى اسم له فعل, وارتفعاً نصب اليوم, وإن كان في
موضع خفض أو رفع إذا أضيف إلى فَعَلٍ أو يَفْعَلُ أو إذا كان كذلك, ورفع
في موضع الرفع, وخفضه في موضع الخفض يجوز: فلو قيل يَوْمَ هُمْ عَلَى
النَّارِ يُفْتَنُونَ فرفع يومٌ, لكان وجهها, ولم يقرأ به أحد من القراء.
وقال آخر منهم: إنها نصب يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ لأنه إضافة غير محضة
فنصب, والتأويل رفع, ولو رفع لجاز لأنك تقول: متى يومك؟ فتقول: يوم
الخميس, ويوم الجمعة, والرفع الوجه, لأنه اسم قابل اسماً فهذا الوجه.
وأولى القولين بالصواب في تأويل قوله: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ قول
من قال: يعدَّبون بالإحراق, لأن الفتنة أصلها الاختبار, وإنما يقال: فتن
الذهب بالنار: إذا طبختها بها لتعرف جودتها, فكذلك قوله: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ
يُفْتَنُونَ يحرقون بها كما يحرق الذهب بها, وأما النصب في اليوم فلأنها
إضافة غير محضة على ما وصفنا من قول قائل ذلك.

الآية : 14-16

القول في تأويل قوله تعالى: {ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ
تَسْتَعْجِلُونَ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ
كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ يقال لهم: ذوقوا فتنكم وترك يقال
لهم لدلالة الكلام عليها.

ويعني بقوله: فِتْنَتَكُمْ: عذابكم وحريقكم. واختلف أهل التأويل في ذلك,
فقال بعضهم بالذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

24841_ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى
وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي
نجيح, عن مجاهد, قوله: فِتْنَتَكُمْ قال: حريقكم.

24842_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ذُوقُوا
فِتْنَتَكُمْ: ذوقوا عذابكم هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في
قوله: ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ يقول: يوم يعدَّبون, فيقول: ذوقوا عذابكم.

24843_ حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد,
قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ يقول: حريقكم.

24844_ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهرا, عن سفيان ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ
يقول: احتراقكم.

24845_ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في
قوله: ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ قال: ذوقوا عذابكم.

وقال آخرون: عنى بذلك: ذوقوا تعذيبكم أو كذبكم. ذكر من قال ذلك:

24846_ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **دُؤُوا فَنَتَّكُمُ** يقول: تكذيبكم. 24847_ حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **دُؤُوا فَنَتَّكُمُ** يقول: حريقكم، ويقال: كذبكم.

وقوله: **هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ** يقول تعالى ذكره: يقال لهم: هذا العذاب الذي تُوقَوْتُهُ اليوم، هو العذاب الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا. وقوله: **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله بطاعته، واجتنب معاصيه في الدنيا في بساتين وعيون ماءٍ في الآخرة. وقوله: **أَخَذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ** يقول تعالى ذكره: عاملين ما أمرهم به ربهم مؤدبين فرائضه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24848_ حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبي عمر، عن مسلم البطين، عن ابن عباس، في قوله: **أَخَذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ** قال: الفرائض.

وقوله: **إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ** يقول: إنهم كانوا قبل أن يفرض عليهم الفرائض محسنين، يقول: كانوا لله قبل ذلك مطيعين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24849_ حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبي عمر، عن مسلم البطين، عن ابن عباس **إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ** قال: قبل الفرائض محسنين يعملون.

الآية : 17-19

القول في تأويل قوله تعالى: **{ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَعْجِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ }**.
اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: **كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ** قال بعضهم: معناه كانوا قليلا من الليل لا يهجعون، وقالوا: «ما» بمعنى الجحد. ذكر من قال ذلك:

24850_ حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالوا: حدثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عدي، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك **كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ** قال: يتيقظون يصلون ما بين هاتين الصلاتين، ما بين المغرب والعشاء.

حدثني زريق بن الشحب، قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس، بنحوه.

24851_ حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالوا: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا بكير بن أبي السمط، عن قتادة، عن محمد بن علي، في قوله: **كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ** قال: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة.

24852_ قالوا: ثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن قتادة، عن مطرف، في قوله: **كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ** قال: قلَّ ليلة أتت عليهم إلا صلوا فيها.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال مطرف بن عبد الله في قوله: **كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ** قلَّ ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها الله. إما من أولها، وإما من وسطها.

24853- حدثنا أبو كُريب, قال: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا ابن أبي ليلى, عن المنهال, عن سعيد بن جُبَيْر, عن ابن عباس كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال لم يكن يمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئاً.

24854- قال: ثنا ابن يمان, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, قال: كانوا يصيبون فيها حظاً.

24855- حدثني علي بن سعيد الكندي, قال: حدثنا حفص بن عاصم, عن أبي العالية, في قوله: كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: لا ينامون بين المغرب والعشاء.

24856- حدثنا ابن جُمَيد, قال: حدثنا حكام ومهران, عن أبي جعفر, عن الربيع كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: كانوا يصيبون من الليل حظاً.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عليه, عن سعيد بن أبي عروبة, عن مطرف, في قوله: كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها.

24857- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: كان لهم قليل من الليل ما يهجعون, كانوا يصلونه.

24858- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عليه, قال: سمعت ابن أبي نجيح, يقول في قوله: كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: كانوا قليلاً ما ينامون ليلة حتى الصباح.

24859- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعاً, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: قليل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهدون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: كانوا قليلاً من الليل يهجعون, ووجهها ما التي في قوله: ما يَهْجَعُونَ إلى أنها صلة. ذكر من قال ذلك:

24860- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة, في قوله: كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: قال الحسن: كابدوا قيام الليل.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان الحسن يقول: لا ينامون منه إلا قليلاً.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عليه, عن بعض أصحابنا, عن الحسن, في قوله: كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: لا ينامون من الليل إلا أقله.

24861- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا عوف, عن سعيد بن أبي الحسن, في قوله: كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: قل ليلة أتت عليهم هجوعاً.

24862- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: قال الأحنف بن قيس, في قوله: كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: كانوا لا ينامون إلا قليلاً.

24863- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا الحكم بن عطية, عن قتادة, قال: قال الأحنف بن قيس, وقرأ هذه الآية كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: لست من أهل هذه الآية.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عدي, عن سعيد, عن قتادة, عن الحسن, في قوله: كَأْتُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: قيام الليل, 24864- حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن يونس, عن الحسن, قال: نشطوا فمدّوا إلى السحر.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهراّن, عن سفيان, عن يونس بن عبيد, عن الحسن, قال: مدّوا في الصلاة ونشطوا, حتى كان الاستغفار بسحر. قال: ثنا مهراّن, عن سعيد بن أبي عروبة, عن قتادة, عن الحسن قال: كانوا لا ينامون من الليل إلا قليلاً.

24865- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, في قوله: كَأْتُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: كان الحسن والزهرى يقولان: كانوا كثيراً من الليل ما يصلون. وقد يجوز أن تكون ما على هذا التأويل في موضع رفع, ويكون تأويل الكلام: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم وأما من جعل ما صلة, فإنه لا موضع لها ويكون تأويل الكلام على مذهبه كانوا يهجعون قليل الليل, وإذا كانت ما صلة كان القليل منصوباً بيهجعون.

24866- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور عن إبراهيم كانوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: ما ينامون. وقال آخرون: بل معنى ذلك: كانوا يصلون العتمة, وعلى هذا التأويل ما في معنى الجحد. ذكر من قال ذلك:

24867- حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالوا: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة, في قوله: كَأْتُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: قال رجل من أهل مكة: سماه قتادة, قال: صلاة العتمة. وقال آخرون: بل معنى ذلك: كان هؤلاء المحسنون قبل أن تفرض عليهم الفرائض قليلاً من الناس, وقالوا الكلام بعد قوله إِنَّهُمْ كَانُوا قَلِيلًا ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كانوا قليلاً مستأنف بقوله: مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ فالواجب أن تكون ما على هذا التأويل بمعنى الجحد. ذكر من قال ذلك:

24868- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد, عن الضحاك, في قوله: كَأْتُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ يقول: إن المحسنين كانوا قليلاً, ثم ابتدء فقليل مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وبالأسحار هُمْ يَسْتَعْفِرُونَ كما قال: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ثم قال: وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الزبير, عن الضحاك بن مزاحم كانوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: كانوا من الناس قليلاً.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن الزبير بن عدي, عن الضحاك بن مزاحم, في قوله: كَأْتُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: كانوا قليلاً من الناس من يفعل ذلك.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهراّن, عن سفيان, عن الزبير بن عدي, عن الضحاك بن مزاحم كانوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: كانوا قليلاً من الناس إذ ذاك.

حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: كَأْتُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال الله:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ... إِلَى مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا، يقول: المحسنون كانوا قليلاً، هذه مفصلة، ثم استأنف فقال: مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ.
وأما قوله: يَهْجَعُونَ فإنه يعني: ينامون، والهجوع: النوم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24869- حدثني عليٌّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليٍّ، عن ابن عباس كأنوا قليلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ يقول: ينامون.
24870- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم كأنوا قليلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: ينامون.
حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، مثله.

24871- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ الهجوع: النوم.
24872- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: كأنوا قليلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قال: كانوا قليلاً ما ينامون من الليل، قال: ذاك الهجع. قال: والعرب تقول: إذا سافرت اهجع بنا قليلاً. قال: وقال رجل من بني تميم لأبي: يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا، ذكر الله تبارك وتعالى قوماً فقال: كأنوا قليلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ونحن والله قليلاً من الليل ما نقوم قال: فقال أبي طوبى لمن رقد إذا نعس وأتقى الله إذا استيقظ.

وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله: كأنوا قليلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ قول من قال: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحا لهم، وأثنى عليهم به، فوصفهم بكثرة العمل، وسهر الليل، ومكابדתه فيما يقربهم منه ويرضيه عنهم أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل، وكثرة النوم، مع أن الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل.

وقوله: وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: وبالأسحار يصلون. ذكر من قال ذلك:

24873- حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ يقول: يقومون فيصلون، يقول: كانوا يقومون وينامون، كما قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ فَمَا نَوْمٌ، وهذا قيام وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ كَذَلِكَ يَقُومُونَ ثُلُثًا وَنِصْفًا وَثُلُثِينَ: يقول: ينامون ويقومون.

24874- حدثنا ابن حَمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن جيلة بن سحيم، عن ابن عمر، قوله: وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: يصلون.

24875- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: يصلون.

وقال آخرون: بل عنى بذلك أنهم أخوا الاستغفار من ذنوبهم إلى السحر. ذكر من قال ذلك:

24876- حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن يونس بن عبيد, عن الحسن, قال: مَدُّوا فِي الصَّلَاةِ وَتَشِطُّوا, حَتَّى كَانَ الِاسْتِغْفَارُ بِسِحْرٍ.

24877- حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَعْفِرُونَ قال: هم المؤمنون, قال: وبلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يعقوب حين سأله أن يستغفر لهم قالوا يا أبانا اسْتَغْفِرْ لَنَا دُثُوبَنَا قَالَ سَوِّفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي قَالَ: قال بعض أهل العلم: إنه آخر الاستغفار إلى السحر. قال: وذكر بعض أهل العلم أن الساعة التي تفتح فيها أبواب الجنة: السحر.

24878- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: سمعت ابن زيد يقول: السحر: هو السدس الأخير من الليل.

وقوله: وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ يقول تعالى ذكره: وفي أموال هؤلاء المحسنين الذين وصف صفتهم حق لسائلهم المحتاج إلى ما في أيديهم والمحروم. وبنحو الذي قلنا في معنى السائل, قال أهل التأويل, وهم في معنى المحروم مختلفون, فمن قائل: هو المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم. ذكر من قال ذلك:

24879- حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن قيس بن كركم, عن ابن عباس سأله عن السائل والمحروم, قال: السائل: الذي يسأل الناس, والمحروم: الذي ليس له في الإسلام سهم وهو محارف.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه عن ابن عباس, قوله: وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ قال: المحروم: المحارف.

حدثنا سهل بن موسى الرازي, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن قيس بن كركم, عن ابن عباس, قال: السائل: السائل. والمحروم: المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم.

حدثنا سهل بن موسى, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن قيس بن كركم, عن ابن عباس, قال: المحروم: المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم.

حدثنا حُمَيد بن مسعدة, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا شعبة عن أبي إسحاق, عن قيس بن كركم, عن ابن عباس في هذه الآية للسائل والمحروم قال: السائل: الذي يسأل, والمحروم: المحارف.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: سمعت أبا إسحاق يحدث عن قيس بن كركم, عن ابن عباس, بنحوه.

24880- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول: الله تبارك وتعالى: المحروم, قال: المحارف.

وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

24881- حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَالْمَحْرُومِ: هو الرجل المحارف الذي لا يكون له مال إلا ذهب, قضى الله له ذلك.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن قيس بن كركم, قال: سألت ابن عباس عن قوله: للسائل والمخروم قال: السائل: الذي يسأل, والمحروم: المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم.

24882- حدثني محمد بن عمرو المقدمي, قال: حدثنا قريش بن أنس, عن سليمان, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب: المحروم: المحارف.

24883- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, عن إبراهيم, قال في المحروم: هو المحارف الذي ليس له أحد يعطف عليه, أو يعطيه شيئاً.

24884- حدثني ابن المثنى, قال: ثني وهب بن جرير, قال: حدثنا شعبة, عن عاصم, عن أبي قلابة, قال: جاء سيل باليمامة, فذهب بمال رجل, فقال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: هذا المحروم.

24885- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا أيوب, عن نافع, قال: المحروم: المحارف.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني مسلم بن خالد, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: المحروم: المحارف.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حجاج, عن الوليد بن العيزار عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس أنه قال: المحروم: هو المحارف.

24886- حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, عن أبي بشر, قال: سألت سعيد بن جبير, عن المحروم, فلم يقل فيه شيئاً, فقال عطاء: هو المحدود المحارف.

ومن قائل: هو المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئاً. ذكر من قال ذلك: حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني نافع بن يزيد, عن عمرو بن الحارث, عن بكير بن الأشج, عن سعيد بن المسيب, أنه سئل عن المحروم فقال: المحارف.

24887- حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وفي أموالهم حق للسائل والمخروم هذان فقيرا أهل الإسلام, سائل يسأل في كفه, وفقير متعفف, ولكليهما عليك حق يا ابن آدم.

24888- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهري للسائل والمخروم قال: السائل: الذي يسأل, والمحروم: المتعفف الذي لا يسأل.

24889- حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, قال: قال معمر, وحدثني الزهري, أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ الْمَسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمَرَةُ وَالْيُمْرَتَانِ وَالْأَكْلَةُ وَالْأَكْلَتَانِ», قالوا فمن المسكين يا رسول الله؟ قال: «الَّذِي لَا يَجِدُ غَنًى, وَلَا يُعْلَمُ بِحَاجَتِهِ فَيُتَّصَدَّقُ عَلَيْهِ فَذَلِكَ الْمَخْرُومُ».

24890- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: للسائل والمخروم قال: السائل الذي يسأل بكفه, والمحروم: المتعفف, ولكليهما عليك حق يا ابن آدم.

وقائل: هو الذي لا سهم له في الغنيمة. ذكر من قال ذلك:

24891- حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن قيس بن مسلم, عن الحسن بن محمد, إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية, فغنموا, فجاء قوم يشهدون الغنيمة, فنزلت هذه الآية: **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, عن سفيان, عن قيس بن مسلم الجدلي, عن الحسن بن محمد, قال: بعثت سرية فغنموا, ثم جاء قوم من بعدهم, قال: فنزلت **لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**.

24892- حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن إبراهيم أن أناسا قدموا على علي رضي الله عنه الكوفة بعد وقعة الجمل, فقال: اقسموا لهم, قال: هذا المحروم.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو نعيم, عن سفيان, عن قيس بن مسلم, عن الحسن بن محمد أن قوما في زمان النبي صلى الله عليه وسلم أصابوا غنيمة, فجاء قوم بعد, فنزلت وفي أموالهم حق للسائل والمحروم.

24893- حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عمرو, عن منصور, عن إبراهيم, قال: المحروم: الذي لا فيء له في الإسلام, وهو محارف من الناس.

قال: ثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيم, قوله: **لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** قال: المحروم: الذي لا يجري عليه شيء من الفيء, وهو محارف من الناس. وقائل: هو الذي لا ينمى له مال. ذكر من قال ذلك:

24894- حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن حصين, قال: سألت عكرمة, عن السائل والمحروم؟ قال: السائل: الذي يسألك, والمحروم: الذي لا ينمى له مال.

وقائل: هو الذي قد ذهب ثمره وزرعه. ذكر من قال ذلك:

24895- حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** قال: المحروم: المصاب ثمره وزرعه, وقرأ أفرأيتكم ما تحزبون أنتم تزرعون حتى بلغ بل تحزن محرومون وقال أصحاب الجنة: **إِنَّا لَصَالُونَ بَلْ تَحْنُ مَحْرُومُونَ**.

24896- حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عبد الله بن عياش, قال: قال زيد بن أسلم في قوله: **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** قال: ليس ذلك بالزكاة, ولكن ذلك مما ينفقون من أموالهم بعد إخراج الزكاة, والمحروم: الذي يصاب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته, فيكون له حق على من لم يصبه ذلك من المسلمين, كما قال لأصحاب الجنة حين أهلك جنتهم قالوا **بَلْ تَحْنُ مَحْرُومُونَ** وقال أيضا: **لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكُهُونَ إِنَّا لَمَعْرُومُونَ بَلْ تَحْنُ مَحْرُومُونَ**. وكان الشعبي يقول في ذلك ما.

24897- حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عليه, عن ابن عون, قال: قال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم.

والصواب من القول في ذلك عندي أنه الذي قد حرم الرزق واحتاج, وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره, فصار ممن حرمه الله ذلك, وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسألة, ويكون بأنه لا سهم له في الغنيمة لغيبته عن الوقعة, فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعم, كما قال جل ثناؤه: **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**.

الآية : 20-22

القول فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * } وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وفي الأرض عبر وعظات لأهل اليقين بحقيقة ما عاينوا ورأوا إذا ساروا فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24898- حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: وفي الأرض آياتٌ للموقنين قال: يقول: معتبر لمن اعتبر.

24899- حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وفي الأرض آياتٌ للموقنين إذا سار في أرض الله رأي عبرا وآيات عظاما. وقوله: وفي أنفسكم أفلا تبصرون؟ أختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: وفي سبيل الخلاء والبول في أنفسكم عبرة لكم، ودليل لكم على ربكم، أفلا تبصرون إلى ذلك منكم. ذكر من قال ذلك:

24900- حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصاري، قال: حدثنا أبو أسامة، عن ابن جريج، عن ابن المرتفع، قال: سمعت ابن الزبير يقول: وفي أنفسكم أفلا تبصرون قال: سبيل الغائط والبول.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهرا، عن سفيان، عن ابن جريج، عن محمد بن المرتفع، عن عبد الله بن الزبير وفي أنفسكم أفلا تبصرون قال: سبيل الخلاء والبول.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وفي تسوية الله تبارك وتعالى مفاصل أبدانكم وجوارحكم دلالة لكم على أن خلقتم لعبادته. ذكر من قال ذلك:

24901- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وفي أنفسكم أفلا تبصرون، وقرأ قول الله تبارك وتعالى وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ قال: وفيها آيات كثيرة، هذا السمع والبصر واللسان والقلب، لا يدري أحد ما هو أسود أو أحمر، وهذا الكلام الذي يتلجج به، وهذا القلب أي شيء هو، إنما هو مضغة في جوفه، يجعل الله فيه العقل، أفيدري أحد ما ذاك العقل، وما صفته، وكيف هو؟

والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: وفي أنفسكم أيضا أيها الناس آيات وعبر تدلكم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه، إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم أفلا تبصرون يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتتفكروا فيه، فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم.

وقوله: وفي السماء رزقكم يقول تعالى ذكره: وفي السماء: المطر والثلج اللذان بهما تخرج الأرض رزقكم، وقوتكم من الطعام والثمار وغير ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24902- حدثني محمد بن عبد الله بن بزيق، قال: حدثنا النضر، قال: حدثنا جويبر، عن الضحاك، في قوله: وفي السماء رزقكم قال: المطر.

24903- حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: وفي السماء رزقكم وما تُوعَدُونَ قال: الثلج، وكل عين ذائبة من الثلج لا تنقص.

24904- حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا سفيان، عن عبد الكريم، عن الحسن، قال: في السحاب فيه والله رزقكم، ولكنكم تُحرمونه بخطاياكم وأعمالكم.

24905- قال: أخبرنا سفيان, عن إسماعيل بن أمية, قال: أحسبه أو غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً ومطروا, يقول: ومطرنا ببعض عثانين الأسد, فقال: «كَذَّبْتَ, بَلْ هُوَ رِزْقُ اللَّهِ». 24906- حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن مجاهد وفي السماء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ قال: رزقكم المطر. 24907- قال: ثنا مهران, عن سفيان وفي السماء رِزْقُكُمْ قال: رزقكم المطر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ومن عند الله الذي في السماء رزقكم, وممن تأوله كذلك واصل الأحذب.

24908- حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا هارون بن المُغيرة من أهل الرأبي, عن سفيان الثوري, قال: قرأ واصل الأحذب هذه الآية وفي السماء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فقال: ألا إن رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض, فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيئا, فلما كان اليوم الثالث إذا هو دوخلة رطب, وكان له أخ أحسن نية منه, فدخل معه, فصارتا دوختين, فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرّق الموت بينهما.

واختلف أهل التأويل في تأويل, قوله: وَمَا تُوعَدُونَ فقال بعضهم: معنى ذلك: وما توعدون من خير, أو شر. ذكر من قال ذلك:

24909- حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن مجاهد وَمَا تُوعَدُونَ قال: وما توعدون من خير أو شر.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وفي السماء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ يقول: الجنة في السماء, وما توعدون من خير أو شر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما توعدون من الجنة والنار. ذكر من قال ذلك:

24910- حدثني محمد بن عبد الله بن بزيغ, قال: حدثنا النضر, قال:

أخبرنا جويبر, عن الضحاك, في قوله: وَمَا تُوعَدُونَ قال: الجنة والنار.

24911- حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان وَمَا تُوعَدُونَ من الجنة.

وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي, القول الذي قاله مجاهد, لأن الله عمّ الخبر بقوله: وَمَا تُوعَدُونَ عن كل ما وعدنا من خير أو شر, ولم يخص بذلك بعضا دون بعض, فهو على عمومته كما عمه الله جل ثناؤه.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: { قَوْرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره مقسما لخلقه بنفسه: قورب السماء والأرض, إن الذي قلت لكم أيها الناس: إن في السماء رزقكم وما توعدون لحق, كما حق أنكم تنطقون. وقد:

24912- حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عدي, عن عوف, عن الحسن, في قوله: قَوْرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه» وقال الفراء: للجمع بين «ما» و«إن»

في هذا الموضع وجهان: أحدهما: أن يكون ذلك نظير جمع العرب بين الشئيين من الأسماء والأدوات, كقول الشاعر في الأسماء:
مِنَ النَّقْرِ اللَّائِي الَّذِينَ إِذَا هُمُيْهَابُ اللَّثَامِ حَلَقَةَ الْبَابِ قَعَقَعُوا
فجمع بين اللائي والذين, وأحدهما مجزيء من الآخر وكقول الآخر في الأدوات:

مَا إِنْ رَأَيْتَ وَلَا سَمِعْتَ بِهَكَالْيَوْمِ طَالِي أَيْتَقِ جُرْبِ
فجمع بين «ما» وبين «إن», وهما جحذان يجزيء أحدهما من الآخر. وأما الآخر: فهو لو أن ذلك أفرد بما, لكان خبرا عن أنه حق لا كذب, وليس ذلك المعني به. وإنما أريد به: إنه لحق كما حق أن الأدمي ناطق. ألا ترى أن قولك: أحق منطلقك, معناه: أحق هو أم كذب, وأن قولك أحق أنك تنطق معناه للاستثبات لا لغيره, فأدخلت «أن» ليفرق بها بين المعنيين, قال: فهذا أعجب الوجهين إلي.

واختلفت القراء في قراءة قوله: مِثْلُ مَا أَتَكُمْ فَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَةً قَرَاءَ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةَ مِثْلُ مَا نَصَبًا بِمَعْنَى: إِنَّهُ لِحَقٌّ حَقًّا يَقِينًا كَأَنَّهُمْ وَجْهٌ إِلَى مَذْهَبِ الْمَصْدَرِ. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَصَبُهَا مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْعَرَبَ تَنْصِبُهَا إِذَا رَفَعَتْ بِهَا الْأَسْمَاءَ, فَتَقُولُ: مِثْلُ مَنْ عَبْدِ اللَّهِ, وَعَبْدُ اللَّهِ مِثْلُكَ, وَأَنْتَ مِثْلُهُ, وَمِثْلُهُ رَفَعًا وَنَصَبًا. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَصَبُهَا عَلَيَّ مَذْهَبِ الْمَصْدَرِ, إِنَّهُ لِحَقٌّ كَنْطَقُكُمْ. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَةً قَرَاءَ الْكُوفَةِ, وَبَعْضُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ رَفَعًا «مِثْلُ مَا أَتَكُمْ» عَلَى وَجْهِ النَّعْتِ لِلْحَقِّ.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القاريء فمصيب.

الآية : 24-26

القول في تأويل قوله تعالى: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * قَرَأَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم, يخبره أنه محل بمن تمادى في غيه, وأصر على كفره, فلم يتب منه من كفار قومه, ما أحل بمن قبلهم من الأمم الخالية, ومذكرا قومه من قريش بإخباره إياهم أخبارهم وقصصهم, وما فعل بهم, هل أتاك يا محمد حديث ضيف إبراهيم خليل الرحمن المكرمين.

يعني بقوله: الْمُكْرَمِينَ أن إبراهيم عليه السلام وسائر خدماهم بأنفسهما. وقيل: إنما قيل الْمُكْرَمِينَ كما:

24913- حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ضَيْفُ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ قال: أكرمهم إبراهيم, وأمر أهله لهم بالعجل حينئذ.

وقوله: إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ يَقُولُ: حين دخل ضيف إبراهيم عليه, فقالوا له سلاما: أي أسلموا إسلاما, قال سلام.

واختلفت القراء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة, قال: سَلَامٌ بِالْأَلْفِ بِمَعْنَى قَالَ: إِبْرَاهِيمَ لَهُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَةً قَرَاءَ الْكُوفَةِ «سَلِمٌ» بِغَيْرِ أَلْفٍ, بِمَعْنَى, قَالَ: أَنْتُمْ سَلِمٌ.

وقوله: قَوْمٌ مُنْكَرُونَ يقول: قوم لا نعرفكم, ورفع «قوم منكرون» باضمرا
أنتم.

وقوله: قَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ يقول: عدل إلى أهله ورجع. وكان الفراء يقول:
الروغ وإن كان على هذا المعنى فإنه لا ينطق به حتى يكون صاحبه مخفيا
ذهابه أو مجيئه, وقال: ألا ترى أنك تقول قد راغ أهل مكة وأنت تريد رجعوا
أو صدروا, فلو أخفى راجع رجوعه حسنت فيه راغ وبروغ.
وقوله: فَجَاءَ يَعْجَلُ سَمِينٌ يقول: فجاء ضيقه بعجل سمين قد أنضجه شيئا.
24914_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله:
قَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ يَعْجَلُ سَمِينٌ قال: كان عامة مال نبي الله إبراهيم عليه
السلام البقر.

الآية : 27-29

القول في تأويل قوله تعالى: { فَفَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ
مِنْهُمْ خِيْفَةً قَالُوا لَا تَحَفْ وَبَشِّرْهُ بِبُغْلَامٍ عَالِمٍ * فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ
فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ }.

وقوله: فَفَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ؟ وفي الكلام متروك استغني بدلالة
الظاهر عليه منه وهو فقربه إليهم, فأمسكوا عن أكله, فقال: ألا تأكلون؟
فأوجس منهم, يقول: فأوجس في نفسه إبراهيم من ضيفه خيفة وأضمرها
قالوا لَا تَحَفْ وَبَشِّرْهُ بِبُغْلَامٍ عَالِمٍ يعني: بإسحاق, وقال: عليم بمعنى عالم
إذا كبر, وذكر الفراء أن بعض المشيخة كان يقول: إذا كان للعلم منتظرا
قيل: إنه لعالم عن قليل وغاية, وفي السيد سائد, والكريم كارم. قال:
والذي قال حسن. قال: وهذا أيضا كلام عربي حسن قد قاله الله في عليم
وحكيم وميت. وروي عن مجاهد في قوله: بِبُغْلَامٍ عَالِمٍ ما:
24915_ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى
وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي
نجيح, عن مجاهد, في قوله: بِبُغْلَامٍ عَالِمٍ قال: إسماعيل.
وإنما قلت: عنى به إسحاق, لأن البشارة كانت بالولد من سارة,
وإسماعيل لهاجر لا لسارة.

قوله: فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ يعني: سارة, وليس ذلك إقبال نقلة من
موضع إلى موضع, ولا تحوّل من مكان إلى مكان, وإنما هو كقول القائل:
أقبل يشتمني, بمعنى: أخذ في شتمي. وقوله: فِي صَرَّةٍ يعني: في صيحة.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24916_ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ,
عن ابن عباس, قوله: فِي صَرَّةٍ يقول: في صيحة.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن
أبيه, عن ابن عباس, قوله: فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا يعني
بالصرة: الصيحة.

24917_ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى
وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي
نجيح, عن مجاهد في صَرَّةٍ قال: صيحة.

24918_ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله:
فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ أي أقبلت في رنة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: صَرَّةٌ قال: أقبَلت ترنّ.

24919_ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن العلاء بن عبد الكريم الياامي, عن ابن سابط, قوله: فأقبَلت امرأته في صَرَّةٍ قال: في صيحة.

24920_ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فأقبَلت امرأته في صَرَّةٍ قال: الصرّة: الصيحة.

24921_ حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال سمعت الضحاك يقول في قوله: في صَرَّةٍ يعني: صيحة. وقد قال بعضهم: إنّ تلك الصيحة أوّه مقصورة الألف.

وقوله: فَصَكَّتْ وَجْهَهَا اختلف أهل التأويل في معنى صكها, والموضع الذي ضربته من وجهها, فقال بعضهم: معنى صكها وجهها: لطمها إياه. ذكر من قال ذلك:

24922_ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَصَكَّتْ وَجْهَهَا يقول: لطمت.

وقال آخرون: بل ضربت بيدها جبهتها تعجبا. ذكر من قال ذلك:

24923_ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: لما بنّى جبريل سارية إسحاق, ومن وراء إسحاق يعقوب, ضربت جبهتها عجا, فذلك قوله: فَصَكَّتْ وَجْهَهَا.

24924_ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَصَكَّتْ وَجْهَهَا قال: جبهتها.

24925_ حدثني ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن العلاء بن عبد الكريم الياامي, عن ابن سابط, قوله: فَصَكَّتْ وَجْهَهَا قال: قالت هكذا وضرب سفيان بيده على جبهته.

24926_ قال: ثنا مهران عن سفيان فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وضعت يدها على جبهتها تعجبا, والصكّ عند العرب: هو الضرب. وقد قيل: إن صكها وجهها, أن جمعت أصابعها, فضربت بها جبهتها وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ يقول: وقالت: أتلد وحذفت أتلد لدلالة الكلام عليه, وبضمير أتلد رفعت عجز عقيم, وعنّى بالعقيم: التي لا تلد. ذكر من قال ذلك:

24927_ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا سليمان, أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن مشاش, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: عَجُوزٌ عَقِيمٌ قال: لا تلد.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا رجل من أهل خراسان من الأزدي, يكنى أبا ساسان, قال: سألت الضحاك, عن قوله: عَقِيمٌ قال: التي ليس لها ولد.